

الأب المنوح غريغوريوس
الجبلي المقدس

تفسير القديس إلهي

www.christianlib.com

تعريب الشماس

سلوان موسي

١٩٩٩

دين سيد القلم الطريكي

© منشورات دير سيّدة البلمند البطريكيّ

جميع الحقوق محفوظة

طبعة أولى ١٩٩٩

ص.ب.: ١٠٠ - طرابلس - لبنان

الغلاف الخارجي: منظر داخليّ للدير وقبّته

الإخراج الفني والإشراف على الطباعة:

مؤسسة دكاش للطباعة

البوار - تلفون: ٤٤٨٥٤٧ / ٠٩ - ٠٣/٦٠٦٣١٠

الأب المنوح غريغوريوس
الجليل المقدس

تفسير القديس إلهي

تعريب الشمامسة

سلوان موسي

١٩٩٩

دير سيدة النعمان بطريركي

Ἱερομονάχου ΓΡΗΓΟΡΙΟΥ

Η ΘΕΙΑ ΛΕΙΤΟΥΡΓΙΑ

Σχόλια

Ἱερὸν Κουτλουμουσιανὸν Κελλίον

Ἅγιος Ἰωάννης Θεολόγος

Ἅγιον Ὄρος

Τρίτη ἔκδοση: Ἅγιον Ὄρος 1993

الفهرس

صفحة

٥	الفهرس
٧	مقدمة
٩	في تعريب هذا الكتاب
١١	مقدمة الطبعة اليونانية
١٣	مدخل
٣٩	الباب الأول: الاستعداد للقداس الإلهي
٤١	١- ترتيب أخذ الكيرون
٥٦	٢- لبس الإكليروس
٦٧	٣- ترتيب خدمة الذبيحة
٩٩	الباب الثاني: القداس الإلهي
١٠١	١- الطلبة السلامية الكبرى والأنديفونات
١٣٢	٢- الدخول بالإنجيل والقراءات الشريفة
١٤٩	٣- الطلبة الابتهالية الكبرى والدخول الكبير
١٧٠	٤- طلبة التقديم ودستور الايمان
١٨٢	٥- الأنافورا المقدسة
٢٠٨	٦- الذبيحة والابتهالات
٢٢٣	٧- المناولة المقدسة
٢٥٠	٨- الحل

٢٥٧ الخاتمة
٢٦١ خطبة عيد الفصح للقديس يوحنا الذهبي الفم
٢٦٥ لائحة النصوص الأبائية
٢٦٧ لائحة المختصرات
٢٦٩ الحواشي
٢٧١ ١- حواشي المدخل
٢٧٤ ٢- حواشي الباب الأول
٢٨١ ٣- حواشي الباب الثاني

مقدمة

لعلّ ما يميّز كنيستنا الأرثوذكسيّة هو تشديدها على طابع العلاقة مع الله كشركة أكثر مما هي حفظ وصايا أو تبرير بالأعمال. إيماننا هو خبرة وليس اعتقاداً. المعبد الأرثوذكسيّ غالباً تقترب فيه سماه وأبعاده من أرض الإنسان وأبعاده. لأنّ ربّنا جاء إلينا وصار مثلنا لأجلنا. لقد وهبنا حياته لتصير هي حياتنا. لذلك ديناميكيّة الحياة في كنيستنا تعتمد بالأساس على الأسرار والليتورجيا كما هو على التعليم والكلمة.

في القدّاس الإلهيّ يهبنا الرب ذاته وأيضاً نهبه فيه ذاتنا. القدّاس الإلهيّ مذبح نقدّم عليه حياتنا ودنيانا، ونكتشف فيه سرّ الله وسرّ القريب. القدّاس الإلهيّ هو تاج الصلوات وغايتها. الله جاء إلينا ولبسنا لكي نأخذه مأكلاً ونلبسه أيضاً. ولعلّ اللباس والمأكّل هما أفضل طريق إلى وحدة الله بنا؛ هو الخبز الحيّ النازل من السماء وهو رداؤنا الذي لبسناه يوم المعمودية. بالقدّاس الإلهيّ نحيا بحياته ونحتويه ساكنين فينا. في القدّاس نتناول المسيح كلمة وخبزاً.

إذا كان الإنسان لبعض الفلسفات كائناً عقلياً أو عند الوجوديين مفكراً؛ فإنه في معرفتنا الروحيّة كائن ليتورجيّ. في القدّاس الإلهيّ يحيا المؤمن الملكوت ويرى منه الكون والقريب من خلال علاقة ليتورجيّة حيّة.

كلّ شيء في دنيانا هو قطعة من الملكوت، مصيرها أن تقدّم بواسطة الإنسان كأداة للصلاة، وأن يتقدّس الإنسان بكهنوته لها هذا أمام الله. القدّاس هو المذبح الذي يتم عليه هذا السرّ. القدّاس أكثر من مسرحيّة دينيّة نحن فيها متفرّجون. القدّاس

الإلهيَّ حدثٌ وإن صار في معبدٍ إلا أنه يتجاوز الجدران. إنه "الموضع الذي نرى فيه الرب" ونكلمه ويتحد بنا ونتحد به. القدّاس الإلهيَّ حدث الأحداث وقلب الكون. فيه السماء تصير أرضاً والأرضُ سماءً. في القدّاس الإلهيَّ يصير العالم كنيسة. فحسبنا هنا إذاً أن نتساءل كيف لنا أن نحيا هذا السرّ في عمقه؟

رعائياً، قد لا يوجد طريق أكثر من القدّاس الإلهيَّ فعالية في تعليم المؤمنين وضمهم إلى حياة الكنيسة. لأننا فيه نحيا الكتاب المقدّس والقريب في ليتورجيا السماء. إنها لحظات من الملكوت في عربون. لذلك من الضروري جداً فهم هذا الحدث الإلهيَّ - الإنسانيَّ وعيشه. وبما أن للليتورجيا لغتها الخاصة وبما أن القدّاس الإلهيَّ يتمتع بهذه الأهمية فإنّ شرح القدّاس الإلهيَّ يجب على حاجة رعائية ماسّة.

كُتِبَتْ في هذا الموضوع كتبٌ عدة ووضعت فيه ترجمات مختلفة باللغة العربية. ما يميّز هذه الترجمة هو أنّ الكاتب طال، من خلال عرضه، خبرات الآباء القدّيسين وأقوالهم؛ وأسهب في معالجته المواضيع بأسلوب رائع ذي صبغة لاهوتية مميّزة. بهذا ينقل لنا خبراتهم السامية علّنا نجعلها خبراتنا الشخصية.

نترك تحقيق هذه الغاية إلى صفحات هذا الكتاب، آمليْن أن يساهم في إنماء حياتنا الروحية والرعائية.

كلمة شكر نرفعها دائماً إلى صاحب الغبطة البطريرك إغناطيوس الرابع الكلي الطوبى والجزيل الاحترام، الذي يرعى دير البلمند بعناية سيديّة دائمة، سائلين بركاته لنا ولكل من ساهموا في إخراج هذا الكتاب.

الناشر

البلمند - عيد الرقاد - ١٩٩٩

في تعريب هذا الكتاب

يلبّي تعريب هذا الكتاب حاجة في اللغة العربيّة، وتعطينا مقدّمة واضعه صورة كافية عن المنابع التي نهل منها ليقدّم لنا هذه الباقة العطرة الزكيّة من خبرة آبائنا القديسين في عيشهم سرّ الشكر.

جاء التعريب عن الأصل اليوناني وعنوان الكتاب هو:

الأب المتوحّد غريغوريوس، القدّاس الإلهي (تعليقات)، قلاية القدّيس يوحنا اللاهوتي التابعة إلى دير كوتلوموسيّو، الجبل المقدّس آثوس، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

اعتمدنا في هذا التعريب نصّ القدّاس الإلهي كما ورد في "كتاب خدمة القدّاس الإلهي" الذي وضعه المثلث الرحمات المطران جراسيموس (مسرّة)، مطران بيروت وتوابعها للروم الأرثوذكس، في طبعته الثانية المنقّحة، الصادرة في بيروت سنة ١٩٢٥، مضبوطاً على النصّ الوارد في الكتاب المعرّب.

وقد وردت فقرات نصّ القدّاس الإلهي ضمن إطار أو نافذة ثم تلتها الشروحات المختصة بها. وقد وضعنا الحواشي في آخر الكتاب واعتمدنا أيضاً نظام المختصرات تسهيلاً لقراءتها. كلّ ذلك من باب حرصنا على حسن الإخراج وراحة القارئ الكريم.

مقدمة الطبعة اليونانية

القدّاس الإلهي هو المسيح

عندما تحدّث المسيح لأوّل مرّة إلى البشر عن سرّ الشكر الإلهي، دعا نفسه "خبز الحياة" الذي نزل من السماء ليقدم من أجل حياة العالم: "أنا هو خبز الحياة... النازل من السماء... أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. إنّ أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي، هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو: ٦، ٤١-٥١).

المسيح هو "خبز الحياة" الذي نزل من السماء، بقوة الرّوح القدس. نزل يوم البشارة في حشا الكليّة البركات العذراء التي غدت أرضاً صالحة ومباركة وأفرعت خبز الحياة. المسيح هو خبز الحياة الذي ينزل على الدوام من السماء بقوة الرّوح القدس. ينزل ساعة البشارة الشكرية داخل الكنيسة العذراء، تغدو الكنيسة المقدّسة أرضاً صالحة مباركة تفرع خبز الحياة.

إنّ حدث نزول المسيح وحضوره وسط الكنيسة، هو واقع نعيشه في القدّاس الإلهي، وذلك لأنّ القدّاس الإلهي هو المسيح في وسطنا: "ها أنا معكم كلّ الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨، ٢٠).

وطالما أنّ القدّاس الإلهي هو المسيح "معنا"، فإنّ تفسيره هو في الواقع كلام عن المسيح، كما اختبر وعيش في القدّاس الإلهي: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بأعيننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإنّ الحياة

أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا" (يو: ١، ١-٢).

و"تفسير" معاصر للقدّاس الالهّي يجدر به إذاً، أن يكون مشاهدة وسماعاً ولمساً للمسيح من قبل إنسان هذا العصر، لكنّ الذي يكتب هذه السطور ليس سوى أعمى وأصمّ وعديم الحسّ روحياً، لذا فقد هرع إلى أولئك الذين عاينوا "النور الحقيقي"، إلى الذين سمعوا "الكلمة" ولمسوا "هامة السيّد".

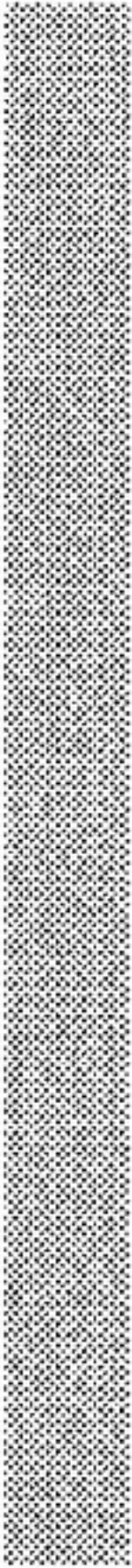
هذا الكتاب هو خبرة القديسين في عيشهم سرّ الشكر، سرّ الشكر كما عاشه القديسون.

واليوم، وفي هذه الأوقات العصيبة التي نجتاز، هناك قلوب تلهب بمحبة المسيح. وهؤلاء البشر يعيشون حضوره وهو قرب المائدة. كذلك هناك نفوس تكهن مع الملائكة والقديسين ساعة إقامة القدّاس الالهّي، وتعيش داخل مملكة الله المباركة.

وقد يجد عوناً من يقرأ خبرة القديسين التي يحويها هذا الكتاب، وذلك كي يكون بقربهم، أي بقرب المسيح. وهناك داخل ملكوت الله، أتوسّل إليه أن يصلي "مع جميع القديسين"، لأجل ذاك الذي جمع شهد القديسين، العسل، الذي يحلّي ويغذي الانسان.

الأب المتوحّد غريغوريوس

٢٧ كانون الثاني ١٩٨٢



مدخل

العشاء السري والقراس الالهى في العصور المسيحية الاولى

ذات يوم، وأثناء احتفال اليهود بعيد الفصح، أقام ربنا يسوع المسيح، وللمرة الأولى، سرّ الشكر الالهى، عشاء الفصح بالنسبة إلى الكنيسة. وكان آخر عيد فصح يعبّده الربّ مع تلاميذه قبل آلامه الطاهرة.

ويكتب الانجيلي متى أنّه في اليوم السابق لعيد الفصح، أي أوّل أيام الفطير، سأل التلاميذ الربّ: "أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح؟"، فأجابهم المسيح: "اذهبوا إلى المدينة، إلى فلان، وقلوا له: المعلم يقول إنّ وقتي قريب، وعندك أصنع الفصح مع تلاميذي. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع، وأعدّوا الفصح حيث سيعيدونه مع معلّمهم^١.

عندما سأل التلاميذ المسيح، أين يعدّون الفصح، كانوا يقصدون بالطبع الفصح اليهودي. التلاميذ، كما يقول الذهبي الفم، "أعدّوا الفصح اليهودي، بينما فصحنّا، الفصح المسيحيّ أعدّه المسيح. ولم يعدّه المسيح فقط، بل صار نفسه الفصح". أثناء العشاء السريّ أتمّ المسيح الفصحين معاً، اليهوديّ والمسيحيّ، "الفصح الرمزي وفصح الحق"، بالضبط كما يفعل الرسّامون على اللوحة نفسها، حيث يشرعون بتخطيط الظلّ، وبعدئذ يزدون عليه الألوان المطلوبة، هكذا فعل المسيح: رسم، على المائدة نفسها، الفصح الرمزي، ثمّ أضاف الفصح الحقيقي^٢.

ويصف لنا الانجيليون الثلاثة الأول فضلاً عن بولس الرسول، كيف كهن السيّد على العشاء: "أخذ يسوع الخبز وشكر وكسر وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي الذي يُكسر من اجلكم، اصنعوا هذا لذكري. ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منه كلّكم، هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يهراق من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا. اصنعوا هذا كلّما أكلتم وشربتم لذكري. وأقول لكم إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حين أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي".^٣

وصف العشاء الشكريّ الأوّل هو في الوقت نفسه وصف للاجتماع الشكريّ في العصر الرسوليّ. بالطبع لم يكن المسيح هو الذي يترأس الخدمة بل الرسل القديسون، الذين هم الأيقونات الحيّة لمعلمهم. هكذا كان المسيحيّون الأوائل يعيشون في القدّاس الالهيّ حضور المسيح وينتظرون عودته المجيدة. وهذا الشعور بحضور المسيح، وانتظار مجيئه الثاني، أضفى على الاجتماعات الشكريّة للمسيحيّين الأوائل مسحة فرح وابتهاج روحيّ.^٤

في العصر الرسوليّ، كانت مائدة المحبة تسبق سرّ الشكر الالهيّ. على هذا النحو كان المؤمنون يعيشون سرّ الشكر كمائدة محبة، كما كان العشاء السريّ عشاء محبة المسيح اللامتناهية نحو تلاميذه.^٥ إلا أنه، مع الزمن، انفصل سرّ الشكر عن مائدة المحبة وذلك بسبب بعض الأمور غير اللائقة.^٦

وعندما عمد الرسل القديسون إلى توجيه رسائل إلى الكنائس المحليّة، صارت اجتماعات المؤمنين تبدأ بقراءة رسالة^٧. وبعد القراءة كان يجري تبادل "قبلة المحبة" التي يتحدّث عنها الرسول بولس في نهاية رسائله^٨. وبعدئذٍ كان كاهن السرّ يبارك المؤمنين: "نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس مع جميعكم".^٩

وكان يلي البركة صلاة الشكر وكلمات الربّ: "خذوا كلوا... اشربوا منه كلّكم..." ومن ثمّ الصلاة التي تدعى صلاة استدعاء الروح القدس. والأساس الذي

تستند إليه هذه الصلاة هو أقوال المسيح للتلاميذ، مباشرة بعد تأسيسه السرّ: "عندما يأتي المعزّي... فهو يشهد لي... ويذكّركم بما قلته لكم... ذاك يمجّدني". وفي النهاية يفصل جسد المسيح المقدّس. وبعدها يتم تناول جسد الربّ المقدّس ودمه. هكذا كان يجري الاحتفال بسرّ الشكر في العصر الرسولي.



الصلوات الليتورجية الأولى

يشكل القرنان الثاني والثالث بعد المسيح فترة الاضطهادات التي تعرضت لها الكنيسة، ولدينا من تلك الحقبة بعض الصلوات الليتورجية كتلك التي نعثر عليها في "الذيذاخية الرسل الاثني عشر" أو في "التقليد الرسولي" للقديس هيبوليتس بابا رومية. ويعطينا القديس يوستينوس الشهيد أيضاً رسماً لسر الشكر، حيث نجد أن بعض الحرية كان يسود في شأن نص الصلوات الليتورجية. وورد في "الذيذاخية": "كان مسموحاً للأنبياء أن يشكروا قدر مشيئتهم"^{١٢} أي كان هناك تلاوة صلوات عفوية قدر ما تسمح به طاقتهم. أمّا القديس يوستينوس فيحدد أن الكاهن "يرفع أفاشين وصلوات شكرية على حسب طاقته"^{١٣}.

تتطابق بداية هذه الفترة مع الانفصال النهائي لسر الشكر عن عشاء المحبة. وتعتبر الكنيسة من عصر الرسل والمعلمين والأنبياء المواهبين، الذين كانوا يجولون على الكنائس المحلية، إلى عصر الرعاة الدائمين. وكان الاجتماع الشكريّ يقام في الأماكن التي تمّ فيها دفن الشهداء القديسين. وفي السنوات الأخيرة من القرن الأول الميلادي جرت إضافة "تسبيح الظفر"^{١٤}.

ونعثر في "الذيذاخية" التي كتبت حوالي سنة ١٠٠ م. على أولى الصلوات الليتورجية "عند الشكر، اشكروا هكذا. أولاً بالنسبة إلى الكأس: نشكرك، أبانا، من أجل الكرمة المقدسة داوود صبيك، التي عرفتنا بها بصبيك يسوع، لك المجد إلى الدهور. بالنسبة إلى كسر الخبز: نشكرك، أبانا من أجل الحياة والمعرفة، التي عرفتنا

بها بصبيك يسوع، لك المجد إلى الدهور... لأنّ لك المجد والقدرة بيسوع المسيح إلى الدهور^{١٥}.

وبعد سلسلة من الصلوات الليتورجية، تورد "ذبيحة الرسل الاثني عشر" بعض الجمل التي، ربّما، كانت عبارة عن حوار بين الكاهن والشعب:

الكاهن: لتأتِ النعمة. (وفي كتابة أخرى: ليأتِ المسيح)، وليمضِ هذا العالم.

الشعب: أوصنا لإله داود.

الكاهن: إذا كان احدهم قدّيساً فليتقدّم، وإذا لم يكن، فليتب. تعال أيّها الرّب يسوع.

الشعب: آمين^{١٦}.

يعطينا القديس يوستينوس الشهيد في "دفاعه الأوّل" (وضعه حوالي سنة ١٥٠ م)، رسمين للقدّاس الالهّي في عصره. يبدأ الاجتماع الشكريّ بقراءات من الكتاب المقدّس، وبعدها يعظ الكاهن ويرشد المؤمنين. تلي ذلك الصلوات المشتركة، قبلة المحبة، تقديم الخبز والخمر، صلوات جديدة للكاهن، والشعب يجيب قائلاً: آمين، ثمّ يجري توزيع وتناول القدسات من كلّ عنصر على حدة، ويقوم الشماسة بنقلها إلى كلّ من تعذّر حضوره. ويورد القديس يوستينوس صلاة استدعاء الروح القدس ويدعوها "صلاة الكلمة"^{١٧}.

يتحدّث القديس إغناطيوس اسقف أنطاكية عن لاهوت السرّ (رقد حوالي سنة ١١٣ م) وكذلك القديس إيريناوس (١٤٠ - ٢٠٢ م). إلّا أنّ الأخير يتناول شكل الصلوات الشكريّة. ويدعو القديس إيريناوس صلاة استدعاء الروح القدس "استدعاء الله" أو "كلمة الله"^{١٨}.

"في التقليد الرسولي" للقديس هيبوليتوس (وضعه حوالي سنة ٢١٧ م) نعثر على الحوار التالي بين الكاهن والشعب:

الكاهن: الربّ مع جميعكم.

الشعب: ومع روحك.

الكاهن: قلوبنا إلى فوق.

الشعب: هي لدى الربّ.

الكاهن: لنشكر الربّ.

الشعب: لحقّ وواجب.

ويلي هذا الحوار صلاة استدعاء الروح القدس:

"نشكرك يا الله، بابنك الحبيب يسوع المسيح، الذي أرسلته إلينا في الأزمنة الأخيرة مخلصاً وفادياً وملاك مشورة، الكلمة التي من لدنك، الذي به صنعت كلّ شيء... الذي عندما أسلم نفسه طوعاً للآلام، أخذ خبزاً وشكر وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي، الذي يكسر من أجلكم.

وأيضاً الكأس، قائلاً: هذا هو دمي، المهرق من أجلكم. كلّما صنعتُم هذا اصنعوه لذكري.

ونحن، بما أننا متذكرون موته وقيامته، نقدّم لك الخبز والكأس شاكرين إياك...

وأهللنا أنت، كيما ترسل روحك القدّوس على ذبيحة كنيستك المقدّسة، كنيستك التي وحدتها بك، وامنح جميع القدّيسين المتناولين منها ملء الروح القدس ليقين الإيمان في الحقيقة، حتّى نسبحك ونمجّدك بابنك يسوع المسيح، الذي له المجد والإكرام، لك أيّها الأب والابن والروح القدس، في كنيستك المقدّسة، الآن وإلى دهر الداهرين، آمين"^{١٩}.

إذاً، يمكننا في هذه الصلاة تمييز الأجزاء الأساسيّة: الحوار، المدخل، أقوال المسيح، التذكّار، واستدعاء الروح القدس.

الليتورجيات الأولى

كتبت الليتورجيات الأولى في القرن الرابع، نورد أهمها في ما يلي:

١- قدّاس يعقوب أخى الربّ.

٢- قدّاس الرسول مرقس.

٣- قدّاس باسيليوس الكبير.

٤- قدّاس الذهبيّ الفم.

٥- قدّاس القديس أكليمندوس.

وإلى الآن، تستعمل الكنيسة ثلاثاً من هذه الليتورجيات الخمس.

قدّاس القديس يعقوب، في نقاطه المركزيّة، ذو منشأ رسوليّ. أمّا شكله الحالي فيعود إلى القرن الرابع مع بعض الإضافات اللاحقة. بساطة الألفاظ، قراءات العهد القديم، الطلبات الواردة المتعلّقة باضطهادات المسيحيين، كلّها عناصر تؤكّد قدّم مصدر هذه الليتورجيا. والتساويح اللاحقة للقرن الرابع هي "يا كلمة الله، الابن الوحيد"، "التسبيح المثلث تقديسه"، و"التسبيح الشروبيمي". تكون قدّاس القديس يعقوب في أورشليم، ومن هناك انتشر في كنائس أورثوذكسيّة كثيرة. وكثير من الآباء القديسين يشهد بصحّة هذه الليتورجيا، كالقديس كيرلس بطريرك أورشليم (القرن الرابع)، الذي يفصّلها في مقالته الخامسة التعليميّة المستأغوجيّة من دون أن يأتي على ذكر القديس يعقوب أخى الربّ^{٢٠}. وكذلك يوردها كلّ من القديس

بروكلوس بطريرك القسطنطينية^{٢١}، المجمع المسكوني الخامس (القانون ٣٢).
والقدّيس مرقص أسقف أفسس^{٢٢}، وغيرهم.

قدّاس القدّيس مرقص هو أقدم قدّاس لكنيسة الاسكندرية ومصر. يستطيع المرء أن يميّز في النصّ الحالي جملاً تؤكد مصدرها القديم، وقد حُفظت في الكنيسة المصرية حتى القرن الثالث عشر، إلا أنّها تعرّضت لإضافات لاحقة أثناء استعمالها^{٢٣}.

ينقلنا قدّاس باسيليوس الكبير إلى قيصرية كبادوكية، ولا بدّ أنّ القدّيس باسيليوس كتب هذه الليتورجيا حين كان كاهناً، لأنّه عندما تحدّث القدّيس غريغوريوس اللاهوتي في كلمته التأسيسية عن نشاطات القدّيس أثناء تلك الفترة، قال إنّ من بين الأمور العديدة التي قدّمها إلى الكنيسة أفاشين وصلوات وترتيبات للخدمة الكنسية^{٢٤}.

وانتقلت ليتورجيا القدّيس باسيليوس إلى القسطنطينية على يد القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، ومن هناك صارت معروفة في الاسكندرية حيث كان باسيليوس الكبير محبوباً، على نحو خاصّ، منذ أن زارها ليتعرّف إلى السيرة الرهبانية. أمّا قدّاس القدّيس أكليمندوس فنشر عليه في مؤلّفه "أوامر الرسل القدّيسين"^{٢٥}. جرت كتابة نصّ هذا القدّاس في القرن الرابع في سوريا حيث نجد فيه معلومات كثيرة عن الليتورجيا في أنطاكية، إلا أنّ هذه الليتورجيا لم تستخدم على الإطلاق في الكنيسة.

الذهبي الفم والقدراس الإلهي

■ ٤. أ - القديس يوحنا الذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا سنة ٣٥٤ م. في أنطاكية من والدين تقيين، كان والده قائداً في الجيش، أمّا والدته أنثوسا فتحدّر من عائلة شريفة. توفي والده بعد بضعة أشهر من ولادته، فتولّت والدته مهام تنشئته. درس الخطابة والفلسفة في سن مبكرة. في تلك الفترة كان القديس ملاتيوس أسقفاً على أنطاكية، فسمح لهذا الشاب أن يكون بقرابه، "لأنّه أحبّ عذوبة قلبه وموهبته النبويّة وقد تنبأ بما ستصير إليه مسيرته"^{٢٦}.

اقتبل يوحنا سرّ المعموديّة المقدّسة في سنّ الثامنة عشرة ودرس على مدى ثلاث سنوات في مدرسة أنطاكية اللاهوتيّة. كان الشوق يعتريه منذ ذلك الحين إلى التماس السكنية، إلا أنّ تضرّعات والدته كانت تقنعه بتأجيل رغبته طالما هي على قيد الحياة. وعندما رقدت بالربّ سنة ٣٧٥ م. اتّجه القديس يوحنا بعد رسمه قارئاً إلى الصحراء، حيث بقي مدّة من الزمن تصل إلى ستّ سنوات.

عاش في السنوات الأربع الأولى من نسكه، بالقرب من شيخ ناسك، وفي السنتين اللاحقتين عاش متوحّداً داخل مغارة. ويكتب كاتب سيرته بلاذتيوس عن هاتين السنتين "أنّه قضى معظم الوقت دون أن ينام يغرف من الكتاب المقدّس"^{٢٧}.

تركت شدّة نسكه بصماتها على صحّته، فاضطرّ إلى العودة إلى انطاكية، حيث سيم سنة ٣٨١ م. شماساً على يد ملاتيوس، وبعد خمس سنوات سامه القديس فلافيانوس كاهناً.

خدم ككاهن في أنطاكية حتى ٣٩٧ م. فكان يعلم الشعب بعظاته الأخاذة، فأنعشت كلماته روح الشعب في أوقات عصيبة. ذاع صيته في أنطاكية وسوريا وتوقع الجميع أنه سيكون خليفة فلافيانوس على كرسي أنطاكية. إلا أن الله، بعد رقاد بطريك القسطنطينية نكتاريوس، أرشد خطاه إلى عاصمة الامبراطورية، فسيم أسقفاً عليها في ١٥ ديسمبر ٣٩٧ م.

كانت جهادات كثيرة في انتظاره في القسطنطينية، إذ كانت الوثنية لا تزال تُحارب الإيمان بالمسيح، والهرطقة (الآريوسيون، الأفنوميون، الأبوليناريون) كانوا يشقون وحدة الكنيسة، وإكليروس غير واع لرسالته كان سبب عثرة للشعب. عمل القديس يوحنا وسط هذا الجو الصعب، وكان يضرب الشر أينما وجد بنشاطه وكلماته؛ فعاقب الاكليروس غير الجديرين، ونظم عمل الكنيسة الروحي وقام بأعمال الاحسان، وأوفد مبشرين إلى غوثية وسكيثية وبلاد فارس وفينيقية، ورتب خدماً كنسية ليلية ليستطيع العمال النهاريون الاشتراك فيها.

وهذا العمل الجبار، لا سيما، معاقبة الاكليريكيين غير الجديرين، خلق له ردات فعل عنيفة، فلم يتورع أعداؤه، وعلى رأسهم ثيوفيلوس بطريك الاسكندرية وبمساندة الامبراطورة إفذوكية، عن بلوغ حدّ إقصاء القديس ونفيه^{٢٨}. إلا أن بقاءه في المنفى لم يتجاوز يوماً واحداً، إذ إن مقاومة الشعب مع بلوغ القديس منطقة بيثينية وحدوث واقعة مع إفذوكية، بعثا الخوف فيها فعمدت إلى الطلب بعودة القديس مجدداً؛ فاستقبله الشعب بالتكريم ودموع الفرح.

ومع ذلك، لم يلبث أعداؤه ساكنين، فشكّلوا مجمعاً في ربيع ٤٠٤ م. وأقروا إقصاءه من جديد. ويوم السبت العظيم، عمد منفذون من قبل الامبراطور إلى طرد القديس يوحنا والاكليروس من الكنيسة أثناء التحضيرات لعمادة الموعوظين وعيد الفصح. وقعت أمور فظيعة في ذلك اليوم. الموعوظون، رجالاً ونساء، تعرّضوا للضرب من قبل الجنود وطرّدوا عراة من الكنيسة. "امتلاّت أجران المعمودية دماً" كما يقول القديس يوحنا نفسه. وفي النهاية دنست القديسات، جسد المسيح

ودمه^{٢٩}. وفي ٢٠ يوليو ٤٠٤ اقتيد إلى منفاه بعد توديعه الاكليروس ولكن خفية عن الشعب. وبعد شقاء كبير، جسدي ونفسي، دام أكثر من ثلاث سنوات، رقد بالرب في ١٤ سبتمبر من عام ٤٠٧ في بتيوندا، بعد تناوله الأسرار الطاهرة ولفظه عبارته الشهيرة: "الشكر لله على كل شيء".

سنة ٤٣٨ م. جرى رفع رفاته الشريف ونقله إلى القسطنطينية، فأودع أولاً في كنيسة الرسول توما، ثم في كنيسة القديسة إيريني حيث وضع على كرسي رئيس الكهنة خلف المائدة المقدسة فهتف الجميع قائلين: تنعم أيها القديس بكرسيك. ثم وضعوا رفاته على عربة إمبراطورية ونقل إلى كنيسة الرسل القديسين، حيث وضع على كرسي رئيس الكهنة. ويا للعجب! فقد هتف القديس نحو الشعب: السلام لجميعكم^{٣٠}.

انتهت مسيرة الذهبي الفم الاستشهادية، وانتصرت الحقيقة مرة أخرى. والقدّيس، بعد رقادته، يمنح سلام الله للجميع، لمبغضيه ومحبيه على حدّ سواء.

٤. ب - القدّاس الإلهي

تقود حياة القديس يوحنا الاستشهادية خطانا نحو بداية القدّاس الإلهي. فالقدّاس الإلهي، في الزمن الذي عاش فيه الذهبي الفم، كان يبدأ بدخول الأسقف إلى الكنيسة ومنحه الشعب السلام^{٣١}. وكان الشعب يجيبه: ومع روحك. ثم كانت تجري تلاوة ثلاث قراءات كتابية: قراءة من الأنبياء، وقراءة من الرسائل وأخرى من الانجيل^{٣٢}. وبعدها، كان الأسقف يعظ بكلمة الله. يلي الوعظ صلوات لأجل الموعوظين ولأجل من تسكنهم الأرواح والمؤمنين الذين حرموا المناولة لفترة معينة.

بعد رحيل الموعوظين والمحرومين من المناولة من المؤمنين تغلق أبواب الكنيسة، وتُتلى أفاشين المؤمنين ثم تتبعها الدورة الكبرى وقبلية المحبة. وبعدها تجري خدمة استدعاء الروح القدس: ترتيل نشيد الظفر، أقوال المسيح في العشاء السري، استدعاء الروح القدس، ثم طلبات المؤمنين: "أبانا الذي..."، المناولة، الشكر وحلّ المؤمنين.

عندما عمد الذهبيّ الفم إلى وضع نصّ القدّاس الالهى، استخدم - كما فعل القدّيس باسيليوس الكبير - نصوصاً ليتورجية قديمة، إلا أنّ بعضها وضعها القدّيس بنفسه. ويورد كاتب سيرته، جاورجيوس بطريك الاسكندرية، أنّ الذهبيّ الفم عمد حين كان موجوداً في بلاد القوقاز في أرمينيا، إلى سيامة سبعة أساقفة وعدد من الكهنة لأجل سدّ حاجات تلك الكنيسة، مسلماً إليّهم إقامة سرّ الشكر الالهى^{٣٣}.

وفي دراسة لجاورجيوس، أسقف إفذوكياذوس، حول منشأ "ليتورجيا الذهبيّ الفم" يستخلص "أنّ النواة الأساسيّة لهيكليّة الليتورجيا تتكوّن من مجموعة أفاشين وصلت إلينا في الشكل الذي كان يمارسه الذهبيّ الفم نفسه لما كان أسقفاً على القسطنطينيّة، وتبعاً لمميّزات مضمونها - حتّى إلى طريقة إنشائها - فإنّ شهادات هذه النصوص تنتمي جليّاً إلى طريقة صياغة الذهبيّ الفم لأعماله^{٣٤}.

لقد تعرّضت ليتورجيا الذهبيّ الفم في شكلها الحالي لإضافات لاحقة: بداية مختلفة (القرن الثامن)، النشيد المثلث تقديسه ودستور الايمان (القرن الخامس)، النشيد "يا كلمة الله الابن الوحيد"، التسبيح الشروبيمي والماء الحارّ (القرن السادس)، كما ألغيت القراءة من الأنبياء. وفي القرن الثامن انتقلت خدمة ترتيب الذبيحة إلى ما قبل البدء بالقدّاس الالهى.

ليس هناك حاجة للاستفاضة في تاريخ كتابة القدّاس الالهى، فما يهمّ المؤمنين في الدرجة الأولى ليس مسألة من هو المؤلّف ومتى جرى تأليف هذا الافشين أو ذاك النشيد في القدّاس الالهى، ما يهمّهم هو أن القلوب الملهبة حبّاً بالمسيح، على اختلاف الحقب التي انتمت إليها، كانت تعرفه عند "كسر الخبز"^{٣٥}.

٤. ج - الكاهن

الشهادة الأساسيّة حول الذهبيّ الفم ككاهن، يجدها المرء في مؤلّفاته نفسها. فهو في حديثه عن خدمة الكاهن والمائدة المقدّسة إنّما يكشف بالحقيقة، عن خبرته الليتورجية، عن خبرته المعاشة الحيّة نفسها.

الخادم الحقيقي للقدّاس الإلهي إنّما هو المسيح: فهو من كهن سرّ الشكر "في ذاك العشاء السريّ، وهو من يتمّم هذه الأسرار الآن. أمّا نحن الكهنة فلننا سوى خدّام. من يقدّسها أو يحوّلها إنّما هو المسيح"^{٣٦}. والكاهن، إذ ينذر نفسه للمسيح، يصير أداة له، يقف في المكان الذي عينه، أي مكان المسيح.

يقف الكاهن مع الملائكة، كما يقول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، يمجّد الله مع رؤساء الملائكة، يرفع الذبائح على المذبح السماوي، ويكون مع المسيح. ويتابع: "إنني أدرك جيّداً خدّام من نحن، وأين نحن موجودون وإلى أين نرسل البشر"^{٣٧}.

الكاهن موجود على الأرض ويتحرّك في السماء. يقف بين السماء والأرض، بين الله والإنسان: "الكاهن يقف متوسّطاً بين الله والطبيعة البشريّة، يُنزل الأكرامات من هناك إلينا، ويرفع طلباتنا إلى فوق". تتميم سرّ الشكر يضع الكاهن في السماء: "عرش الكهنوت موضوع السموات"، يقول الذهبي الفم. لأنّه "عندما يستدعي الكاهن الروح القدس ويتمّم تلك الذبيحة الرهيبة، هو على الدوام وثيق الصلة بسيد الكلّ، فقل لي أين لي أن أصنّفه؟ وكم من الطهارة والتقوى علينا أن نطالب إنساناً كهذا بهما؟"^{٣٨}. مطلوب من الكاهن طهارة ملائكيّة حتّى يقوم بخدمته، تلك الخدمة التي لم يأتّمها الله، حتّى للملائكة.

ويصف لنا القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، كيف كان القدّيس باسيليوس الكبير يكنّ كما شاهده الملك الهرطوقي يواليس يوم عاد إلى رعيّته: "لما دخل يواليس إلى الكنيسة تناهى إلى مسمعه صوت الترتيل السماويّ وشاهد الشعب المحتشد وكلّ مظاهر التقوى والورع، قرب الهيكل وحوله، كان منظراً ملائكيّاً لا بشريّاً؛ شاهد باسيليوس الكبير واقفاً تجاه الشعب، كما يصف الكتاب المقدّس صموئيل، مستقيم الوقفة، ثابت النظر وحادق الذهن... ذاته مسرّة عند الله وفي الهيكل المقدّس، أمّا الذين حوله فقد وقفوا بخوف واحترام"^{٣٩}.

هكذا يخدم القدّيسون القدّاس الإلهي، وهكذا كان يكنّ الذهبي الفم "عجيبة الأسرار". كان يعيش أمام المائدة المقدّسة سرّ محبة الله. كان يقبل المحبة الإلهيّة من

السماء ويمنحها بدوره إلى أولاده على الأرض. وبالتالي فإن حياته وكلمته وشهادته هي أفضل تفسير للقدّاس الالهيّ، لأنّ القدّاس الالهيّ، أي المسيح، كان حياته، وحياته أيضاً كانت قدّاساً إلهياً متواصلاً وشكراً لله لا ينقطع.



ما هو القدّاس الإلهي

٥. أ - القدّاس "استعادة لكلّ التدبير الإلهي"

كلّ العظائم والأحداث التي صنعها الله، في سبيل إعادة الانسان من العصيان إلى البيت الأبوي، وجعله أحد أخصّائه، نسميها "التدبير الإلهي": إنّ دعوة إلهنا ومخلّصنا المتجدّدة، في شأن تدبيره نحو الانسان، إنّما هي استدعاء له من السقوط ورفع له من التغرّب الحاصل بالمعصية إلى قامة أخصّاء الله^{٤٠}.

وحدث الخلاص بالمسيح، نعيشه في القدّاس الإلهي ونشكر الله: "الأسرار الرهيبة التي تقام في كلّ اجتماع للمؤمنين والتي بها يُمنح الخلاص لنا بفيض كبير، هذه الأسرار تدعى "شكراً"، لأنّها تتألّف من تذكارات وإحسانات كثيرة وتظهر لنا قمة العناية الإلهية" كما يقول الذهبيّ الفم^{٤١}. القدّاس الإلهي هو حياة أسرارية تُختبر مجدداً وبالتالي فهو استعادة لكلّ التدبير الإلهي، لذلك يقول الكاهن في نهاية القدّاس: "أيّها المسيح إلهنا، قد تمّ سرّ الشكر، وانتهى سرّ تدبيرك"^{٤٢}.

وانكشف سرّ التدبير الإلهي في الوقت عينه الذي حصلت فيه معصية الانسان. السيّد المحبّ البشر "شاهد على الفور السقوط وعمق الجرح، فأسرع ليوفّر العلاج قبل أن يتوسّع الجرح ويتحوّل إلى مرض لا شفاء منه... فهو لم يتوقّف للحظة واحدة عن عنايته بالانسان، متحرّكاً في هذا السبيل من تلقاء محبّته"^{٤٣}. بعظائم مدهشة وأقوال نبويّة هيّا الله الانسان ليشارك في ملء الحياة والمحبّة (الإلهية).

وكثيرة هي النبوءات والأحداث في العهد القديم التي تتصل مباشرة بسرّ الشكر الإلهي، وأولها مقدمة ملكيصادق للخبز والخمر^{٤٤}.

كان ملكيصادق "رمزاً لرئيس الكهنة الحقيقي - المسيح - وتصويراً له"، وتقدمته عبارة عن تشبّه بتقدمة المسيح. ملكيصادق "إذ أنعم عليه بموهبة نبوية، مجّد الله بخبز وخمر، متشبّهاً بالمسيح المزمع أن يأتي مستقبلاً، طالما أنه أدرك أن ذاك هو من سيقدم التقدمة المستقبلية لأجل العالم"^{٤٥}. بالروح القدس، يعيش ملكيصادق، تلك الأمور المرتبة يعيشها الآن ويتشبّه بما لم يكن قد تحقّق بعد.

أمّا حادثة ذبيحة اسحق^{٤٦} فهي أيضاً تصوير سابق لذبيحة المسيح وللتقدمة الشكرية. وكذلك أيضاً ذبيحة النبي إيليا^{٤٧}، وايضاً الرؤيا التي شهدتها النبي أشعيا تتحرّك ضمن مناخ ليتورجي: الربّ يجلس على العرش محاطاً من السارافيم التي تنشد التسبيح المثلث تقديسه في الوقت الذي تجري فيه مقدمة ذبيحة البخور^{٤٨}، وايضاً نبوءة لأحد رؤساء الآباء، يعقوب، وأخرى للنبي ملاخي تعودان، حسب آباء الكنيسة، إلى سرّ الشكر الإلهي^{٤٩}.

غير أن الحدث الذي يصوّر سرّ الشكر الإلهي بامتياز فهو الفصح اليهودي. هذا العيد هو تذكّار مستمرّ لخلاص العبرانيين من المصريين وشكر مستمرّ لله على إحساناته. فما حصل عندما غادر العبرانيون مصر، كما يلاحظ الذهبيّ الفم، "كانت أسراراً مخفية ورهيبية وعلى جانب كبير من العمق والأهميّة. فإنّها وإن لم تتعدّ أن تكون رموزاً، كانت رهيبية إلى هذا الحدّ، فكم بالأحرى ستكون عليه حقيقة، أي بالنسبة إلى المرموز إليه... أعني الحقيقة نفسها. فنحن نأكل المسيح فصحاً"^{٥٠}.

كلّ هذه الأحداث هيّأت لحضور ملء الزمان الذي تنكشف به الحقيقة - المسيح. وفي الوقت نفسه تتجلّى الأبعاد الحقيقيّة لسرّ التدبير الإلهي، فالمسيح هو استعادة كلّ سرّ التدبير الإلهي، وكلّ حادثة من حياته هي بركة إلهية للإنسان.

في القدّاس الإلهي تجري خدمة كلّ أحداث حياة المسيح معاً: "كلّ ما يتمّ إنجازه في الخدمة الإلهية هو رمز لآلام المسيح الخلاصيّة ودفنه وقيامته... ولكلّ تدبيره الخلاصيّ الصائر إلينا" على حدّ تعبير الأسقف ثيودورس. فالكاهن في القدّاس الإلهي "إذا يقف أمام المائدة الإلهية، يسبّح أعمال يسوع المسيح الإلهية الشريفة... ومن ثمّ يكهن الأسرار الإلهية ويحضر أمام ناظرنا كلّ ما قام به من تسبيح قبل حين"^{٥١}. تتجلّى حياة المسيح أمامنا لأنّ "كلّ هذه الميساغوجية هي عبارة عن صورة موحّدة لجسم واحد: حياة المسيح"^{٥٢}.

ويكتب الذهبيّ الفم فيقول: "إنّ كلّ ما لا يرى يُشاهد بعين الايمان"^{٥٣}. فلنسمع إذاً هذا المتوشّح بالله الذي شاهد في الليتورجيا الإلهية ما لا يرى.

والمكان الذي يكهن فيه سرّ الشكر إنّما هو بيت لحم: "أسرع إلى بيت لحم (أي إلى الهيكل الشريف) حيث بيت الخبز الروحي". نشترك مع الرسل الاثني عشر بالعشاء في عليّة صهيون: "في القدّاس الإلهي يجري تميمّ العشاء نفسه الذي كان المسيح الربّ حاضراً فيه. ما من فرق على الإطلاق بين هذا العشاء وذاك. هنا الهيكل الشريف هو العليّة حيث كان التلاميذ والمسيح، ومن هنا خرجوا وانتقلوا إلى جبل الزيتون"^{٥٤}.

بعدئذٍ تغدو المائدة المقدّسة موضع الجمجمة، الجلجلة الرهيبة: "سرّ الشكر الإلهي هذا الذي نقيمه، إنّما هو رمز لذبيحة الجلجلة. وذبيحة المسيح في الجلجلة الرهيبة هي رمز لسرّ الشكر، لأننا نقدّم المسيح نفسه على الدوام". وبعد الجلجلة نبلغ إلى القيامة: "لا يتضمّن سرّ الفصح أكثر ممّا تتّممه الآن. إنّهما واحد. إنّها نعمة الروح القدس نفسها، التي هي الفصح على الدوام"^{٥٥}.

وسرّ الشكر هو فصح الكنيسة المستمرّ، هو ابتداء الدهر الجديد الذي يصبّ في الدهر البعتيق ويجدّده، إنّهُ الحضور المواهبي للملكوت الآتي: "وما برحت تصنع كلّ شيء حتّى أصدقتنا إلى السماء ووهبت لنا ملكك العتيد". لقد منح المسيح الملك العتيد في الوقت الحاضر، وهو يعطينا المقدرة أن نسرع الخطى نحو السماء: "قد جعل

الطريق إلى السماء ممكناً سلوكه^{٥٦}. وهناك ما يبعث على الرهبة أكثر: يؤهلنا لنقبل في داخلنا سيد السماء.

في القدّاس الإلهي هناك ما هو قريب وما هو بعيد، هناك البداية والنهاية، فالقدّاس الإلهي هو سرّ المسيح، كما أنّ المسيح هو الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية، كذلك هو القدّاس الإلهي الذي هو التثام الزمان والمكان في المسيح، وتجليهما مكاناً وزماناً ليتورجيين: "فصح الربّ يُقدّم، الأزمنة تجتمع، المسافات تتوحد وكلمة الله، بينما هي تعلّم المؤمنين، يُسرّ. بالكلمة يتمجد الآب الذي يليق له المجد إلى الدهور. آمين^{٥٧}."

٥. ب - القدّاس الإلهي تجلّ للثالوث

التدبير الإلهي كشف لمحبة الاله المثلث الأقانيم للانسان: كلمة الله غدا عامل خلاصنا بذاته، الآب يسرّ بعمل الابن، والروح القدس يشترك في العمل. إنّ التجلي الإلهي، تجلي الاله - الانسان بالجسد من العذراء، حاصل بإرادة الآب، بتجسد الابن، وبمشاركة الروح القدس^{٥٨}.

سرّ التدبير الإلهي هو ظهور إلهي ثالوثي، وبالتالي فالقدّاس الإلهي - الذي هو بشكل خاصّ عيش مواهبي للسرّ مختبر على الدوام - هو أيضاً تجلّ إلهي ثالوثي. والكاهن في القدّاس الإلهي "يكشف لنا النقاب عن الثالوث القدّوس"، كما يقول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي^{٥٩}.

يساعدنا القدّاس الإلهي، من بدايته الى نهايته، على عيش سرّ الحضور الثالوثي. يبدأ الكاهن: "مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس"، لأنّ البشر بتجسد الربّ أدركوا للمرّة الأولى أنّ الله هو ثلاثة أقانيم. أمّا ما يتمّ في القدّاس الإلهي فهو "مقاربة أسرارية لتجسد الربّ. وبالتالي فمن الضروري، منذ بداية القدّاس، أن يسطع الثالوث القدّوس ويعتلن^{٦٠}."

ويتبع الاعلانات الثالوثية، الأنديفونات الثلاث والتسبيح المثلث تقديسه الذي يسبّح "الثالوث المحيي". وعندما نقترّب من مركز السرّ، يقول الكاهن: "نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس".

ثمّ نشكر الله على كلّ ما صنّعه محبته من أجلنا: "أنت أبرزتنا من العدم إلى الوجود، ولما سقطنا عدت فأقمتنا، وما برحت تصنع كلّ شيء حتى أصعدتنا إلى السماء ووهبت لنا ملكك العتيد. فمن أجل كلّ ذلك نشكرك أنت وابنك الوحيد وروحك القدّوس على كلّ الاحسانات الواصلة إلينا". بعد الشكر نتوسّل إلى أبي الأنوار أن يرسل المعزّي ليقدّس تقدمة الابن؛ ويأتي المعزّي بصوت منخفض خفيف ليصنع "معجزة الأسرار": يهبنا المسيح ويمتلي كلّ شيء من نور الألوهة المثلثة الشموس. وأمّا نحن، ضيوف المحبة الثالوثية، فنتناول جسد المسيح المقدّس ونغذو هيكل الثالوث الكليّ قدسه، لأنّه بينما هو واحد الذي فينا، فإننا نتحدّث عن ثالوث^{٦١}. جسد المؤمن يغذو مقام الاله الثالوثي: "المسيح وأبوه والمعزّي مقيم فيه" هذا ما يقوله الذهبي الفم للذي تناول المسيح^{٦٢}.

في نهاية القدّاس الإلهي، تفيض بالنور النفس الحاملة المسيح الثالوثي: "قد رأينا النور الحقيقي وأخذنا الروح السماوي ووجدنا الايمان الحق، فلنسجد للثالوث غير المنفصل لأنّه خلّصنا".

٥. ج - القدّاس اجتماع الأرض والسماء

حضور الاله الثالوثي يعطي الاجتماع الشكري أبعاده الحقيقية: إنه اجتماع الأرض والسماء.

المكان الذي فيه يتمّ استدعاء الروح القدس يغذو "مسكن الله مع الناس". الخليقة، مع الانسان، ترفع التمجيد لله؛ الكلّ يلتئم حوله، "حول المذبح الذي أمام عرش الله"^{٦٣}. الله، كما يكتب القدّيس ديونيسيوس، الذي "هو الحسن الفائق على السموات،... يجمع الكلّ إليه"^{٦٤}.

الخليقة كلها تلتئم، وتشكر الله. هذا هو بالضبط القداس الالهي: التمام الكلّ حوله ومسيرتهم نحو ملكوت الاله الثالوثي. ويسمّي الذهبيّ الفم وآباء قديّسون كثيرون، القداس الالهي: "السير معاً"، وذلك لأنّ الكلّ يسير، الواحد مع الآخر، نحو الله: "لا يلتفتنّ أحد من أولئك الذين يتناولون فصح سرّ الشكر. هذا، إلى مصر، بل إلى السماء، إلى اورشليم العلوية"^{٦٥}.

القداس الالهي هو حضور المسيح: "عند اقترابك من المائدة المقدّسة، آمن أنّ ملك الكلّ حاضر هناك"^{٦٦}. المسيح "الجامع الخليقة قاطبة إلى التمام"، يجمع حول المائدة المقدّسة و"يشدّ الكلّ بعري وثيقة إلى عنايته، الواحد مع الآخر ومعه هو"^{٦٧}.

إلى جانب المسيح، هناك السيّدة العذراء. حتّى قبل أن يقيم المسيح عشاءه، فإنّ سرّ خلاصنا قد تحقّق في العذراء - بقوة الروح القدس: "صار حشاك مائدة مقدّسة تحوي الخبز السماوي"^{٦٨}. في القداس الالهي، ملكة السموات هي عن يمين الملك، "لأنّه حيث المسيح... هناك تقف العذراء... لأنها بالحقيقة عرشه، فحيث يجلس الملك ينتصب عرشه"^{٦٩}.

العالم الملائكيّ محفل محيط بالمسيح. يسير الربّ نحو الجلجثة "محفوظاً من المراتب الملائكيّة"، وعند التقدمة تعظّم الملائكة معنا صلاح الله.

ويشارك، في القداس الالهي، مع القوّات الملائكيّة، "محفل القديسين". حول المائدة، إلى جانب المسيح، هناك محفل القديسين غير منفصل عنه"^{٧٠}. الاجتماع الشكري هو عيد ظفر المسيح، وكلّ الذين ساروا معه يكونون معه في هذه الساعة: "لأنّه كما، عندما ينتصر الملوك، يُكرم ويُمدح كلّ من ساهم في صنع الظفر... هكذا أيضاً هنا: خدمة القداس الالهي هي زمن الظفر"^{٧١}.

في القداس الالهي، الراقدون من إخوتنا حاضرون أيضاً، إخوتنا الذين نطلب لهم رحمة الله. لأنّ ذكرنا إياهم في القداس الالهي، هو بالنسبة لنفوسهم "ربح كبير وفائدة عميمة"^{٧٢}.

الكلّ يعيّد معاً: السماء والأرض، الملائكة والبشر، الأحياء والراقدون. والكلّ يشكر الربّ على محبّته. "الأرض والبحر، الأماكن المأهولة وغير المأهولة، الكلّ يرفعون التسبيح إلى الأبد ويشكرون، يحدوهم إلى ذلك شعور الامتنان لأجل الخيرات الإلهية التي اقتبلوها". الكلّ يشكر: "للجالس على العرش وللخروف، البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين"^{٧٣}.



شمار القدراس الالهى

٦. أ - اتحاد المؤمن بجسد المسيح

في سرّ الشكر الالهى، يهب المسيح جسده المقدّس ودمه الكريم إلى الانسان لكي يصير "شريك جسده ودمه"، المسيح نفسه، في حديثه الأوّل عن السرّ، قال: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه"^{٧٤}.

الانسان يقتبل في ذاته المسيح، والمسيح يقتبل الانسان. المسيح هو، في الوقت عينه، البيت والساكن فيه. في هذا دليل على محبة المسيح للانسان. من الضروري أن ندرك، كما يقول الذهبيّ الفم "ماهية عجيبة الأسرار. لماذا مُنحت، وما النفع منها": نغذو جسداً واحداً، أعضاء جسده وعظامه هو. ويتابع: "حتى نغذو جسداً واحداً مع المسيح وحده، ليس فقط بما يختصّ بالمحبة بل بشكل جوهريّ، فلنتحد بجسد المسيح. لأنّ هذا الأمر يتحقّق بالغذاء الذي وهبنا إيّاه، راغباً أن يبرز لنا محبته التي يكتنّها لنا". ويخلص إلى القول: "لهذا أتحّد نفسه بنا وصار جسداً واحداً معنا، وذلك كي نكون واحداً معه، كما الجسد والرأس. لأنّ هذا هو برهان الذين يحبّون بحرارة"^{٧٥}.

المؤمن، بالمناولة الالهية، يغذو مع المسيح جسداً واحداً، مزيجاً واحداً، جيلة واحدة. ليس بشكل نظري، "بل هو حقيقي". محبة المسيح، كما يقول الذهبيّ الفم، لم تكتفِ بحدث التجسّد والآلام والدفن. والربّ يتقدّم ليمنح سرّ الشكر، وذلك كي يصير الانسان مسيحاً. في سرّ الشكر الالهى "يجبل الله نفسه معنا، وليس فقط

بالإيمان، بل حقيقةً، إذ يجعلنا هو جسده الخاصّ نفسه^{٧٦}. وقد سمع الذهبيّ الفم قول المسيح: "لا أرتبط بك هكذا في شكل بسيط، بل أصير مأكلًا، حياكة، قطعاً صغيرة، حتى تغدو الوحدة أعظم، والخليط أفضل، والحياكة أمتن. لأنّ تلك التي تتحد تحافظ على حدودها، أمّا أنا فإنّي أنسج معك، أيّ إنّي لا أشاء أن يفصل بيننا أمر ما. أريد أن يكون الاثنان واحداً". بين المسيح والمؤمن، ما من شيء وسيط، كلّ شيء ذاب وسط نار محبته: "نحن والمسيح واحد"^{٧٧}.

وأقوال القدّيسين ليست عبارة عن جمالات أدبيّة غايتها أن تدهش المستمع، بل هي فيض من قلب طفح بحب المسيح، وداخل فيض الحياة والنور هذا، كلّ الانسان يشعّ ضياءً، كلّ أعضائه تنبض حياة، وكذلك العالم حيث يعيش القدّيس، يتحرّك هو أيضاً ويمتلئ من نور المسيح.

بتقدمتنا لله خبزاً وخمراً، انما نقدّم العالم الذي يغدو سرّ شكر: "عندما يقبل كلمة الله، كلّ من كأس الخمر قبل مزجه بالماء والخبز المصنوع، أي عند استدعاء الروح القدس، تصير هذه العناصر إفخارستيا، أي سرّ شكر، وبمعنى آخر جسد المسيح ودمه"^{٧٨}. بانحدار الروح القدس "علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه"، يتقدّس الانسان ويغدو مسيحاً، والخلقة تتقدّس وتتجدّد. يغدو الانسان، بالنعمة، مسيحاً والعالم يصبح "بيت الله". ويغدو السرّ "البوابة" التي منها يدخل المسيح إلى الانسان والعالم: "هذا الطريق، طريق الأسرار المقدّسة، أطلعه لنا المسيح بحضوره إلينا، وهذه "البوابة" انفتحت بدخوله إلى العالم. ولما صعد إلى الآب، لم يقبل أن يغلق هذه البوابة، فقد تنازل من حضن أبيه، وعبر هذه البوابة، ليفتقد البشر"^{٧٩}.

في احتفال الافخارستيا القيامي، أيّ القدّاس الإلهي، كلّ شيء يتجدّد: والعالم يقبل من جديد بركة الله، والانسان نفسه يغدو مسيحاً. على هذا النحو نحيا تدشين الدهر الجديد وبدايته. إنّها بداية اليوم الأخير، عندما سيأتي السيّد "ويحيط به محفل العبيد الصالحين، فيضيئون أيضاً كما يضيء ذاك". الاله - الانسان سيكون عندئذ "إلهاً بين آلهة. جمال الجمال وقمة الاحتفال"^{٨٠}.

٦. ب - إلتام الكنيسة

وعندما يجتمع المؤمنون في مكان معين وفي وقت محدد لإقامة سرّ الشكر، فإنّ اجتماعهم هذا يُظهر سرّ الكنيسة. الكنيسة وسرّ الشكر هما جسد المسيح، المسيح نفسه. ومن خلال اتّحادنا بالكنيسة "قد جعلنا المسيح جسداً خاصاً به هو، ومن خلال سرّ الشكر وهبنا جسده الخاص"^{٨١}.

العشاء السريّ هو البداية التاريخية لسرّ الشكر وللكنيسة معاً. في عشاء المسيح تسود ذبيحته على الصليب. وبالضبط، فإنّ ذبيحة الربّ على الصليب، أي محبّته الإلهيّة التي تبلغ "إلى المنتهى"، هي الأساس الذي تُبنى الكنيسة. الدم والماء اللذان خرجا من جنب السيّد عندما طعنه أحد الجنود بالحربة، هما رمز لسريّ المعموديّة المقدّسة والقُدّاس الإلهيّ. من هذين السّريّين تولد الكنيسة: "وخرج من جنبه دم وماء". لا تتهاون بالسّرّ، أيّها الحبيب، فإنّ عندي سرّاً آخر أفصح عنه، أعني بذلك رمز المعموديّة والأسرار (أي سرّ الشكر). منهما تولد الكنيسة: "خرج دم وماء". هنا بداية الأسرار^{٨٢}.

تولد الكنيسة من المسيح وتتغذى منه: "أولئك الذين ولدهم المسيح - في سرّ المعموديّة - يغذيهم هو من نفسه". هذا الغذاء الإلهيّ يبني الكنيسة ويبرزها جسد المسيح: "بجسد المسيح نتغذى نحن المؤمنون، وبه نصير واحداً. وقد صرنا جسد المسيح الواحد وبشركته الواحدة"^{٨٣}. ويكتب بولس الرسول: "فإنّا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد"^{٨٤}. الكثيرون، بالخبز الواحد، المسيح، يؤلّفون جسداً واحداً هو الكنيسة. هكذا، فإنّ كلّ اجتماع شكريّ هو اجتماع الكنيسة قاطبة، لأنّ سرّ الشكر هو سرّ المسيح.

المسيح، بتجسّده "حمل على ذاته جسد الكنيسة" و"حضر إلى بيتها الخاص، فوجدها غير طاهرة، عارية، مضرّجة بالدماء، فغسلها (بالمعموديّة المقدّسة)، وغدّاها (بالمناولة المقدّسة)، وألبسها رداءً لا مثيل له: هو نفسه غدا حلّة الكنيسة وأخذ بيدها ورفعها إلى العلى"^{٨٥}، ويقودها إلى الملك السماويّ حيث يجري القُدّاس الإلهيّ.

الباب الأول

الاستعداد للقُدَّاس الإلهي

"ما من أحد مستحقّ للإله العظيم، الضحيّة ورئيس الكهنة في الوقت عينه، طالما أنه لم يقدّم نفسه أولاً ذبيحة إلى الله حيّة مقدّسة".

القديس غريغوريوس اللاهوتي

.....

١ ترتيب أخذ الكيرون

يجب على الكاهن العازم ان يخدم الأسرار الالهية، أن يكون قبل الخدمة، متسالماً مع الجميع، طاهراً نفساً وجسداً، لا يضمّر لأحد سوءاً، بعيداً عن الأفكار الشريرة، ومواظباً في ليلة الخدمة على الامساك وغير متوانٍ عن الموعد المضروب للخدمة.

■ استعداد الكاهن

الكاهن هو خادم سرّ خلاص الانسان. وبخدمته هذه، ينفصل الانسان عن عالم الخطيئة ويتّجه نحو الله. وهدف الخدمة الكهنوتية هو "أن يعطي النفس أجنحة، أن ينتشلها من العالم، ويهبها لله... وأن يجعل المسيح، بنعمة الروح القدس، مقيماً في قلوب المؤمنين... وان يؤلّه الانسان".

الانسان، بمعونة كاهن الله، يرتفع إلى "الغبطة العلوية". والخدمة الكهنوتية هي تجسيد للرسالة النبوية: يا إخوة، "اقتربوا من الجبال الأبدية"^{٨٦}.

بخدمته، يُظهر الكاهن للعالم الحياة الجديدة التي منحنا إيّاها المسيح، أي حياته هو. ولما كان القدّاس الالهي السرّ الذي به تُعطى حياة المسيح للمؤمنين، فهو في الوقت عينه محور الخدمة الكهنوتية.

الخطوة الأولى التي تقود الكاهن إلى المذبح المقدّس هي المحبة وعدم الاساءة لأحد. هذا ما يطلبه المسيح منه: "فإن قدّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أنّ لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدّام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك.

وبعدها تعال وقدم قربانك". ويندهش الذهبيّ الفم من محبة المسيح فيقول: "يا لهذا الصلاح! يا لهذه المحبة الفائقة الوصف تجاه البشر! تلك المحبة التي تتجاهل ذاتها في سبيل محبة القريب". هذا ما يقوله لنا المسيح: أمّا عبادتي فلتتوقف لبعض الوقت حتى تصان المحبة بينكم، "وأن تتصالح مع أخيك هو بالحقيقة أمر يساوي تقديم قربان إلى الله". وتبعاً للذهبيّ الفم، فالله يريد أن يعتبرها ذبيحة تفوق كلّ ذبيحة أخرى. فإذا انعدمت المحبة، فالذبيحة نفسها مرفوضة... لأنّ المائدة الشكرية لا تقبل الذين يغضون بعضهم بعضاً^{٨٧}.

في كتاب "الليموناريون" ترد الحادثة التالية: "في جزيرة قبرص مدينة تدعى أماثوس حيث صار أسقفاً الكليّ الشرف يوحنا. ويعجز المرء عن وصف أعمال هذا الرجل الإلهية لا سيّما محبته العظيمة التي كان يكتنّها للقريب، وتغافله عن إساءة الآخرين إليه. وكان لديه شماس هو ناظر للأسقفية. تمادى هذا الأخير مرة في حديثه مع الأسقف وشتمه وجهاً لوجه. حدث ذلك في أحد الأعياد، في الوقت الذي كان يجب أن يقيم الخدمة الإلهية. فلما حان وقت التقبيل حتى يأخذوا الكيرون ويلبسوا الحلل الكهنوتية، خجل الشماس لما تفوّه به تجاه أسقفه ولم يشأ أن يشترك في الخدمة. فعمد الأسقف في ذلك الحين، كراع صالح، إلى طلب الخروف الضالّ قائلاً: "لن يقام اليوم القدّاس إذا لم يحضر إلى هنا الشماس أبيفانيوس". فلما حضر الشماس، قبله ذلك الراعي الصالح وصنع له مطانية كما لو كان هو المخطيء. وإذا انتهوا من لبس الحلل الكهنوتية، أمر أن تعطى له "المروحة" حتى يشترك معه في الخدمة الإلهية. وبعد الانتهاء من الخدمة دعاه إلى مائدة الطعام، ومن بعد تناول الغداء قدّم إليه استيخارة من الحرير وصرفه بسلام. أمّا أقرباء الأسقف فامتعضوا، قائلين له: "إن كنت لا تفرض هيبتك على الوقحين، فسيحتقرك الجميع". فوبّخهم رجل الله بصرامة مخاطباً إيّاهم بنبرة سيّدية قائلاً: "أنتم لا تدركون ما تقولون، ولا تعرفون أنّ الربّ إذا شتم لم يكن يشتم... صدقوني يا أبناءني أنني قد اعتدت الابتهاال إلى الله من أجل حقارتي ومن أجلكم، وذلك عندما أعزم على تقديم الذبيحة غير الدموية، وقبل البدء بترتيب خدمة الذبيحة. أمّا اليوم، في الوقت الذي شرعت فيه تلاوة الصلاة، مبتهالاً بدموع

سائلاً الرب أن يرحم الشَّمَّاس ويغفر له، عاينت نعمة الله مستنيرة فوق المذبح. فإذا رغبتم، أنتم أيضاً، أن تؤهّلوا لمثل هذه المشاهدة، قدّموا ذبائحكم إلى الله بصدق دون أن تذكروا إساءة الآخرين إليكم، لأنّه ما من طريق أقصر من هذه تؤدّي إلى الله^{٨٨}.

■ ثابت قلبي يا الله

على الكاهن، قبل تقديم الذبيحة الشكرية، أن يقدم نفسه ذبيحة: "ما من أحد مستحقّ للاله العظيم، الذبيحة ورئيس الكهنة في الوقت عينه، طالما لم يقدم نفسه أولاً ذبيحة إلى الله حيّة مقدّسة"^{٨٩}. هذه الذبيحة الذاتية تطهّر الكاهن كلّهُ، نفساً وجسداً. والله يرتضي الذبيحة التي تقدّمها إليه أياد طاهرة ونقيّة و"ذهن سام وغير مُعاب في شيء"^{٩٠}.

والكاهن الذي يقترب من الأسرار الطاهرة ولم يسبق له أن قدّم نفسه ذبيحة، لا يقترب من النور الحقيقي، بل من نار محرقة: "أنت يا من جعلت أهلاً لنعمة الكهنوت الإلهية الشريفة، كما يقول البار ثيوغنستوس، يجدر بك قبل كلّ شيء، ان تقدّم ذاتك ذبيحة بموت الأهواء، عندها تجرّو على الاقتراب من الذبيحة الرهيبة الحاملة الحياة، إذا كنت لا ترغب أن تحرقك النار الإلهية كمادة سريعة الاحتراق". إذاً، نحن نقدّم ذواتنا ذبيحة بموت الأهواء، أي بالتوبة. وطريق الذبيحة هو طريق التوبة، لذلك ينصح البار ثيوغنستوس الكاهن: "عندما تصير أكثر بياضاً من الثلج، ساكباً مجاري الدموع، عندها تقدّم من القدسات كقديس، بضمير قد ابيضّ بالتطهر"^{٩١}، "لأنّ الذين يكهنون لله الكلّي القداسة، يجدر بهم أن يكونوا قديسين"^{٩٢}.

وفي المساء الذي يسبق القدّاس الإلهي، يقف الكاهن وحده، وجهاً لوجه أمام الله، ينقي قلبه من كلّ المشاعر التي تبرّد المحبة، يصوم عن الأفكار الشريرة وعن الأطعمة، يسهر، وفي الصباح، في الكنيسة يبادر إلى طلب القوّة السماوية حتّى

يستطيع الاقتراب من المذبح المقدّس ويقول للربّ: "ثابت قلبي يا الله. انشد وأرّنم، كذلك مجدي" ٩٣.

ثمّ حين وقت أخذ الكيرون، يخرج الكاهن والشمّاس ويقدمان المطانيّة أمام كرسي رئيس الكهنة. بعد ذلك يقفان أمام الباب الملوكي ويسجدان ثلاث مرّات قائلين: يا الله اغفر لي أنا الخاطيء وارحمي.
ثمّ يقول الشمّاس: بارك، يا سيّد.
والكاهن يقول: تبارك الله إلهنا كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.
الشمّاس: آمين.
الكاهن: المجد لك أيّها المسيح إلهنا، المجد لك. أيّها الملك السّماوي... الخ
الشمّاس: قدّوس الله، وما يليها.
الكاهن: لأنّ لك الملك...
الشمّاس: آمين.

❖ نصنع يوماً جديداً خلاصياً

وبعد ان يتهيا الكاهن روحياً وجسدياً، ينتظر حلول وقت إقامة القدّاس الإلهي، وعندما يحين الوقت، يأخذ "الكيرون" مع الشمّاس.

"الكيرون" هو خدمة مقتضبة تقام أمام الباب الملوكي ٩٤. هذه الخدمة هي فاتحة تبشيرية بالقدّاس الإلهي، ترمز إلى "زمن حضور المسيح إلينا" وتذكّرنا بأنّه قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ٩٥. هكذا تهيننا لاستقبال ملكوت المسيح، لاشتراكنا في عشاء ملكوته.

في لحظة محدّدة من التاريخ، وفقاً لمشورة الله الأزليّة، "يأتي الأزلي ويتجسّد الكلمة". الاله الأزلي يصير صبيّاً جديداً. القديم الأيام يأتي إلى العالم ويجدّد كلّ

شيء. حياة جديدة، ملكوت جديد، زمن جديد: لما حان أوان حضورك إلى الأرض... جددت طبيعة مملكته الأزلية^{٩٦}.

وحدث تجدد الكلمة يسطر زمناً جديداً. المتعالي على الزمن يتشبع بالزمن كثوب، والزمن يستضيف المنزلة عن الزمن. والسدة الاله تصير المكان حيث تتجدد الطبيعة والزمن أيضاً. ونحن، في هذا الزمن الذي جرى تجديده، نعيش الحدث الجديد - ظفر المحبة على الزمن والموت: "إننا معيدون لإماتة الموت... ولباكورة عيشة أخرى أبدية، متهللين ومسبحين من هو علة هذه الخيرات"^{٩٧}.

بعد قيامة المسيح، سادت الحياة على الموت، ودخلت الابدية الى الزمن. ظفر المسيح هذا، هو ما نعيد له في القداس الالهي، لأن القداس الالهي هو فصيح مستمر: "هو فصيح دائم". لذلك فإن يوم السر الشكري هو بامتياز يوم قيامة الرب، يوم الأحد. انه اليوم الثامن الذي يرمز إلى تجاوز الزمن، لأنه هو اليوم الأول للخلقة، وفي الوقت نفسه اليوم الثامن للملكوت. انه اليوم الذي لا يعرفه مساء، ولا يعقبه يوم آخر، ولا نهاية له^{٩٨}. انه اليوم "الذي لا بدء ولا نهاية له. وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً انما سيأتي إلى الوجود بعد حين، بل هو كائن قبل الأزمنة، وهو الآن، وسيكون إلى الأبد"^{٩٩}.

حول مائدة الحياة "نصنع يوماً جديداً خلاصياً"^{١٠٠}. يوم القداس الالهي هو اليوم الثامن، يوم الدهر الآتي الذي صار كله يوماً واحداً، ويأتي عندما "يتوقف سيل جريان هذا الزمن العابر"^{١٠١}. يوم القداس الالهي هو يوم الملكوت الذي يأتي وهو الآن^{١٠٢}؛ لأننا في القداس الالهي نعيش ما مضى، ونشكر على الآيات التي منحنا إياها الله: "نشكر لأنك... وهبتنا ملكك الآتي".

ويكتب القديس مكسيموس، أنه، كما ان الأنبياء سبقوا حضور المسيح بالجسد، وهدوا كثيرين من الناس إليه، هكذا فإن المسيح بتجسده صار "سابقاً لحضوره الروحي ويربّي النفوس بأقواله، وذلك كي تتقبل حضوره الالهي العلني. وهذا الأمر يتحقق على الدوام عندما يحول المستحقين، بالفضائل، من جسديين إلى

روحانيين من جهة، ومن جهة أخرى سيتحقّق في نهاية الدهر عندما سيكشف جلياً كلّ ما كان محجوباً قبلاً عن الجميع^{١٠٣}.

في القدّاس الإلهي "الكائن" و"الذي كان" يكشف لنا "الذي يأتي"، لأنّ القدّاس الإلهي هو إمكانيّة عيش السرّ الذي لا يعبر عنه، سرّ اتّحاد الكائنات بالله، السرّ الذي سيتحقّق في ملئه في الدهر الآتي^{١٠٤}.

القدّاس الإلهي هو التّمام: كلّ أبناء الله يلتئمون حوله، هناك حيث يشتركون في عمل واحد، السماء والأرض، الماضي والمستقبل. كلّ شيء يلتئم حوله، وإذا يقبل الجميع النور الحقيقيّ يمتدّون ليس فقط إلى أقاصي المسكونة، بل إلى مدى الدهور أيضاً^{١٠٥}.

ثمّ تقال هذه الطروبانيّات بخشوع.

الكاهن: إرحمنا يا ربّ ارحمنا، لأنّنا فاقدون كلّ جواب، لهذا نقدّم لك هذا التضرّع نحن الخطاة أيّها السيّد فارحمنا.

الشّمّاس: المجد.... إرحمنا يا ربّ لأنّنا عليك اتكلنا، فلا تسخط علينا جدّاً ولا تذكر آثامنا. لكن اطلع الآن بما أنّك متحنّ، وخلّصنا من أعدائنا لأنّك أنت إلهنا، ونحن شعبك وكلّنا صنع يديك، وباسمك ندعو.

الكاهن: الآن... افتحي لنا باب التحنّ يا والدة الاله المباركة، لأنّنا باتكالنا عليك لا نخيب وبك ننجو من الشدائد لأنّك أنت خلاص لكلّ المسيحيين.

مع تلاوة هذه الطروبانيّة يُجرى فتح الباب الملوكي.

❖ والدة الاله: البوابة النازرة إلى الشرق

البوابة التي ولجها المسيح ليأتي إلى العالم، كانت محبته للعالم. إلى هذه المحبة الإلهية يتوجّه القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث كي تصير لنا البوابة المفتوحة التي تحمل

المسيح إلينا: "يا لهذه المحبة الإلهية، أين تحوين المسيح؟ أين تحجبينه؟ افتحي لنا أنت، إذ غدوتِ بابه لاستعلانه بالجسد، أنت التي اقتحمت أحشاء رافة سيدنا لكي تحمل خطايانا وأمراضنا... أقيمي فينا نحن المتواضعين حتى تلاقي السيد عندما يأتي لإفتقادنا"^{١٠٦}.

وبوابة المحبة هذه، التي عبرها المسيح ليأتي إلى العالم، تشرعها لنا والدة الإله. وبالأحرى، فإنها - أعني والدة الإله - هي نفسها، بمحبتها الوالدية، البوابة التي يلجها المسيح. بخدمتها سرّ التدبير السيديّ، أصبحت العذراء الباب الذي ينظر إلى الشرق: الباب الذي منه أشرق للبشر الحياة وغلبت الموت: "الباب الناظر إلى الشرق، الذي منه تشرق الحياة للبشر، ويشرف غروب الموت على نهايته"^{١٠٧}. وفي يوم مولدها، تطرب الكنيسة معيدة لولادة الباب الناظر إلى الشرق، وهي تنتظر دخول الكاهن العظيم، وهي المعبر الواحد والوحيد الذي به يحضر المسيح إلى المسكونة من أجل خلاص نفوسنا^{١٠٨}.

الفائقة البركات هي الباب الوحيد الذي منه يشرق النور، نور الرحمة الإلهية. بها حصل الإنسان على رحمة السيّد الضابط الكل: "بك رُحمتُ طبيعة البشر... آيَّتها الكلية الطهارة، الوادة التحنن"^{١٠٩}. لذلك، قبل شروعا بالقداس الإلهي، نسأل الكلية القداسة أن تفتح لنا باب محبتها الوالدية كي يدخل المسيح إلينا وندخل نحن إليه.

الشماس: يا ربّ ارحم (١٢ مرة). المجد والآن.

ثم يرسم الكاهن والشماس الصليب ويصنعان ثلاث مطانيات. وبعد ذلك يقبلان أيقونة السيّد قائلين: لصورتك الطاهرة نسجد أيّها الصالح طالين مغفرة زلاتنا أيّها المسيح الإله. لأنك بمشيئتك ارتضيت أن تصعد بالجسد على الصليب لتنجّي جبلتك من عبودية العدو، لذلك نهتف إليك بشكر، لقد ملأت الكلّ فرحاً يا مخلصنا، إذ أتيت لتخلص العالم.

ثم يقبلان أيقونة السيِّدة قائلين: يا والدة الإله، بما أنك ينبوع التحنن، أهّلينا للترثي والاشفاق وانظري إلى شعب خاطيء وأظهري اقتدارك كما هو دأبك لأننا عليك اتكلنا هاتفين: السلام عليك كما هتف مرة جبرائيل رئيس مراتب العادمي الأجساد.

ثم يقبلان أيقونة السابق قائلين: تذكّار الصديق بالمديح...
وايضاً يقبلان أيقونة القديس صاحب الكنيسة ويقولان طروباً باريته.

✦ الصليب: مجد الابن الوحيد

والمؤمن عندما يرسم إشارة الصليب يشرّ بغلبة المسيح على الموت وعلى الشيطان. وكما يقول الذهبيّ الفم: الصليب "صار للكثيرين ركن بركة عظيمة وسور أمان من كلّ خطر، وضربة قاضية للشيطان... الصليب أبطل الموت... وأنقذ المسكونة قاطبة التي كان حُكم عليها بالموت". الصليب "أعاد فتح أبواب السماء، وجعل المتخاصمين أصدقاء وأعاد طبيعتنا إلى السماء وأقامها عن يمين عرش الله" ١١٠.

بالصليب انكشفت محبة الإله الثالوثي نحو الإنسان: "الصليب هو إرادة الآب، ومجد الابن الوحيد، وابتهاج الروح القدس" على حدّ تعبير الذهبيّ الفم. وهو أيضاً "زينة الملائكة، أمان الكنيسة، فخر الرسل، سور القديسين، ونور المسكونة قاطبة" ١١١. لهذا السبب "يواظب المؤمنون على رسم إشارة الصليب على المكان الأبرز من جسداهم، ويرسمونه على الدوام على جباههم كما على عمود" ١١٢.

ويقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث: "إنّ المسيحيين، إذ يؤمنون بالمسيح، يرسمون إشارة الصليب على أنفسهم، ليس عشوائياً، بل بكلّ انتباه وفهم وخافة وتقوى... لأنّه بحسب الوقار الذي يكنّه كلّ واحد منهم للصليب، يلمس قوّة الله ومعونته، الذي له المجد والقوّة إلى الدهر. آمين" ١١٣.

✠ مجدوا الله في أجسادكم

عندما تطرّقنا إلى استعداد الكاهن قبل القدّاس الالهّي، أشرنا إلى أنّه يتهيّأ روحياً وجسدياً فيصوم، ويسهر، ويصلي. بديهي أن يكون الاستعداد متشابهاً لدى كلّ مؤمن سيشترك بمائدة الحياة. والجسد كما النفس، يتهيّأ للتقدمة الشكرية، ويستعدّ لقبول الزائر السامي، المسيح. ليس الجسد إذاً، مجرد مشاهد للقدّاس الالهّي يتلقّى دون أن يفعل، بل يشترك عملياً وفعلياً في إنجاز القدّاس الالهّي وتحقيقه.

ويقول لنا بولس الرسول إنّ جسدنا هو هيكل الروح القدس الذي يحثنا على تمجيد الله داخل هذا الهيكل: "مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" ١١٤. فعلاً، إنّ جسد المؤمن، يصير في القدّاس الالهّي المكان الذي يمجّد الرب. نمجّد الرب بالكلام وبالصمت، بالحركة وبالسكون.

في ذلك الحين، وبينما يستعدّ الكاهن والشمّاس لتقبيل أيقونة المسيح والعذراء والقديسين، يرسمان إشارة الصليب ويصنعان ثلاث مطانيات.

والمطانيات التي نقوم بها على نوعين: الصغيرة منها (وهذا ما يقصد به هنا) والكبيرة. عندما نصنع مطانية صغيرة، نرسم إشارة الصليب ونحنّي أمام الربّ أو القديسين. أمّا المطانية الكبيرة، وتدعى أيضاً ركعات، فنسجد إلى الأرض - هنا الخليقة تسجد لعظمة الخالق. ويقول الانجيلي يوحنا، في الفصل الخامس من سفر الرؤيا عندما يتحدّث عن الليتورجيا في الملكوت، إنّّه، عندما أخذ الخروف (المسيح) السفر المختوم بسبعة ختم، خرّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف، ولهم كلّ واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين. والحيوانات الأربعة ترمز، على حسب ما يقول المفسّرون، إلى عالم الملائكة، وأمّا الشيوخ فيرمزون إلى الكنيسة الظاهرة. هكذا إذاً، مع الملائكة والقديسين نسجد، نحن المؤمنون المجاهدين على الأرض، للخروف الذي بذبحته رفعنا إلى عرش الله. نسجد إلى الأرض، نعفر جباهنا بالتراب، نصير نحن أنفسنا تربة صالحة لاستقبال المسيح.

الجسد يشترك في عبادة الله. القدّيس غريغوريوس بالاماس في جوابه على الهرطوقي برلعام الذي يصرّ على ادّعائه بأنّ القوى المشتركة للنفس والجسد تشكّل عائقاً للصلاة، يكتب مايلي: "رب قائلٍ ممّن يأخذ بهذا الرأي يقول انه لا يصوم كلّ من يمارس الصلاة الذهنيّة، ولا يسهر ولا يصنع مطانيات، ولا يفتش الأرض لينام، ولا يصبر على الوقوف طويلاً"، ولكن، كما يقول الأب المتوشّح بالله: "عندما نصلي، نحتاج دون أدنى شكّ إلى التعب الجسديّ الذي يولّده السهر والصوم وما إليهما" ١١٥.

■ الأيقونة: طريقة للحفظ ووسيلة للتذكير

نسجد في البداية لأيقونة السيّد الطاهرة، ثم لأيقونة والدة الاله الكليّة القداسة، ولأيقونة السابق المجيد، ولأيقونات القدّيسين. نسجد للأيقونات المقدّسة ونستحضر إلى ذهننا كلّ التدبير الإلهي: ان "كلّ أيقونة مقدّسة هي وسيلة للتذكير وطريقة للحفظ. وكما الكتاب المقدّس للذين يجيدون القراءة، هكذا الأيقونة للأميين، وكما الكلمة للسمع، هكذا الأيقونة للنظر" ١١٦.

يرد في قنّداق أحد الارثوذكسيّة أنّ أيقونة السيّد الأولى أظهرت بتجسّده، ووالدة الاله كانت أوّل مصوّر للأيقونات: "إنّ كلمة الآب غير المحصور، صار محصوراً بتجسّده منك يا والدة الاله، وأعاد صورتنا المقدّسة إلى جمالها الأوّل، وأقرنها بالجمال الأوّل. لذلك نعتزّ بالخلاص ونذيع به بالقول والفعل معاً".

القدّاس الإلهي هو سرّ خلاص الانسان. وكلمة الانجيل والأيقونات المقدّسة تساعدنا على عيش هذا السرّ، وتدخلان بنا إلى حدث التدبير الإلهي: "فبينما العين الجسديّة تشخص إلى الأيقونة، تتجه عين النفس نحو سرّ تدبير التجسّد" ١١٧. بالأيقونات المقدّسة نرى ونسمع السيّد والقدّيسين، نتحدّث إليهم: "نظر القدّيسون السيّد بعين الجسد، وآخرون شاهدوا الرسل، وآخرون الشهداء. وأنا أيضاً يعتريني

الشوق إلى رؤيتهم بعيني الجسد والنفس... فيأتي إنسان وأقيم في جسد، ويحدوني الشوق أن أعاين القدسات جسدياً وأشارك فيها" ١١٨.

الأيقونات المقدسة ترشدنا إلى تمجيد الله: "أدخل إلى عيادة النفوس الواحدة للجميع، أعني الكنيسة، بينما تخنقني الأفكار وتضيّق عليّ كالشوك. جمال الأيقونات يجذب عينيّ ويفعم النظر بالطرب كما الناظر إلى مرعى. ودون أن أعي كيف، ينشأ في نفسي تمجيد لله. أرى صبر الشهداء وامتلاكهم أكاليل الظفر، فيلتهمني الشوق كنار لشدة اندفاعي، وأسجد لله من خلال الشهيد وأنال خلاصي" ١١٩.

والكنيسة بأيقونات المقدسة، هي المكان الذي يقام فيه القداس الإلهي. نغدو في الكنيسة شركاء في المكان ومعاصرين لوالدة الإله وجميع القديسين.

بعد تقبيل الكاهن والشماس الأيقونات المقدسة، يرجعان إلى مكانهما أمام الباب الملوكي، فيقول الشماس: إلى الرب نطلب، يا ربّ ارحم.

ثم يحني الاثنان رأسيهما بينما يقول الكاهن الإفشين التالي:

يا ربّ، أرسل يدك من أعالي مسكنك ١٢٠ وأيديني في خدمتك المقبل انا عليها، كي أقف بلا دينونة أمام منبرك الرهيب، وأتمّ الخدمة المقدسة غير الدموية، لأنّ لك القدرة والمجد إلى دهر الدهرين.

والشماس يقول: آمين. والكاهن يختم الصلاة بالحلّ الصغير.

■ الكهنوت قوّة خادمة للمقدسات

الخدمة المقدسة غير الدموية هي عمل رئيس الكهنة، المسيح. المسيح هو يد الله الآب التي يطلب الكاهن أن ترسل من العرش الأبوي: "الابن هو يد الآب العزيزة والكلية القدرة" ١٢١. المسيح دوماً حاضر على المائدة الشكرية، "لأنه ليس الإنسان هو الذي يصنع القرابين المقدمة جسد المسيح ودمه، بل ذاك المصلوب عنا، المسيح".

يقف الكاهن ويتم عمل المسيح، متفوهاً بما جاء على لسان المسيح في العشاء السري^{١٢٢}.

الكاهن أمام المذبح المقدس هو أيقونة المسيح الحيّة: "قد أهّلت لحمل أيقونة المسيح على الأرض" كما يكتب المتوشح بالله مكسيموس إلى الأسقف يوحنا. في القداس الإلهي، "الأب والابن والروح القدس هو الذي يتدبر كل شيء، أمّا الكاهن فيهب لسانه ويقدم يده"^{١٢٣}. وبالتالي فإنّ النعمة الإلهية هي التي تفعل كل شيء. الكاهن ليس إلاّ خادماً... هذا هو الكهنوت: قوة خادمة للمقدّسات^{١٢٤}.

لم يأت المسيح إلى العالم لكي يخدمه الإنسان، بل ليقوم هو بخدمته: "أنا بينكم كالذي يخدم"^{١٢٥}. والخدمة التي يقدمها المسيح للإنسان هي سرّ تدبير التجسد الإلهي. ولكنّ خدمة المسيح هذه مستمرة لأنّ سرّ تدبير التجسد الإلهي ممتدّ دون انقطاع من خلال القداس الإلهي. لهذا الأمر بالتحديد، فإنّ هذه الصلاة تسمّي القداس الإلهي "خدمة المسيح".

المسيح هو بيننا كخادم، "والأهمّ من كلّ شيء أنّه لم يخدم في الدهر الحاضر، عندما أتى وظهر في جسد التواضع البشري... بل وفي الدهر الآتي، عندما سيأتي بقوة ويظهر بمجده الأبوي، حينها سيكرّم علانية في ملكوته نفسه، ويتمنطق أيضاً ويؤتكتهم ويتقدّم ويخدمهم"^{١٢٦}.

وتبعاً لمخطوطة عُثر عليها في بطمس، تعود إلى القرن الثالث عشر، "يأخذ الكاهن الكيرون" ويتلو بعد تقبيله الأيقونات المقدّسة الصلاة التالية: "يا الله، إلهنا، الذي تمتنع مشاهدته على الشاروبيم، وغير المدرك من السارافيم، وغير المقرب إليه من كافّة القوّات السماوية، الذي بمحبّتك للبشر التي لا توصف، وبصلاحك الذي لا يُسبر، وحدث ذاتك بنا نحن الحقيرين الوضيعين، والواهب إيانا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين رتبة الكهنوت؛ أعضدني، أنت، بما أنّك صالح وكثير الرحمة، أيّها المخلص المحبّ البشر، لأتهياً للقيام بالخدمة التي أوكلتها إلي في ظلّ النعمة الإلهية. فإنّي، لستُ اتجاسر لا من جهة قوتي، ولا من جهة طهارتي، على التقدّم إلى منبرك

الرهيب لأقف أمامه، بل كل جرأتي هي في رأفتك التي لا تحد. لأنّ عظم خطاياي تفوق طول أناتك الكثيرة. فإليك أتضرّع، أيّها السيّد المحبّ البشر، أن تلبسني، أنا عبدك غير المستحقّ، تلك الحلة الكهنوتيّة ونعمة روحك الالهية الكلّيّ قدسه. أنر عينيّ العقليّتين لأميّز بنعمتك النور. طهر لساني، لأسبحك بلا عيب، احفظ عقلي غير مشتت، اجعل ذهني غير متقلّب واحفظني في تقديسك بكلّيّتي، وتّم طلباتي المرفوعة إليك. أيّها السيّد القدّوس، تقبل ذبيحتي كبخور طاهر وكمحرقة إلهيّة، وهبني حلاوة بهائك. أرسل لي ملاك نور يخدم معي ويعضدني، حتى إذا قطعت قول حكمتك باستقامة، أصير مستحقّاً لتناول أسرارك السماويّة غير المائتة. وإذا صرت بها مستنيراً في النفس والجسد، أجدني متأهلاً للتمتّع بخيراتك الأبويّة مع الذين أحبّوك في الحقّ واتّبعوا أوامرك، لأنّك قلت أيّها السيّد، إنّ كلّ من يطلب باسمك فلا ريب سينال سؤله من الله أبليك المساوي لك في الأزليّة. لذلك، أنا أيضاً الخاطيء، بارتدائي الحلة الكهنوتيّة، أتوسّل إلى ألوهيتك، يا رب، أن تحقّق سؤلي لأجل خلاصي^{١٢٧}.

بعد صلاة الختم، يلتفت الكاهن والشماس إلى جهة الغرب، إلى الشعب، ويستغفرانه بإحناء الرأس، ثم يدخلان الهيكل ويقول كلّ منهما: أدخل إلى بيتك وأسجد نحو هيكل قدسك بخوفك^{١٢٨}. ويسجدان ثلاث مرّات أمام المائدة المقدّسة ثم يقبلان الانجيل المقدّس والمائدة.

❖ حتى يستطيع الكاهن الوقوف في السموات بين القوّات الملائكيّة

إن مبنى الكنيسة، كما يقول القدّيس مكسيموس، هو أيقونة (صورة) الكون كلّّه. صحن الكنيسة هو صورة الأرض، أمّا الهيكل فهو صورة السماء: "كلّ عالم الكائنات، العالم الذي جبله الله... هو بشكل من الأشكال كنيسة غير مصنوعة بيد، وجدت لها تصويراً رمزيّاً في مبنى الكنيسة. في هذا المبنى، يشكّل الهيكل العالم

العلويّ الذي يشمل القوَّات السماويّة، بينما صحن الكنيسة يشكّل العالم السفليّ الذي أُعطي للذين قُسم لهم أن يعيشوا بالحواس^{١٢٩}.

والكاهن، بدخوله إلى الهيكل، إنّما يدخل إلى السماء. هناك بمعيّة القوَّات العادمة الأجساد، يخدم الأسرار الإلهيّة، "لذلك على الكاهن أن يكون على هذه الدرجة من الطهارة بحيث يستطيع الوقوف في السموات بين القوَّات الملائكيّة"^{١٣٠}.

محبة الله للبشر التي تدعو كلّ مؤمن إلى الجلوس على مائدة الحياة، تدعو الآن الكاهن إلى الدخول إلى قدس الأقداس وإلى السجود للمذبح السماويّ. لكنّ نفس الكاهن الشريفة الطاهرة لا تجرؤ على الاقتراب من عرش الله خلواً من الرهبة: "تقول النفس الطاهرة الشريفة: أقدم لك سجوداً على الدوام، في الهيكل المنذور لمجدك، إذ تنعمتُ بمحبّتك للبشر واحتميتُ بظل يمينك. وإذ أحمل على الدوام الخوف (خوف الله) فإنّي لا أحتمل افتراقه، متسلّحة بمحبّتك البشر"^{١٣١}.

■ معمل مواهب الروح

في وسط الهيكل الشريف، المذبح المقدّس. انه المكان الذي تجري عليه خدمة سرّ الشكر الإلهيّ الذي أوكله السيّد إلى القوَّات الملائكيّة حتّى يحافظوا على قدسيّته ونقاوته. وقد أورد كتاب "الليموناريون" الحادثة التالية: "قال مرّة الأنبا ليونديوس... ذهبتُ في أحد أيّام الآحاد إلى الكنيسة (في اللافرا الجديدة) للاشتراك في المناولة المقدّسة. عندما دخلت، لحت فجأة ملاكاً واقفاً عن يمين المذبح فاعتراني خوف وذهول وقفلت عائداً إلى قلايتي وللحال سمعت صوتاً يقول: منذ جرى تدشين المذبح عُهد إليّ أن أداوم فيه"^{١٣٢}.

المذبح الإلهيّ هو خطّ تماسّ بين الأرض والسماء: "انه الحد الفاصل بين الأرض والسماء" و"عرش مجد الله ومسكنه، ومعمل مواهب الروح"^{١٣٣}. انه نبع الفردوس الذي يفيض بمحبة السيّد المجانيّة: "يبعث المذبح الإلهيّ وأسرار الكنيسة على الرهبة. من الفردوس يفيض نبع يجري كإنهار حسيّة. من المائدة المقدّسة يفيض نبع يتفرّع إلى

أنهار روحية. وإلى جانب النبع انتصبت أشجار باسقة ارتفعت حتى السماء. إنها أشجار مثمرة دائمة النضوج ولا يعرفونها فساد^{١٣٤}. وقد كتب القديس غريغوريوس بالاماس: "من هذه المائدة الشريفة يرتفع نبع تفيض منه ينابيع عقلية، مُروياً نفوساً ومُصعداً إلى السماء^{١٣٥}".

أثناء إقامته القداس الإلهي يتيقن الكاهن "أن هذه المائدة ملأى بنيران روحية، وكما تفيض الينابيع مياهاً طبيعية، هكذا فإن هذه المائدة ترسل لهيباً لا يوصف^{١٣٦}". إنه لهيب يندي خدام المسيح الأبرار.

ويقول البار نيقولاوس كاباسيلاس: إن يد السيد المسيح الكلية الطهارة، في العشاء السري، صارت مذبحاً رهيماً متعالياً على السموات. في القداس الإلهي، يقترب المؤمنون للمناولة كما فعل الرسل الإثنا عشر، فيدنون من يد المسيح الكلية الطهارة، "لأن المذبح هو بالحقيقة صورة ليد المخلص، فنتناول الخبز، أي جسد المسيح، كما لو من يد المسيح الكلية الطهارة... المسيح نفسه هو الكاهن، المذبح والذبيحة، هو نفسه الواهب، وبه تتحقق العطية، وهو نفسه العطية^{١٣٧}".

في كل مرة تقام فيها خدمة الذبيحة غير الدموية تمتد يد المسيح الكلية القداسة إلى البشر. وكنيستنا المقدسة تدعونا جميعاً أن نهرع إلى نبع الحياة: "هلموا جميعاً نسرع الخطى معاً نحو الله كما لو إلى هيكله الواحد، إلى المائدة الواحدة، إلى المسيح يسوع الواحد^{١٣٨}".



لبس الإكليروس

ثم يأخذ كل واحد منهما (أي الكاهن والشماس) بدلته ويسجد ثلاث مرّات نحو الشرق قائلاً: يا الله ارحمني أنا الخاطيء^{١٣٩}. فيأخذ الشماس الاستيخارة والزّنار والأكمّام ويقول للكاهن: بارك، يا سيّد، هذه الاستيخارة والزّنار.

والكاهن يباركهما راسماً فوقهما علامة الصليب قائلاً: تبارك الله إلهنا كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

فيقبّل الشماس يد الكاهن ثمّ يذهب إلى محلّ الشمامسة ويرتدي بدلته.

■ الحلة الكهنوتيّة: مقدّسة ومانحة للتقدّيس

الانسان الذي يعيش خارج الكنيسة هو عارٍ من نعمة المسيح والمكان الذي اتّخذ مسكناً ليس هو مسكن الله بل بقعة الموت، انه كالرجل الذي من كورة الجدرّيين الذي كان فيه شياطين: كان لا يلبس ثوباً ولا يقيم في بيت بسل في القبور^{١٤٠}.

بالمعموديّة يرتدي الانسان حلة من نسج إلهي: انتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم. يُختتم المعتمد بختم الروح القدس ويصير جليس مائدة الحياة. بنعمة الكهنوت يُدعى الانسان ليصير مدبراً للنعمة الالهية، وطالما اقتبل النعمة لنفسه، فهو مدعوّ الآن أن يقدّمها للعالم. عطية الروح القدس الخاصّة هذه نحو كاهن الأسرار الالهية تشير إليها الحلة الكهنوتيّة.

الكاهن هو أيقونة رئيس الكهنة، المسيح. وارتداء الكاهن الحلة الكهنوتية يرمز إلى لبسه المسيح. لهذا السبب فإن "حلة الكهنة مقدسة ولا يجدر بالعلمانيين الاقتراب منها"، كما يرد عند القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية في تفسيره لقول النبي: "ولا يلمسون حلتهم (حلة الكهنة) لأنها مقدسة"^{١٤١}.

في يوم الرسامة الكهنوتية، يرتدي الكاهن لأول مرة "الحلة المقدسة وإكليل المجد السماوي... وحلة الروح القدس الكهنوتية"^{١٤٢}. منذ ذاك، وفي كل مرة يعزم على ارتداء حلته، يأخذها قطعة قطعة مباركاً إيّاها برسم إشارة الصليب، ويقبلها ويلبسها. وحركاته هذه تدلّ على أنّ الحلة الكهنوتية مقدسة، وإن صليب المسيح يقدسها، وبالتالي هي قناة لمنح التقديس. ولأنها قناة فهي تهب التقديس، فإنّ الذي يوقرها ويقبلها "فهو يقوم بفعل إيمان وينال الخلاص، كما الذين كانوا يلمسون هذب ثوب المسيح وينالون الشفاء"^{١٤٣}.

ويوقد المؤمنون حلة الكاهن لأنها مقدسة وشريفة. والكاهن بارتدائه حلته الكهنوتية يذكرنا كيف أنّه وهو من هذا العالم، إلّا أنّه لا ينتمي إلى هذا العالم. فهو يقف بين الانسان والله جسراً تعبر عليه تقدماتنا إلى العليّ وتنحدر بواسطته مواهب الله إلينا.

يأخذ الكاهن الاستيخارة مباركاً إيّاها برسم إشارة الصليب ويقول: تبارك الله إلهنا كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

ويلبسها قائلاً: تبتهج نفسي بالربّ، لأنّه ألبسني ثوب الخلاص، وسربلني بحلة السرور، ووضع عليّ تاجاً كالختن ومثل العروس زيّني تزييناً، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين^{١٤٤}.

✦ المسيح: الرداء السماوي

يرتكض الكاهن ويفرح عندما يقترب من الرب. يتهج لأنّ الربّ يلبسه ثوب الخلاص وحلّة السرور، ويشكر ختن الكنيسة، الذي هو أكثر جمالاً من بني البشر، لأنّه يجعله متشجاً بجماله الخاص: مثل العروس زينيّ تزييناً. وزينة الختن - النفس هي الختن نفسه "المسيح، الرداء... الذي من السماء، رداء عدم الفساد" ١٤٥.

المسيح، الاله - الانسان، يوهب للانسان كرداء في سرّ المعمودية المقدّس: "المسيح، إذا، حلّة تليق بجميع القدّيسين على نحو فائق، حلّة سرور الطبيعة العقليّة، باعثة فينا قوّة ومجداً" ١٤٦. هكذا فإنّ الاستيخارة، والحلّة المشتركة لدرجات الكهنوت الثلاث، ترمز إلى حلّة المعمودية المستنيرة، إلى النعمة الالهية التي هي مشتركة لكلّ المؤمنين. الكاهن هو أحد أعضاء جسد المسيح، ينتمي إلى جماعة المؤمنين، وموهبة الروح القدس تُمنح لكلّ المؤمنين: "قد مُنحنا كلّ شيء بالتساوي، نحن الكهنة وأنتم العلمانيين، حتّى تلك الخيرات العظمى" ١٤٧. ومساواة الكاهن هذه مع المؤمنين هي ما يشار إليه بالاستيخارة.

في البدء، كانت الاستيخارة، كما أيضاً رداء المعمودية، أبيض اللون، رمز البراءة ورمز الخدمة الكهنوتية الملائكية السامية. و يكشف الكاهن، كما يقول البار ثيوغنستوس، بشكله الخارجي الملائكي الأبيض عن جمال نفسه الداخلي: "إلى اتّشاحه ببياض المظهر الملائكي، تنكشف في الداخل روعة نفسه".

ويرد التصوير نفسه عند القدّيس سمعان أسقف تسالونيك: "الاستيخارة تظهر حلّة الملائكة المنيرة، لأنّ الملائكة قد ظهرت مرّات كثيرة متّشحين رداء لامعاً، كما وأنّ الملاك الذي ظهر على قبر السيّد كان يرتدي حلّة بيضاء. وأيضاً فإنّ بياض الاستيخارة يرمز إلى طهارة الرتبة الكهنوتية وخلوّها من العيب" ١٤٨. الكاهن كملاك بياض برّاقة ١٤٩، ينتظر المؤمنين عند المذبح المقدّس - قبر المسيح المعطي الحياة - ليدعوهم إلى عشاء القيامة.

ثم يأخذ الأكمام، فيباركهما ويلبسهما. أمّا عند لبسه الكمّ اليمين فيقول:
 يمينك يا ربّ تمجّدت بالقدرة. يدك اليمنى يا ربّ حطّمت الأعداء وبكثرة مجدك
 سحقتم المقاومين^{١٥٠}، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.
 أمّا عند لبسه الكمّ الشمال فيقول: يداك صنعتاني وجبلتاني. فهمني فأتعلم
 وصاياك^{١٥١}، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

❖ الكاهن يؤدّي خدمته كيد المسيح

يعود رمز الأكمام إلى خلق الانسان وإلى التدبير الإلهي.

يقول الكاهن عند ارتدائه الكمّ في يده اليسرى: يداك صنعتاني وجبلتاني؛ "لأنّه
 بيدي الآب اللتين هما الابن والروح، غدا الانسان على صورة الله ومثاله"^{١٥٢}. يدا
 الله الكلّيتا القداسة - الكلمة والروح القدس - صنعتا الانسان.

ولكنّ الانسان فضّل الاستعباد للعدوّ الشيطان على عُشرة الله، وبقي أسير
 الشيطان إلى حين حطمت يمين العلي الأعداء وسحقتم المقاومين. وهي لم تحطّم فقط
 الأعداء بل رفعت الانسان إلى السماء: "يد الله اليمنى - التي هي يسوع المسيح -
 رفعت الانسان الذي اتّحد بها، رفعته بهذا الاتّحاد إلى أن بلغ قامتها وجعلته هو
 أيضاً ما هي عليه هذه اليد من جهة طبيعتها"^{١٥٣}.

كما كان الانسان الأوّل خليفة يدي الله، كذلك أيضاً هو الانسان الجديد.
 اليدان اللتان صنعتا الانسان، أيضاً تخدمان السرّ الشكريّ. الأكمام تكشف "كيف
 أنّ المسيح يخدم بذاته، بيديه الخاصّتين، الخدمة المقدّسة، خدمة جسده المقدّس
 ودمه"^{١٥٤}. فاليد التي تمنح سلام الله وتبارك القرايين المقدّمة هي يد رئيس الكهنة،
 المسيح.

ويكتب القدّيس ثيوفانيس، بطريك نيقية أنّ المسيح قبل صعوده إلى السماوات، أعطى الرسل القدّيسين، ومن خلّاهم الأساقفة والكهنة، "تلك النعمة الخالقة للروح القدس، التي بها يجب أن تتمّ عمليّة تجديد وإعادة جبل الكائنات والبشر الصائرين إلى الوجود حتى ينتهي الدهر... أو كل إليهم بفعل القيام بالعمليّة عينها... واهباً إياهم المقدرة على صنع أعظم أعمال القدرة الإلهيّة، بفعل الروح العامل كلّ شيء" ^{١٥٥}. أعطى المسيح الكهنة نعمة إتمام عمله الخاصّ، والكاهن أصبح يد المسيح. ويقول الذهبي الفم: "لا تصدّق أنّ الكاهن هو الذي يعطيك الأسرار الرهيبة، بل آمن أنّ اليد الممدودة هي يد المسيح" ^{١٥٦}.

يمين العليّ تمتدّ لتصل إلى كلّ مؤمن وتهب سلامه، تهب جسده المقدّس ودمه الكليّ النقاوة.

ثمّ يأخذ البطرشيل فيباركه ويلبسه قائلاً: تبارك الله الذي يسكب نعمته على كهنته مثل الدهن الطيّب على الرأس الذي ينزل على اللحية، لحية هرون النازل على ذيل ثوبه ^{١٥٧}، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

✦ البطرشيل يكشف نعمة الروح القدس

يرمز البطرشيل إلى نعمة الكهنوت وإلى اشتراك الكاهن في كهنوت المسيح، يرتديه الكاهن "عند أدائه كلّ خدمة مقدّسة، لأنّه "يكشف نعمة الروح القدس المتّمة للخدمة والمنحدرة من العليّ" ^{١٥٨}.

هذه النعمة المعطاة للكاهن هي كطيّب خاص - رمز البركة الكهنوتيّة - الذي كان يُمسح به رئيس كهنة العبرانيين. وكما أنّ الذي مُسح بالطيّب يبدو الفرح على محيّا، وتفوح منه رائحة زكيّة وينشر الفرح على كلّ الذين يرونه ^{١٥٩}، كذلك أيضاً

الكاهن: فعلى محيّا يعكس النور الحقيقي وحضوره هو مبعث فرح روحي للمؤمنين.

وتُعطي نعمة الله التي اقتبلها الكاهن للمؤمنين من خلال الأسرار المقدسة. تنحدر النعمة الإلهية كطيب من رأس الكنيسة - المسيح - على اللحية، التي هي الكاهن، وتنزل إلى أقصى الثوب، إلى ذيله الذي يشير إلى المؤمنين. ويكتب القديس أثناسيوس الكبير في تفسيره لهذه الآية من المزمور فيقول: "عندما تلتئم الكنيسة بتجانس واحد، عندها يُسكب الروح القدس، أولاً على رأس الكنيسة الذي هو المسيح، ثم على اللحية، ويُقصد بها الرسل، وينسكب في آخر الأمر على الجسد كله، أي جميع الذين ارتدوا المسيح في الكنيسة"^{١٦٠}.

الكاهن حلقة تصل بين الله والمؤمنين، هو قناة تعبرها النعمة الإلهية، وتبلغ إلى المؤمنين، وهذه الحقيقة يذكرنا بها البطرشيل. وعنق البطرشيل يرمز إلى المسيح، بينما الطرفان المتدليان إلى أسفل فيشيران إلى النفوس التي عهدتها الله إلى الكاهن. يقبل المؤمنون من خلال الكاهن نعمة المسيح، لأن الكاهن يتمم خدمته كرسل للمسيح. البطرشيل يكشف أن الكاهن هو تحت الرأس، المسيح، وأنه يجدر به إتمام الخدم كخادم تحت نظر ذاك الذي هو رئيس الخدمة ومبدؤها... يجدر به أن يتمم الأعمال التي للمسيح، بالمسيح، ومن دونه لا يصنع شيئاً البتة"^{١٦١}. الكاهن، بمعية المسيح، يتمم خدمة سر المسيح: "بمعيته يصنع الأعمال التي للمسيح".

ثم يأخذ الزنار فيباركه ويلبسه قائلاً: تبارك الله الذي يمنطني قوة. ويجعل طريقي بلا عيب، مقوماً رجلي كالأيل، ورافعاً إياي على المعالي"^{١٦٢}، كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

بعد ذلك يأخذ الأفلونية فيباركها ويلبسها قائلاً: كهنتك يا رب يلبسون البر وأبرارك يتتهجون ابتهاجاً"^{١٦٣}، كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

■ الأحقاء لمنطقة لتناول الفصح

بالاستناد إلى الصلاة التي يتلوها الكاهن، فإنّ الزنار يرمز إلى أمرين: أولاً قوّة الله التي تعضد الكاهن في القدّاس الإلهي، وثانياً، الطهارة أو العفّة التي يجب على الكاهن أن يتحلّى بها. الزنار، كما يقول القديس سمعان أسقف تسالونيك يفصح عن العضد الممنوح من الله... وفي الوقت عينه عن الخدمة المزمع أن يقوم بها: فالخادم يتسوّر بالزنار ولكن أيضاً بالعفّة والبراءة...^{١٦٤}.

ولكن على كلّ مؤمن أيضاً أن تكون أحقاؤه منطقة حتّى يشترك بمائدة الربّ، كما كان العبرانيون يتناولون الفصح متمنطقين لكي يكونوا مستعدّين للمسيرة التي ستقودهم إلى أرض الميعاد، كذلك "نحن أيضاً نأكل الفصح - المسيح"، وبالتالي "يجدر بنا أن نتناول الأسرار متمنطقين، حتّى نكون مستعدّين للخروج، للرحيل من هذا الدهر"^{١٦٥}.

وطالما تزنر الكاهن بالقوّة الإلهيّة، فقد بات على استعداد للقيام بخدمته الكهنوتيّة، فيسهر إذاً، هو والمؤمنون، بمصاييح النفس مشتعلة، وينتظرون الربّ الآتي إلى الاجتماع الشريف: لتكن أحقاؤكم منطقة وسرجكم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيّدكم متى يرجع من العرس حتّى إذا جاء وقرع يفتحون له للحال. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيّدكم يجدهم ساهرين. الحقّ أقول لكم إنّه يتمنطق ويؤتيهم ويتقدّم ويخدمهم^{١٦٦}.

■ يا كهنة، البسوا البرّ، المسيح

الإفلونيّة رمز للبرّ الإلهي، البرّ الذي أتى من الله وأعطى للبشر. إنّها بمعنى آخر، رمز للمسيح. يقول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "يا كهنة إلبسوا البرّ... الرداء العظيم غير المعاب، المسيح، زينتنا الخاصّة". هذا بالضبط ما يقوم به الكاهن عند ارتدائه الافلونيّة: يلبس ذاك الذي صار لنا حكمة من الله وبرّاً وقداًسة^{١٦٧}.

قبل تجسّد الكلمة، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، لم يكن باستطاعتك أن تجد برّاً على وجه الأرض. بتجسّد المسيح، "انحدر البرّ من السماء، وانكشف لأول مرة للبشر حقيقة وبشكل كامل". الذين كانوا سابقاً تحت الحكم لم يتبرّأوا فقط - "طالما أن ذاك (المسيح) الذي لم يظلم البتّة، برّرنا بموته على الصليب... - لا بل غدونا به أصدقاء الله وأبراراً". ويختم بالقول: "بالأسرار الشريفة، يشرق المسيح في نفوسنا ببرّه الخاصّ وحياته"^{١٦٨}.

برّ الله هو محبة للبشر، وهذه المحبة الإلهية للبشر جعلت منا أبراراً وأصدقاء لله بموت المسيح. وبالضبط فإنّ الافلونية، التي تشير إلى البرّ الإلهي، "تكشف آلام المسيح المخلّص، والكاهن يتشبه به أثناء ارتدائه إيّاه، أي انه يتشبه بالمسيح الذي عمل البرّ الحقيقيّ بآلامه وموته على الصليب... لذلك يقول الكاهن أثناء ارتدائه إيّاه: كهنتك يا ربّ يلبسون البرّ وأبرارك يتهجون ابتهاجاً، لأنّ البرّ الذي حصل بالصليب قد حمل لنا الابتهاج حقّاً"^{١٦٩}. كهنة الربّ الأبرار يلبسون البرّ - المسيح - والمسيح يغمرهم بالبهجة الإلهية.

أمّا الشمّاس فيرتدي حلّته ويقول كلّ ما قاله الكاهن عند ارتدائه الاستيخارة والأكمام. ثمّ يقبل الزنار ويضعه على كتفه الشمال قائلاً: قدّوس قدّوس قدّوس، ربّ الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك"^{١٧٠}.

■ شماس (خادم) أسرار يسوع المسيح

ثلاث هي درجات الكهنوت: الأسقفية، الكهنوت والشمّاسية. وتميّز هذه الدرجات قائم بوضوح منذ العصر الرسولي.

يدعو إغناطيوس المتوشّح بالله الشمّامسة "خدّام كنيسة الله"، و"خدّام أسرار يسوع المسيح". ويوصي المؤمنين قائلاً: "وقّروا جميعاً الشمّامسة كالمسيح

يسوع^{١٧١}. الشمّاس يعاون الأسقف والكاهن في إتمام الأسرار الشريفة. وحلّة الشمّاس تتألف من الاستيخارة والأكمّام والزّنار^{١٧٢}.

خدمة الشمّاس هي أشبه بخدمة الملائكة الليتورجية، لذلك يردد، أثناء ارتدائه الزّنار، التسبيح الملائكي المثلث تقدّيسه: قدّوس قدّوس قدّوس، ربّ الصّباؤوت. يشير الزّنار نفسه "إلى الطبيعة العقليّة عند الملائكة". ويلاحظ القدّيس صفرونيوس بطريرك أورشليم "أنّ الشمّامسة رمز للقوّات الملائكيّة، بالزّنار يطرون، كأرواح خادمة مرسلة إلى الخدمة"^{١٧٣}.

والكاهن يقوم بعمل الربّ الكهنوتيّ، أما الشمّاس فيذكرنا أنّ الخدمة الكهنوتيّة يجب أن تتزيّن بتواضع السيّد، لأنّ الزّنار "يذكر بتواضع الربّ عندما غسل أرجل التلاميذ ومسحها"^{١٧٤}.

ثمّ يأتي الكاهن والشمّاس إلى المغسل ويغسل كلّ منهما يديه قائلاً المزمور:
أغسل يديّ بالنقاوة وأطوف بمذبحك يا ربّ، لكي أسمع صوت تسبيحك وأحدّث بجميع عجائبك. يا ربّ أحببت جمال بيتك، وموضع حلول مجدك. فلا تجعل مع الكفرة نفسي، ولا مع رجال الدماء حياتي، الذين في أيديهم المآثم، يمينهم امتلأت من الرشوة، وأنا بدعتي سلكت. نجّني يا ربّ وارحمي. وقفت رجلاي بالاستقامة وفي الكنائس أباركك يا ربّ^{١٧٥}.

✠ أغسل يديّ بالنقاوة

الانسان الذي يعيش في عالم الأهواء، يعيش في كورة بعيدة عن الله، فهو بالتالي متغرّب عن الله، إذ إنّ الخطيئة نفسها هي التغرّب عن الله، كما يقول القدّيس غريغوريوس النيصصي^{١٧٦}.

ليس بمقدور الانسان الذي يعيش في الخطيئة ودون توبة أن يمجد الله، ولا أن يقف أمام المائدة المقدسة. انه في "أرض غريبة" عن الله. وكما أن اليهود لم يستطيعوا أن يرثوا "ترنيمه الرب في أرض غريبة"، فكذلك الانسان الممتلىء بالأهواء لا يستطيع أن يسبح عظماء الله، "لأنه إذا كان ناموس اليهود قد حدد أن يصمت أولئك الذين كانوا أسرى وعبيد لدى سادة في أرض بربرية، فكم بالاحرى ينبغي أن يصمت كل الذين هم عبيد للخطيئة ويعيشون سيرة غريبة عن الله" ١٧٧.

يعتري كاهن الله الاحساس على الدوام أنه في حياته جرح محبة الله مرّات كثيرة. وبينما حصل على غفران الخطايا من خلال سر الاعتراف المقدس، فإنه يشعر بعجزه عن تسبيح عجائب الله. ورهافة حسّي الكاهن الروحية نعبر عنها بهذه الحيرة: "من هو كفؤ لأن يتكلّم بجبروتك؟ ويجعل كلّ تسايحك مسموعة أو يخبر بجميع عجائبك؟" ١٧٨. يجدر بنا كلنا أن نقرب من المائدة المقدسة "بضمائر نقيّة". وغسل اليدين هو إشارة إلى هذه النقاوة.

اما غسل اليدين، وكما يقول القديس كيرلس بطريرك أورشليم، فيرمز إلى الطهارة من كل خطيئة: "لما كانت اليدان رمزاً للعمل، فإننا نقصد بغسلهما طهارة العمل نقاوته". والأمر عينه يشدّد عليه القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية، فغسل اليدين "يعني ما يلي: لما كنا تحلّينا بضمير طاهر، أعني بذلك الذهن والعقل، اللذين هما يدا نفوسنا، فلنتقدّم إلى المائدة المقدسة بخوف ووداعة وسماحة كثيرة" ١٧٩.

وكما يقول القديس ذيونيسيوس الأريوباغي "على الذين عزموا ان يقيموا الخدمة الشريفة الكلية النقاوة أن يكونوا قد تطهروا من أدنى تخيّلات النفس. وعليهم أن يتقدّموا من الخدمة الشريفة بنفس نقيّة، على قدر المستطاع، كما هي الخدمة الشريفة نفسها بطبيعة الحال، فيستضيئون هكذا بتجليات الله ضياء فوق ضياء". ويردد الذهبيّ الفم القول عينه: "أنغسل اليدين فقط دون القلب عندما ندخل إلى الكنيسة؟ فهل يعني الأمر أن اليدين تتكلّمان؟ النفس هي التي تتفوّه بكلمات الصلاة،

وإليها يلتفت الله بناظره. والطهارة لا تنفع الجسد البتة عندما تكون النفس سوداء... أسوأ الأمور على الإطلاق هو أن نتقدم بذهن غير طاهر^{١٨٠}.

* * *

ويسلك الإنسان مضمار تطهير النفس بمؤازرة المسيح، أو بالأحرى المسيح نفسه هو الذي يفعل فينا، إذا كنا نرغب، في ما يتعلق بغسل النفس. تماماً كما، عندما أتمّ المسيح في المرة الأولى العشاء السريّ في صهيون المقدّسة، كيف أنه أخذ منشفة واتزر وغسل أرجل التلاميذ الأطهار. وقال بوضوح لبطرس الذي لفرط تقواه نحو المسيح تنحّى عن قبول أن يغسل المسيح رجله: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب"^{١٨١}. في العشاء السريّ يتكئ مع المسيح أولئك الذين برهبة تقبلوا أن ينجز السيّد في داخلهم غسل العقل والقلب.

هكذا أيضاً، نستطيع بنفس وجسد طاهرين أن نحيط بالمائدة المقدّسة. بمقدورنا أن نسمع التسابيح الملائكيّة، وأن نضيف إليها شكرنا نحن. نستطيع أن نخبر بعظمة أعمال محبة الله. ويقول الذهبيّ الفم في هذا الصدد: بإقرارنا بكلّ إحسانات الله نحونا وبكلّ نعمه التي يعسر التعبير عنها، "نقدّم له الشكر الإلهيّ (أي القداس الإلهي) ونشترك بالمناولة، شاكرين إياه لأنه أنقذ الجنس البشري من الضلال. نشكره لأنه، إذ كنا بعد متغربين عنه، أعادنا إلى أحضانه. نشكره لأنه، إذ لم يكن لدينا رجاء وكنا نعيش في العالم بغير الله، جعل منا إخوة له وورثة"^{١٨٢}.

وبنفس طافحة بعرفان الجميل نخبر عن أعمال محبة الله وحكمته التي صنعت "عجائب عظام": فبالموت أتت الحياة، وبالخطيئة البر. باللعنة أتت البركة، وبالذلّ المجد^{١٨٣}. وإذا يعتمر الشكر نفوسنا لأجل كلّ هذه الأمور، ندنو من عرش النعمة الإلهيّة.



ترتيب خرمه الزبيحة

بعدها يأتي الشماس إلى المذبح المقدس، ويرتب الاواني المقدسة. فيضع الصينية المقدسة لجهة الشمال، أمّا الكأس المقدسة فعن اليمين، ويرتب إلى جانبها بقية القطع. كما هو مشار إليه في كتاب "قنداق" الكاهن.

■ الصينية الحاوية سيد السماء

القطعتان الأساسيتان من بين الاواني المقدسة اللتان تستخدمان في القداس الالهى هما: الكأس المقدسة والصينية المقدسة. داخل الكأس المقدسة يوضع النبذ، أمّا فوق الصينية المقدسة فالقربان.

وتورد الشواهد الكتابية الأربع حول العشاء السري أنّ الربّ استعمل كأساً خاصةً في أول خدمة للسرّ. وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى الصينية المقدسة.

لقد دعا الربّ ذبيحته على الصليب "كأساً" أي الكأس التي أعطاه إياها الآب ليشربها. ولكن، طالما أنّ الربّ قد صلب، فقد صارت كأس الموت "كأس بركة وخلاص للبشر"^{١٨٤}. والقديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية يربط بين آلام المسيح الطاهرة والصينية المقدسة: "الصينية هي نعش يضع عليها الكاهن والشماس جسد المسيح". تشير الصينية المقدسة أيضاً إلى السماء: "لذلك هي دائرية الشكل وتحوي سيد السماء" كما يقول القديس سمعان أسقف تسالونيك^{١٨٥}.

في العصر الرسولي، كانت الأواني المقدّسة زجاجيّة أو من معدن خفيف، وفي بعض الأحيان خشبيّة. ولكن مع الوقت، لاسيما بعد توقّف الاضطهادات، بدأ المسيحيّون بتقديم أوان فضيّة وذهبيّة للكنائس. بالطبع هذا دليل تقوى تجاه المسيح. ولكنّ المسيح، كما يقول لنا القدّيس الذهبيّ الفم، يطلب منا مع هذه التقدمة، لا بل قبلها، أن نحبّ إخوتنا. يطلب منا أن تلتهب قلوبنا بالحبّة، وأن تكون فائقة اللّمعان والضياء، وأن نقدّمها له: "لأنّ الله ليس له حاجة إلى أوان ذهبيّة، بل إلى نفوس بهيّة". وبالتالي، إن كنت ترغب في إظهار محبتك للمسيح وأن توقّر ذبيحته (ذبيحة المسيح)، "أعطه نفسك التي ذُبح من أجلها. اجعلها بهيّة لامعة، فأين هو الربح إذا بقيت نفسك أبخس من القصدير أو الصدف، بينما الآنية المقدّمة من ذهب؟... لأنّ الكنيسة ليست محلّ صاغة أو مركز صرافة، بل احتفال ملائكة". وللإشتراك بهذا الاحتفال الملائكيّ، لا بدّ أن تكون النفوس أكثر نقاوة ولمعاناً من الأواني الشريفة، "لأنّ الأواني لا تشترك في المسيح الذي تحمله. هي لا تشعر به، بل نحن من يشترك في المسيح. ماذا إذا، ما بالك تتقدّم من الذبيحة بنفس نتنّة، بينما لا ترغب في استعمال أوانٍ رخيصة؟".^{١٨٦}

إنّ مائدة العشاء السريّ، كما يقول الذهبيّ الفم، لم تكن من الفضة، ولا حتّى الكأس التي بها قدّم المسيح دمه للتلاميذ كانت من الذهب، "بل كانت كلّها كريمة ورهيبة ليس لكونها مصنوعة من مادة نفيسة، بل لأنّ الروح القدس قد قدّسها"^{١٨٧}. لذلك تعمد كنيستنا، قبل استعمالها أواني جديدة للخدمة الليتورجيّة، إلى تدشينها بتلاوة خدمة خاصّة، حيث يعمد رئيس الكهنة إلى مسح الكأس المقدّسة بالميرون، رمز مواهب الروح القدس. وبعدها يتضرّع رئيس الكهنة قائلاً: أيّها السيّد المسيح إلهنا، أرسل روحك القدّوس على هذه الكأس الجديدة وباركها وقدّسها وكمّلها.

وبحضور الروح القدس تصير هذه الأواني الشريفة كريمة ورهيبة، وباستعمالها الحصري في القدّاس الإلهي تغدو مقدّسة وشريفة^{١٨٨}. لذلك نوقرها جميعنا، نحن كهنة المسيح والمؤمنين، ونكرّمها.

بعد ذلك يسجد الكاهن والشماس ثلاث مرات أمام المذبح المقدس قائلين: يا
الله اغفر لي أنا الخاطيء (ثلاث مرات).

الكاهن: استعدي يا بيت لحم فقد فتحت عدن للجميع. تهياي يا أفراثا لأن
عود الحياة أزهر في المغارة من البتول، لأن بطنها ظهر فردوساً عقلياً، فيه الغرس
الاهي الذي نأكل منه نحيا ولا نموت مثل آدم. المسيح ولد لينهض الصورة التي
سقطت منذ القديم^{١٨٩}.

ثم يأخذ الكاهن الحربة بيمينه والقربانة بيساره ويرفعهما إلى مساواة جبهته،
وبكثير من الورع والانسحاق يقول رافعاً نظره إلى السماء: اشتريتنا من لعنة
الناموس بدمك الكريم، لما سُمِّرت على الصليب ولما طُعنَت بحربة أنبعت للبشر عدم
الموت يا مخلصنا المجد لك^{١٩٠}.

■ استعدي يا بيت لحم فقد فتحت عدن للجميع

الكاهن، في خدمة أخذ الكيرون، يطلب القوة العلوية، لذا فهو الآن مستعد
للبدء بخدمة الذبيحة غير الدموية. يقف الكاهن مع الشماس أمام المذبح المقدس^{١٩١}.
هناك يقدم المؤمنون باكورة أتعابهم - الخبز والخمر - ويضعونها أمام محبة الله. ينتقي
الكاهن من هذه التقدمة ما سوف يستخدمه لإقامة الذبيحة.

والمذبح المقدس، من حيث كونه مكاناً ليتورجياً، يرمز إلى بيت لحم والمغارة
حيث ولد المسيح، لذلك نضع هناك أيقونة ميلاد المسيح. ويقول القديس سمعان
أسقف تسالونيك: "كما أن بيت لحم هي قرية من أورشليم ومن قبر السيد، كذلك
فإن المذبح المقدس مجاور للمائدة المقدسة، هو في زاوية الهيكل وهذا يدل على
حضور المسيح بشكل متواضع، وعلى فقر المكان، وعلى توارى المغارة"^{١٩٢}.

بيت لحم هي المكان الذي فيه ظهر المسيح بالجسد، لذا فإن ظهور المسيح
ليتورجياً يبدأ على المذبح المقدس.

■ اشترينا من لعنة الناموس

الطروباريّة الأولى التي يتلوها الكاهن تشير إلى ميلاد المسيح، أمّا الطروباريّة الثانية فإلى صلبه. المسيح يولد ليصلب: "لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة"^{١٩٣}، أي إلى ساعة الآلام والصليب.

بذبيحته على الصليب، اشترى المسيح الربّ الانسان من لعنة الناموس ومنحه حرّية الروح القدس: "لأنّ الآب اقتبل المصالحة، والابن عمل على تحقيقها، والروح القدس غدا هبة للذين جُعلوا أصدقاء الآب. فالواحد هو المحرّر، والآخر هو الفدية التي بها حرّرنا، والروح القدس هو الحرّية عينها"^{١٩٤}.

ورفع الكاهن للقربانة هو تذكّار لارتفاع المسيح على الصليب وظهور لتقدمة محبّته: أما خبز التقديمه فيظهر غنى صلاح الله الفائق، اعني بذلك أنّ ابن الله صار بشراً ووضع نفسه ذبيحة وقرباناً"^{١٩٥}.

ثمّ يقول الشمّاس: بارك يا سيّد.

والكاهن: تبارك الله إلهنا، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

آمين.

■ وصعدوا به ليقدموه للرب

في القدّاس الإلهيّ يقدم الله حياته للانسان. لكن لما أنّه لم يشأ أن تتمّ هذه العطية الإلهية كنعمة فقط، فإنّه يقبل تقديمه ما من الانسان بحيث "تظهر النعمة كأنّها مكافأة، والرحمة العظمى كأنّها لقاء بر"^{١٩٦}. هكذا، فالقدّاس الإلهيّ هو تقديم الانسان لله، وتقديمه الله للانسان. خدمة الذبيحة، التي يبدأها الآن الكاهن، هي

عمل مقدمة الانسان لله. يقبل الكاهن تقدمات المؤمنين ويخصّص من بين القرايين تلك التي ستتقدّس بسرّ الشكر الالهي.

ومسيرة القدّاس الالهي متطابقة مع مسيرة حياة المسيح. المسيح وُلد، وقبل أن يُذبح، نُذر إلى الله كابن بكر، وكمبدأ للخلقة الجديدة: صعد به (بالمسيح) العذراء ويوسف إلى اورشليم ليقدماه للرب^{١٩٧}. لهذا السبب "لا يوضع الخبز والخمر مباشرة على المائدة لتقدّيسهما. هذا سيأتي موعده لاحقاً، بعد أن يندرا إلى الرب وهكذا يصيران ويسميّان قرايين مكرّمة^{١٩٨}". وهكذا فخدمة الذبيحة ترمز إلى ميلاد المسيح ودخوله إلى الهيكل وقبوله على يد سمعان الشيخ.

* * *

في العشاء السريّ، قدّم المسيح جسده المقدّس ودمه على شكل خبز وخمر. وبعمله هذا، أظهر لنا أن نستخدم نحن أيضاً، في القدّاس الالهي، خبزاً وخمراً، وهما يشكّلان عنصرين حيويّين في تغذية الانسان. وتقدمات اليهود كانت أيضاً عبارة عن أنواع أطعمة (محاصيل زراعية، حيوانات، الخ...) لكنها لم تكن حصراً أطعمة للانسان فقط بل للحيوانات أيضاً. أمّا الخبز والخمر فهما غذاءان يقتصر تناولهما على الانسان فقط.

الأطعمة تشير الى الحياة الجسدية. نحن نقدّم إلى الله ما يصون الحياة ويحافظ عليها، أي الخبز والخمر، لأنّ "الله يقدم لنا الحياة عوض هذه القرايين"^{١٩٩}.

دعا المسيح نفسه "خبز الحياة"، و"الكرمة الحقيقية". يقول الذهبيّ الفم أنّ المسيح "يدعو نفسه خبز الحياة لأنّه يجمع إلى ذاته حياتنا الحاضرة والعتيدة"^{٢٠٠}. المسيح هو الخبز النازل من السماء، غذاء الملكوت: "طالما اننا دُعينا بالمسيح إلى ملكوت السموات... فلم يعد لنا بعد الآن مَن العهد القديم... هناك خبز من السماء، أي المسيح، الذي يمنحنا غذاءً لدهور ودهور عديدة"^{٢٠١}.

وتحمل القرايين المكرّمة رجاء وضمانة القيامة، "كما أنّ الكرمة المزروعة في الأرض تعطي ثمرها في حينه، وحبّة القمح الساقطة على وجه الأرض تموت ثمّ تقوم وتعطي ثمراً مضاعفاً... وبالتالي (كخبز وخمر) يقبلان كلمة الله ويصيّران ذبيحة شكرية، أعني بذلك جسد المسيح ودمه، هكذا أيضاً فإنّ أجسادنا التي تتغذى من سرّ الشكر، بعد طرحها في الأرض وانحلالها، ستنهض في حينه إلى قيامة بفضل كلمة الله الذي يهبها القيامة، لمجد الله الأب" ٢٠٢.

نذهب إلى القدّاس الإلهي، وبتقدمتنا الخبز والخمر، نقدّم إلى يدي الله كلّ حياتنا (كما حصل مع الأرملة في الانجيل، فمن اعوازاها ألقت كلّ معيشتها). والله، عوض هذه التقدمة يهبنا حياته هو: هو كلّ في الكلّ على نحو كامل ٢٠٣. يطلب الله منّا أمراً واحداً فقط ألا وهو: أن نتمّ تقدمتنا ببساطة، ببرّ، بنية حسنة نقيّة، عندها تكون تقدمتنا مقبولة: "وعليّنا أن نظهر شكرنا للخالق لجهة كلّ شيء، مقدّمين قرايين منتخبة من خليقته هو، بنية طاهرة، وإيمان دون مراعاة، ورجاء ثابت ومحبة حارة" ٢٠٤.

نتقدّم نحو المائدة المقدّسة، ويرافقنا العالم أجمع: العالم هو ما نحمله في أيدينا، وهو أيضاً نحن أنفسنا. والانسان هو أيقونة الكون: هو كون مصغر، والكون بدوره أيقونة الانسان: هو إنسان مجسّم. الانسان والكون يمجّدان أباهما المشترك وخالقهما. الخلائق كلّها تشترك في خدمة سرّ المحبة المعطاة والمقدّمة، وتسرع الخطى نحو حياة المحبة، نحو الله.

ثمّ يأخذ الكاهن القربانة ويرسم الصليب بالحربة فوق ختم القربانة قائلاً:
لتذكّر ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح. والشمّاس يكمل قائلاً: كلّ حين، الآن
وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

وهذا الرسم والقول يعاد ثلاث مرّات.

ثم يغرّز الكاهن الحربة في يمين القربانة ويقطع قائلاً: مثل الخروف سيق إلى الذبح. ثم يقطع من جهة الشمال قائلاً: ومثل حمل بريء من العيب صامت أمام الذي يجزّه هكذا لا يفتح فاه. بعد ذلك يقطع من الجهة العليا قائلاً: وأما جيله فمن يصفه؟ والشمّاس يقول على كلّ قطع: إلى الربّ نطلب، ياربّ ارحم.

بعد ذلك، الشمّاس: إرفع يا سيّد. والكاهن يدخل الحربة المقدّسة تحت ختم القربانة ويفصله عنها قائلاً: لأنّ حياته قد ارتفعت من الأرض^{٢٠٥}. ويرفعه ويضعه في الصينيّة المقدّسة.

✠ لتذكّر ربّنا وإلهنا

يُخدم القدّاس الإلهيّ على نحوين: بالكلمة والفعل. بكلمة الأفاشين (الصلوات) والقراءات نسمع عن المسيح، نسمع المسيح نفسه. وبما يُنجز أثناء الخدمة نراه. ونعائين، بشكل من الأشكال، "فقر ذاك الغنيّ المدقع، حضوره إلى الأرض (وهو الذي يسود على كلّ مكان)، وعاره المبارك وآلامه العديمة الهوى. كم كرهناه نحن وكم أحببنا هو. كم كان عظيماً، وإلى آية درجة وضع نفسه. نرى معاناته وماذا صنع ليهيّء لنا هذه المائدة"^{٢٠٦}.

هكذا، فالقدّاس الإلهيّ - بالكلمة وبالفعل - يخدم ويكهن تذكّر حياة المسيح: "لتذكّر ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح"، كما يقول الكاهن ثلاث مرّات راسماً في كلّ مرّة إشارة الصليب فوق القربانة بالحربة المقدّسة.

والاحتفال الأوّل بهذا السرّ، وبعد أن أخذ المسيح الخبز على يديه "شكر وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم". وبعدئذٍ يقدّم لهم الكأس ويدعو دمه "دم العهد الجديد... مشيراً بذلك أنّه مزّمع أن يموت". هكذا، فإنّ المسيح "من خلال الأسرار يقيم تذكّر الذبح، وفي ساعة العشاء يشير أيضاً إلى الصليب"^{٢٠٧}.

قبل صلبه، خدم المسيح السرّ الشكريّ: إنه تذكّار آلامه على الصليب. وأعطانا وصيّة أن نقيم نحن أيضاً القدّاس الإلهي على هذا النحو: أن نتذكّر "كلّ ما ظهر للعيان، أعني بذلك المرض، الصليب، الآلام، الموت". ويتساءل البار نيقولاوس كاباسيلاس: لآية علّة يتذكّر المسيح آلامه وليس عجائبه؟ ويجيب هو نفسه: "لأنّ الآلام كانت أشدّ حاجة من المعجزات... ولأنّها تقدّم لنا الخلاص، ومن دونها ليس من سبيل لقيامة الانسان. أمّا العجائب فقد كانت فقط للبرهان، ولأنّ المعجزات صُنعت حتّى يكون جديراً بالتصديق أنّ الربّ هو بالحقيقة المخلّص" ٢٠٨. تؤكد لنا العجائب أنّ المسيح هو المخلّص، أما الآلام المقدّسة فتقدّم لنا الخلاص، أي المسيح.

* * *

ويقتطع الكاهن، بالحربة المقدّسة، الحمل من أطراف ختم القربانة الأربع، ويفصله عنها ويضعه فوق الصنيّة المقدّسة، معلناً بشارة النبي أشعيا المتعلّقة بآلام المسيح. هكذا الكاهن، بالحربة المقدّسة "يخطّ فوق الحمل" آلام المسيح. ويلاحظ البار نيقولاوس كاباسيلاس أنّ "كلّ ما يجري على يد الكاهن ليس سوى سرد عملي لآلام المسيح وموته" ٢٠٩.

أ – "مثل الخروف سيق إلى الذبح". هذه الآية، للنبي أشعيا، تشير عامّة إلى آلام المسيح. يقول القديس باسيليوس الكبير في هذا الصدد إنّ المسيح "الذي يعطي الحياة للعالم، عندما يقدّم ذاته ذبيحة وقرباناً إلى الله لأجل خطايانا، فإنّه يدعى حمل الله وخروفاً" ٢١٠. يسوع المسيح هو الحمل الطاهر البريء من العيب الذي يُذبح لأجل الخروف الضالّ، الانسان.

وذبيحة المسيح على الصليب قد سبق رسمها في الفصح اليهوديّ بذبح الخروف. ويلاحظ أيضاً القديس غريغوريوس اللاهوتي أنّ اليهود يستخدمون في الفصح كضحيّة الخروف "السبب براءته، ولكونه اتّخذ رداء لسرّ العري الأول، لأنّ المسيح، الضحيّة التي ذبحت لأجلنا، هو عديم الفساد" ٢١١. وتعزية المسيح على الصليب المحيي صارت لباس عدم الفساد للانسان.

ب - "مثل حمل بريء من العيب صامت أمام الذي يجرّه هكذا لا يفتح فاه". صمّت المسيح في الآلام يدلّ على حقيقة قبوله المسيح طوعاً: "أنا أضع نفسي لأخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أنا أضعها من ذاتي"، أقوال المسيح هذه تظهر أنه بإرادته "احتمل الصليب لأجلنا، لأنه هو نفسه قد قدّم ذاته، ضحية مقدّسة، إلى الله أبينا" ٢١٢.

في العشاء السريّ، وقبل أن يعطي المسيح جسده المقدّس إلى التلاميذ "شكر" الأب، وبشكره هذا علّمنا أمرين هما: أولاً، طريقة إتمام سرّ الشكر الإلهي، وثانياً أنه يسير نحو آلامه طوعاً ٢١٣.

المسيح يصمت عند مثوله أمام رؤساء الكهنة، يصمت عند مثوله أمام بيلاطس: "أمّا يسوع فلم يعطه جواباً"، ففسّر بيلاطس هذا الصمت كاحتقار لشخصه فما كان منه إلا أن غضب، "فهو لم يفهم إطلاقاً سرّ صمت المسيح" ٢١٤.

ج - "وبتواضعه ارتفعت حكومته". المسيح بتجسّده، "أخلى ذاته آخذاً صورة عبد... وضع نفسه وأطاع حتّى الموت موت الصليب". من العرش الأبويّ سبلك المسيح سبيل التواضع حتّى بلغ إلى الصليب، "على قدر ارتفاع المسيح العظيم، هكذا كان تواضعه. إنه لشأن عظيم جداً أن المسيح صار عبداً. إنه أمر يعجز المرء عن الحديث عنه. أمّا أن يتعرّض المسيح للموت، فهو أمر يفوق كلّ ما سبق. ولكن يوجد ما هو أعظم وأكثر عجباً من ذلك. فما هو هذا؟ إنّ موت الرب لا يشبه أيّ موت آخر، لأنه الموت على الصليب هو أكثر صنوف الموت عاراً ولعنة. لأنه مكتوب: "ملعون كلّ من علّق على خشبة" ٢١٥.

الله هو المحبّة. والمسيح على الصليب أظهر عمق المحبّة والتواضع.

د - "وأما جيله فمن يصفه؟". هذا ما يقوله الكاهن أثناء قطعه الجهة الرابعة من الختم. "يشير النبي بهذه العبارة إلى الله - الكلمة، باستعماله "جيله" إنّما يشير إلى وجوده. لأنه من يستطيع، ولو بأدنى مقياس، أن يعرض لطريقة وجود الابن الوحيد؟

أيّ لسان يستطيع أن يصف الولادة التي يمتنع التعبير عنها، ولادة الابن من الآب؟... نحن نعرف بالطبع ونؤمن أنّه ولد من الله الآب، أمّا كيف كانت هذه الولادة فهذا أمر يتجاوز كلّ عقل، وفحصه لا يخلو من خطر كبير لا بل هو أمر مستحيل^{٢١٦}.

هـ - "لأنّ حياته ارتفعت من الأرض". يفصل الكاهن الحمل ويضعه على الصنيّة المقدّسة. هذه الحركة تذكّرنا بكلمة المسيح: "وأنا إنّ ارتفعت عن الأرض جذبت إليّ الجميع". ذبيحته قدّمت لأجل المسكونة قاطبة. ويقول الذهبيّ الفم في هذا الشأن: "لأيّ سبب لم تتمّ ذبيحة المسيح داخل الهيكل، إنّما خارج المدينة وأسوارها؟... لأيّ سبب يُذبح المسيح على صليب مرتفع وليس تحت سقف؟ قد حصل ذلك لكي يطهر طبيعة الهواء... فالجوّ يتطهر لأنّ المسيح، الخروف، ذُبح عالياً. وتتطهر الأرض لأنّ دمه الذي سال من جنبه سقط نقطة نقطة عليها... لذلك، ذُبح المسيح خارج المدينة وأسوارها حتّى يصير معلوماً أنّ ذبيحته صارت لأجل كلّ البشر، حتّى يصير معلوماً أنّ هذا القربان إنّما قدّم لأجل الأرض كلّها"^{٢١٧}.

كان اليهود يذبحون الحمل سرّياً، أمّا المسيح فنراه يفتح يديه الطاهرتين/ويضمّ إليه الخليقة كلّها: "كان الحمل قديماً يُذبح في الخفاء، لكن بذبحك جهاراً كحمل طهرت كلّ البرايا يا منقذ"^{٢١٨}.

عندما اقترب الرسول فيلبّس من عربة الرجل الحبشيّ، وزير كنداكة ملكة الحبشة، سمعه يقرأ أقوال النبي أشعياء هذه التي تلاها الكاهن قبل قليل. وعندما عمد هذا الرجل إلى سؤاله عن الشخصيّة التي يشير إليها النبي "ابتدأ الرسول فيلبّس من هذا الكتاب فبشره يسوع"^{٢١٩}. وهذا ما قام به الكاهن للتوّ: بالأقوال النبويّة عينها (من هذا الكتاب)، تبدأ البشارة السارة (الانجيل)، البشارة الشكريّة: ذبيحة يسوع وحضوره.

الشمّاس: إذبح ياسيّد، والكاهن يذبح الحمل المقلوب على الصنيّة المقدّسة بالاتّجاه العامودي للصليب قائلاً: يذبح حمل الله الرافع خطيئة العالم، من أجل حياة العالم وخلاصه^{٢٢٠}.

الشمّاس: أصلب يا سيّد.

والكاهن يذبح الحمل مجدّداً بالاتّجاه الأفقي، بحيث يكون القطع على شكل صليب قائلاً: بصلبك أيّها المسيح سُحِقَ العذاب ووُطِئَت قوّة العدو، لأنّه لا ملاك ولا إنسان بل أنت يا ربّ، خلّصتنا، المجد لك^{٢٢١}.

والشمّاس: إطعن يا سيّد.

والكاهن يطعن الحمل بالحرّبة من جهة اليمين قائلاً: وإنّ واحداً من الجند طعن جنبه بحرّبة. وللوقت خرج من جنبه المقدّس دم وماء، والذي عاين شهد وشهادته حق^{٢٢٢}.

وعند ذلك يتناول الشمّاس وعاء الخمر يمينه ووعاء الماء بشماله ويسكب منهما في الكأس المقدّسة، ويقول: بارك يا سيّد الاتحاد المقدّس. فيبارك الكاهن قائلاً: مبارك اتّحاد قدّيسيك، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

✠ يُذبح حمل الله

يتابع الكاهن، قولاً وفعلاً، مسيرة آلام المسيح: يُذبح حمل الله. "الحمل الحقيقي"، الضحيّة الطاهرة، يساق إلى الذبح لأجلنا جميعاً ليمحو خطيئة العالم... ليسحق الموت... ليصير للطبيعة البشريّة مبدأ كلّ صلاح... مبعث حياة أبدية، أساس إعادة تشكّلنا حسب ما هو مرضيٌّ لله، مبدأ تقوى وبرّ، طريقاً إلى ملكوت السموات... لأننا كنّا نعيش في خطايا كثيرة - ولأجل ذلك وجب أن نسلّم إلى الموت والفساد - أعطى الآب ابنه فدية عنا... مات واحد فداء عن الجميع، حتّى نحيا جميعنا به^{٢٢٣}.

بصليب الربّ، تندحر شوكة الشيطان وتُداس قوّته. "لقد انقطعت إذاً ديانة الشيطان، وتقدّست الخليقة بالدم الإلهي، وانهدمت هياكل الأوثان ومعابدهم. العبادة هي للثالوث القدّوس المتساوي الجوهر، للألوهة غير المخلوقة، للاله الواحد الحقيقي، خالق الكلّ وربّهم. الفضائل تُمارس، ورجاء القيامة قد أُعطي هبة بقيامة المسيح. الشياطين ترهب البشر الذين كانوا قبل ذلك مستعبدين لها. وإليكم ما يثير الإعجاب على نحو أعظم: قد جرى تحقيقها كلها بالصليب والآلام والموت".^{٢٢٤}

❖ قد خرج دم وماء

الكاهن بطعنه الحمل بالحربة المقدّسة يصوّر ما فعله الجنديّ الروماني عندما طعن جسد المسيح الكليّ قدسه على الصليب. وتورد واقعة عن البارثوذكسيوس الجديد (القرن التاسع) أنّه، لما بلغ إلى هذا المكان من إقامته أوّل قدّاس إلهي، تأثّر كثيراً جداً، وتخشّعت نفسه إلى درجة الرغبة بإعفائه من الكهنوت.

عندما طعن الجندي جنب السيّد، خرج "دم وماء".

وهذا الحدث بالنسبة للآباء القديسين صورة لسرّي المعموديّة والقدّاس الإلهي. يقول القدّيس كيرلس بطريرك الاسكندرية أنّ الجنود "طعنوا الجنب بالحربة، فخرج من الجنب دم ممزوج بماء، وهذا المزيج هو صورة لسرّي المعموديّة والقدّاس الإلهي، وقد مُنحت لنا من الله كصورة لما قد سبق حدوثه"^{٢٢٥}.

أما الكنيسة فتوجد بهذين السرّين النابغين من جنب المسيح: "ذاك الدم والماء هما رمز للمعموديّة المقدّسة ولسرّ الشكر. ولدت الكنيسة من هذين السرّين... لقد خلق المسيح، الكنيسة من جنبه، كما سبق له بالضبط أن خلق حواء من جنب آدم". وكما أنّ حواء خلقت لما كان آدم نائماً، كذلك تشكّلت الكنيسة من جنب المسيح لما كان راقداً - ميتاً^{٢٢٦}.

في اللحظة التي ظهر فيها الألم والموت، برز الفرح الكبير والحياة: "طعن جنبك بحربة ليفيض لي جداول حياة". جنب السيّد يحيي الانسان: "من جنبك الذي طعن

بالحرية، أيها المخلص، تفيض حياة فوق الحياة (أي حواء) التي نفتني من حياة الفردوس، وتمنحني الحياة وتحيني معها^{٢٢٧}. جنب السيد المحيي يروي الكنيسة، فردوس الله العقلي، يرويها من حياة السيد.

وعلى الذين يرون في الخمر سبباً للسكر، يجيب الذهبي الفم أن العلة ليست في الخمر بل في النية السيئة. ويضيف "تمعن أيها الانسان وافتكراً لأي غرض استخدم الخمر وتخشع. لأن أساس الصالحات الحاصلة لنا بالخلاص (أي سر الشكر) يتم بواسطة الخمر، والمشترون في هذا السر يدركون جيداً ما أقوله". يعرف أولئك الذين يتناولون من كأس الحياة، أن "الكأس الروحية... ليست مبعثاً على السكر... ولا تبعث قوة الانسان بل تعطيها دفعاً... إنها طريقة سكر جديدة: تضيف قوة على الانسان، تجعله منضبطاً وقوياً، لأنه يسيل من الصخرة الروحية^{٢٢٨}".

هذا السكر يقتلع الانسان من الماديات ويقوده إلى النعم الالهية. السكر الذي تثيره الكأس السيديّة "هو سكر مفيض للصحو". سكر يجعل الانسان مشاركاً للحياة الأبدية، لأنها "تسمّر في الأبدية أفكار كل من تذوق خبرة هذا السكر، فيبادل قصر العمر بالموت ويمدد انتظاره في بيت الرب إلى مدى الأيام^{٢٢٩}". هناك يعبر المؤمن عن عرفانه بالجميل تجاه السيدة العذراء التي يفيض منها الخمر الخلاصي، أي المسيح.

"أيتها العذراء، ككرمة غير مفلوحة أفرعت أجمل العناقيد، الصائرة لنا خمرًا، خلاص الجميع، المفرح النفوس والأجساد. لذلك نطوبك لأنك علة الخيرات، وإليك نهتف على الدوام مع الملائكة: إفرحي أيتها الممتلئة نعمة^{٢٣٠}".

■ جسد المسيح

القرايين التي يقدمها الانسان لله هي الخبز والخمر، وهذان يشكّلان رمزاً لوحدة جسد المسيح المقدس (أعني الكنيسة) والتئام أعضائه حوله.

ويسأل الذهبي الفم: ما هو الخبز؟ ويجيب: "إنه جسد المسيح وما يصبح عليه المشتركون فيه اعني المسيح". ويتابع: "ليسوا هم أجساداً عديدة، بل جسداً واحداً.

لأنه كما أن الخبز إذ يتكوّن من حبات قمح عديدة هو واحد وليس بمقدور المرء تمييز حبات القمح التي يتكوّن منها... هكذا نحن، نتحد ببعضنا البعض ومع المسيح. لأنك لا تتغذى من جسد بينما غيرك من جسد آخر، بل الجميع من الجسد نفسه يغتذون. لذلك يضيف بولس الرسول: لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد^{٢٣١}.

وتعبّر الصلوات الليتورجية هي أيضاً عن واقع الوحدة بين المؤمنين، وهو ما يشير إليه استعمال الخبز: "كما أن هذا الخبز كان مبعثراً فوق الجبال (على شكل حبات قمح) وخبز فصار عجينة واحدة، هكذا إجمع كنيستك المقدسة من كل الأمم وكافة الأقطار والمدن والقرى والمنازل واجعلها كنيسة واحدة حية جامعة"^{٢٣٢}.

أما رمز الوحدة بين المؤمنين فيشير إليه استعمال الخمر: فهذا المشروب مستخرج من حبات عنب كثيرة جمعت من كروم عديدة منتشرة في أرجاء المعمورة.

ويأخذ الكاهن قربانة ثانية ويرفع منها بالخربة المقدسة جزء السيدة على شكل مثلث قائلاً: لإكرام وتذكّار سيّدتنا المجيدة الفاتكة البركات والدة الإله الدائمة البتولية مريم، التي بشفاعاتها يا ربّ اقبل هذه الذبيحة على مذبحك السماوي.

ويرفع الجزء بالخربة ويضعه عن يمين الحمل قائلاً: قامت الملكة عن يمينك موشحة ومزينة بثوب مذهب^{٢٣٣}.

❖ قامت الملكة عن يمينك

عند أخذ "الكثرون"، يطلب الكاهن من العذراء أن تكون البوابة المؤدية إلى الحياة. والآن نطلب نحن المؤمنين، بواسطة الكاهن شفاعاتها الكلية القداسة حتى تصير تقدمتنا مقبولة.

والدة الإله العذراء هي نفسها المائدة المقدسة الكلية الطهارة حيث يجري تقديم الذبيحة الشكرية، إنها المكان حيث يستقرّ ابنها، الإبن الوحيد. فأى مكان جدير

بالمسيح، تلك الضحية الجديدة، سوى العذراء التي ولد منها... طالما أنه لا يوجد مكان آخر أكثر قداسة منها؟" ٢٣٤.

السيدة العذراء هي الرابط بين السماء والأرض: تقف بين الإنسان الذي يرفع ذبيحة التسبيح، والله، الذي يقبل هذه التقدمة. من المسيح، "رأس جسد الكنيسة" تنبع كل موهبة كاملة" ٢٣٥. ومن خلال والدة الإله، التي هي رقبة الجسد، تنحدر العطية العلوية إلى المؤمنين - أعضاء جسد الكنيسة: "هي وسيط بين الرأس والجسد ونوع من الرابط بينهما، كما الرقبة، وهي الصلاح الفائقة الطبيعة الممدوح من، وعالم الكنيسة الذي يفوق كل العوالم، أم المسيح وسند الرأس المباشر... وهي أيضاً الطريق الوحيد المؤدي إلى الآب، الرقبة الشريفة التي تلج بجميع أعضاء الجسد إلى الرأس" ٢٣٦.

بخدمتها في التدبير الإلهي، آلت العذراء على نفسها أن تكون مصدر إحسان للخليقة بأسرها. السماء والبشر والملائكة، كلهم قبلوا بركتها الوالدية. بالعذراء "أشرق النور للملائكة أيضاً وأعطيت لهم القدرة أن يصيروا أكثر حكمة وتقوة من ذي قبل، أن يدركوا على نحو أفضل صلاح الله وحكمته... بهذه الطريقة، خلقت العذراء أرضاً جديدة وسماء جديدة، أو بالأحرى فإنها هي بالذات السماء والأرض الجديدة" ٢٣٧.

ويذكر البار نيقولاوس كاباسيلاس سببين لكون العذراء أرضاً جديدة وسماء جديدة. أولاً، لأنها وسعت في حشاها "من لا تقدر السماوات على احتوائه"، وثانياً لسبب نقاوتها. وبالتالي يخلص إلى الاستنتاج "أنه من الواضح أن من يدعو النبي <سماء السموات> - مشدداً أنه أمر يليق بالله وحده مستشهداً بالقول المعروف: "السموات سموات للرب" - إنما هو شخص العذراء نفسها" ٢٣٨.

وإذا كانت العذراء، وهي على الأرض "سماء السموات"، فإن لها مكانة مشابهة في السماء. رقادها الكلي قدسه هو عيد احتفالي في السماء، يترأسه المسيح. ويقول البار يوحنا الدمشقي متحدثاً عن المسيح: "انزل، انزل يا رب لكي تعطي والدتك -

التي لها عليك واجب كبير - كلّ ما أنت مدين لها لجهة تربيتك. افتح يديك الإلهيتين واقبل نفس والدتك... وبادر نحوها بقول عذب: "قومي يا جميلتي وتعالى"... قد أعطيتني ما هو لك، هيّا تنعمي بما هو لي. هيّا أيتها الوالدة نحو ولدك. هلمّي لتملكي معي، أنا الذي ولدتُ منك بتواضع وعشت معك بتواضع"^{٢٣٩}.

ويصف القدّيس يوحنا الدمشقي فرح السماء عند استقبال ملكته: "قد تقدّمتك يا والدة الاله، القوّات الملائكيّة بالتسابيح الشريفة والمصاييح الالامعة في هذا العيد الكلّي الضياء، كما لو أنّهم يقولون: "مَنْ هي هذه الطالعة... مَنْ هي المقبلة مثل الصبح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس؟... الملك أحضرك إلى مخدعه. هناك السلطات حرّاس لك، الرئاسات مادحة إياك، العروش تسبّحك، الشروبيم يعتمرها الفرح والاندهاش... بلغتِ إلى العرش الملكيّ، عرش ابنك نفسه، وأنت ترينه بأمر عينيك. تفرحين وتقفين قربه... تباركين العالم وتقدّسين الخليقة كلّها"^{٢٤٠}.

غدت العذراء في يوم البشارة "عرش الملك الذي لا يتزعزع"، وفي يوم رقادها أجلسها ابنها من عن يمين العرش الملكي: "لقد ابهجك ابنك مجلّوة بشعاع الروح يا كليّة النقاوة، وأقامك عن يمينه كملكة مزدانة بجلّة مذهّبة. فلنرفعه إلى كلّ الدهور"^{٢٤١}.

ثمّ يرفع القربانة عينها (أو من قربانة ثالثة) أجزاء الطغيمات، وإذ يرفع الجزء الأوّل، يضعه من عن شمال الحمل قائلاً: لإكرام وتذكّار رئيسي طغيمات الملائكة العظمين ميخائيل وجبرائيل وجميع القوّات السماويّة.

تقف ملائكة لدى الهيكل

في إقامة القدّاس الإلهي تشترك أيضاً القوّات الملائكيّة. لذلك يضع الكاهن عن شمال الحمل جزءاً "لإكرام القوّات السماويّة".

قبل تجسّد الكلمة، عرف الملائكة بشكل خافت: "حكمة الله البسيطة والواحدة في جنسها"، على حسب تعبير القديس غريغوريوس النيصصي. بتجسّد الكلمة "ظهر الله بالجسد... تراءى للملائكة". ويستخلص الذهبي الفم فيقول: "قد شوهدها حينها من الملائكة وقد ارتدى جسداً" ٢٤٢.

لما حان ملء الزمان، أعلن للملائكة أولاً تدبير "السّرّ المكتوم منذ الدهور لدى الله"، ومن ثم كشفه الملائكة للبشر: "سّرّ محبة يسوع المسيح الالهية للبشر تلقّنه أولاً الملائكة، ومن خلاصهم بلغت إلينا نعمة المعرفة" ٢٤٣.

حضر رئيس الملائكة جبرائيل إلى زكريّا كي يبشّره بولادة المعمدان، الذي كان "ملاكاً قدام وجه" المسيح. ورئيس الملائكة نفسه حضر إلى العذراء ليبشّرها "أنّه منها سيولد السّرّ الالهيّ لتلك الجبلّة الالهية التي لا يعبر عنها" ٢٤٤. حضر أيضاً ملاك إلى يوسف ليعلمه أنّ العذراء قد حبلت بالروح القدس وأنّ المولود منها هو مخلص العالم ٢٤٥.

عندما ولد المسيح في بيت لحم، حضر ملاك الربّ إلى الرعاة، لأنّ أنفسهم كانت طاهرة وكانوا يعيشون في الهدوء، وبشّروهم بالبشارة السارة أنّ المسيح ولد: "وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويّ مسبّحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة" ٢٤٦.

والآن، في بيت لحم الليتورجية، اعني بذلك المذبح الالهيّ، تجري خدمة سرّ تجسّد الكلمة. وتظهر ملائكة الربّ للكهنة ذوي النفوس الطاهرة: "يخبر أحد الآباء أنّ شيخاً طاهراً وقديساً، كان عند إتمامه بخدمة الذبيحة يشاهد ملائكة واقفين عن يمينه وشماله". وأما ساعة تقديس القديسات "فقد انتصبت ملائكة لدى الهيكل وهتفت طغمة القوات الملائكية كلها، ومالأوا المكان المحيط بالمائدة لأجل إكرام الموضوع عليه" ٢٤٧، أي السيد المسيح.

ثمّ يرفع الكاهن جزءاً ثانياً ويقول: والنبّي الكريم السابق المجيد يوحنا المعمدان، والآباء القدّيسين المجيدين موسى، وهرون، وإيليا، واليشع، وداود، ويسّى، والفتية الثلاثة القدّيسين، ودانيال النبي، وسائر الأنبياء القدّيسين.

ثمّ يرفع جزءاً ثالثاً ويقول: والقدّيسين المجيدين الرسل الكليّ مديحهم بطرس، وبولس، والرسل الاثني عشر، والرسل السبعين، وسائر الرسل القدّيسين.

ثمّ يرفع جزءاً رابعاً ويقول: وآبائنا القدّيسين معلّمي المسكونة ورؤساء الكهنة المعظّمين باسيليوس الكبير، غريغوريوس اللاهوتي، ويوحنا الذهبي الفم، أثناسيوس وكيرلس ويوحنا الرحوم بطاركة الاسكندرية، نيقولاوس أسقف ميرا، اسبيريدون أسقف تريميثوس، ونكتاريوس أسقف المدن الخمس وسائر رؤساء الكهنة القدّيسين.

ثمّ يرفع جزءاً خامساً ويقول: والقدّيس المجيد أوّل الشهداء ورئيس الشمامسة استيفانوس، والقدّيسين المجيدين العظام جاورجيوس الحائز الظفر، وديمترىوس المفيض الطيب، وثاوذوروس الصّوري وثاوذورس قائد الجيش، والقدّيسين الشهداء في الكهنة بوليكرىوس، خرمبوس وإليفيثريوس، والقدّيسات الشهيديات تقلا، بربارة، كاترينا، وأوفيميا الكليّة المديح، وسائر الشهداء والشهيديات القدّيسين.

ثمّ يرفع جزءاً سادساً ويقول: وآبائنا الأبرار المتوشّحين بالله، أنطونيوس الكبير وأفثيميوس وسابا المتقدّس، وأونوفريوس، وأثناسيوس الذي في آثوس، وأمّا البارة مريم المصرية وسائر الأبرار والبارّات القدّيسين.

ثمّ يرفع جزءاً سابعاً ويقول: والقدّيسين الصانعي العجائب العادمي الفضّة، قزما ودميانوس وكيرس ويوحنا وبندلايمون وأرمولاوس، وسائر القدّيسين العادمي الفضّة.

ثمّ يرفع جزءاً ثامناً ويقول: والقدّيسين يواكيم وحنة جدّي المسيح الاله، والقدّيس (فلان) الذي نقيم تذكّاره اليوم، والقدّيس (فلان) صاحب هذا البيت المقدّس (إذا لم يسبق ذكره آنفاً)، وسائر القدّيسين الذين نسألك بوسائلكم أن تفتقدنا يا الله وترحمنا.

ثمّ يرفع جزءاً تاسعاً ويقول: وأبينا الجليل في القدّيسين يوحنا الذهبي الفم رئيس أساقفة القسطنطينيّة.

❖ لإكرام وتذكّار القديسين

القدّاس الالهيّ هو إظهار "لشركة القديسين"، وهو في الوقت عينه عربون شكر المؤمنين لشركة القديسين، لذلك يعمد الكاهن إلى اقتطاع أجزاء "لإكرام وتذكّار" كافّة القديسين ويضعها على شمال الحمل.

في القدّاس الالهيّ، يجتمع مع المسيح "محفل القديسين"، وبدون انفصال عنه. حضورهم يكشف عن العرى التي لا تنفصم التي تميّز وحدتهم الشريفة وفوق العالمية التي تجمعهم مع المسيح^{٢٤٨}. يشترك القديسون مع المؤمنين في القدّاس: "ولأنه قد سبق للقديسين أن جاهدوا مع المسيح، فهم يحصلون بهذا السرّ الرهيب على مجد وارتقاء عظيمين، وذلك بفضل الاشتراك في هذه الذبيحة الخلاصيّة. وأمّا بالنسبة إلينا، فتصالحنا مع المسيح وتحدّنا به"^{٢٤٩}.

في القدّاس الالهيّ نعيش سرّ الكنيسة، سرّ شركة القديسين. نتناول جسد المسيح (سرّ الشكر) وينكشف جسد المسيح (الكنيسة) بدوره. "هذا نتغذى به، نتحدّ به، ونغدو جسد المسيح واحداً، وبشرة واحدة"^{٢٥٠}.

الكنيسة هي "محفل القديسين"، والقدّاس الالهيّ هو الحدث الذي يجمع كلّ الكنيسة إلى "طريقة حياة مع الله"، وإلى "توافق وتجانس واحد". في القدّاس الالهيّ، نحن مع "جميع القديسين"^{٢٥١}.

محفل القديسين، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، هو غاية التدبير الالهيّ. "لهذا السبب تجسّد الله وبشّر وعلم وتألّم ومات وذلك كي يرفع البشر من الأرض إلى السماء وليصيروا ورثة ملكوت السموات". محفل القديسين هو البرهان أنّ ملكوت الله سبق ومُنح لنا: "الكنيسة، بآلاف أعضائها الذين أرسلتهم ليستوطنوا السماء، قد ورثت بالواقع ملكوت السموات نفسه"^{٢٥٢}.

نشكر الله على الخيرات التي منحها للقدّيسين لأننا نشعر أنهم آباؤنا وإخوتنا الأخصّاء. ونشعر بالتالي أنّ مواهبهم التي من الله هي ملكنا أيضاً. ونحن مع القدّيسين نشكر المعطيّ والواهب مقدّمين قرايينا الخاصّة.

كلّ جماعة شكرية هي في الواقع كافّة "الرعية التي بفم واحد وقلب واحد" ترفع قرايينها إلى الراعي الواحد. شركة جسد السيّد تخلق شركة الجسم الكنسيّ: "نشترك بجسد المسيح، ونغدو نحن جسده" ^{٢٥٣}. شركة المحبة الإلهية تخلق شركة محبة القدّيسين، وهكذا فإنّ حياة القدّيسين تمتدّ دون انقطاع عبر الزمن، لأنّ القدّيسين قبل عبورهم بوابة الموت قد اشتركوا بالغذاء المنزّه عن الفساد، وبالموت دخلوا إلى الحياة.

ثمّ يرفع الكاهن جزءاً ويقول: أذكر أيّها السيّد المحبّ البشر جميع الأساقفة الأورثوذكسيّين، ورئيس كهنتنا (فلان)، والكهنة المكرّمين والشمامسة خدام المسيح وكلّ طغمة الكهنوت والمتوحّدين وكلّ إخوتنا، الذين بتحنّك دعوتهم إلى شركتك أيّها السيّد الكليّ صلاحه. ويضع الجزء أمام الحمل، ويذكر رئيس الكهنة الذي منه أخذ الشرطونيّة (إذا كان من الأحياء، وإلاّ فيذكره مع الأموات)، فيرفع الجزء ويضعه أمام الحمل.

ثمّ يرفع جزءاً آخر ويقول: وأيضاً نطلب من أجل المطوّبين الدائميّ الذكر الذين عمّروا هذا الهيكل المقدّس ومغفرة خطاياهم. ثمّ يذكر رئيس الكهنة الذي تشرطن منه (إذا كان من الأموات)، وفي النهاية يقول: وجميع الذين رقدوا على رجاء القيامة والحياة الأبدية من آباؤنا وإخوتنا الأورثوذكسيّين، أيّها الربّ المحبّ البشر. ويقتطع لهم أجزاءً، وكذلك يذكر الشماس ما شاء من الأسماء، أحياء وراقدين، بينما الكاهن يرفع الأجزاء عنهم.

وأخيراً يقول الكاهن: أذكرني يا ربّ أنا أيضاً عبدك غير المستحقّ واغفر لي كلّ ذنوبي الطوعية والكرهية. ثمّ يجمع الأجزاء كلّها التي نحتها أمام الحمل، بحيث تكون بأمان ولا يسقط من الصينية المقدّسة جزء منها.

■ محفل المؤمنين الشريف

يقول القديس سمعان أسقف تسالونيك، انّ الجزء الذي يرفعه الكاهن على اسم أحد الاخوة الأحياء "يضعه قرب الحمل الالهي". وعند استحالة الخبز إلى جسد المسيح، يشترك هذا الجزء على الفور بالتقديس. ويتابع قائلاً: "يوضع هذا الجزء في الكأس المقدسة، فيتحد بدم المسيح المقدس ويمسح النعمة الالهية إلى النفس التي من أجلها رُفِعَ هذا الجزء. تتحقق على هذا المنوال شركة عقلية بين الانسان والمسيح. فإذا كان هذا الإنسان ممن يعيشون بتقوى، أو ممن أخطأوا وتابوا، فإن نفسه تقبل شركة الروح القدس بحال غير منظورة... أمّا إذا كان من أولئك الذين يعيشون في الخطيئة وبقي ملتصقاً بها، فإنّ التقدمة المرفوعة عنه إنّما تقدّم لدينوته طالما أنه غير جدير باقتبال شركة الروح القدس"^{٢٥٤}.

ولا يُحرم الراقدون من نعمة التقديس الممنوحة للإحياء بواسطة الشركة الإلهية. لذلك يتابع الكاهن ذكر أسماء الراقدين من الأخوة بعد انتهائه من ذكر الأحياء منهم.

النعمة التي يتقبلها الراقدون من إخواننا، من قبل الرب، ليست أدنى من تلك التي تُمنح لنا، لأنّ المسيح يهب نفسه للراقدين أيضاً "على نحو يعرفه هو وحده". أثناء القداس الالهي، تحصل نفوس الراقدين "من خلال صلوات الكهنة على غفران الخطايا... قد يُمحي لهم كلّ دين أو يُستثنى بعضها على الأقل، وهكذا يصيرون أكثر استعداداً للإشتراك في شركة المخلص"^{٢٥٥}.

يرد في سيرة المتوشّح بالله مكاريوس المصري أنّه لما صادف القديس داخل القفر جمجمة أحد كهنة الأوثان، سمع صوتاً يقول له أنّه "عندما يتحنن على الذين في الجحيم ويصلي من أجلهم فإنهم يلقون قليلاً من التعزية"^{٢٥٦}.

عرف القديسون، ولا زالوا، التعزية التي تتقبلها النفس من خلال التقدمة الليتورجية على نحو خاص. ويقول الذهبي الفم إنّ الرسل القديسين شرّعوا ذكر

الراقدين أثناء القدّاس الإلهي لأنّهم عرفوا أنّ نفوسهم "ستحصل على ربح كبير وفائدة عميمة". وفي عظة أخرى بحثنا قائلاً: "لا نتعب من مساعدة أولئك الذين رحلوا عن الحياة الحاضرة، مقدّمين لأجلهم قرابين وسائلين أن تقام لأجلهم تضرّعات. لأنّ أماننا المسيح، معتق المسكونة"^{٢٥٧}.

في الوقت الذي يذكر فيه الكاهن أسماء الأحياء والراقدين، يستطيع كلّ مؤمن أن يذكر ما يشاء من أسماء الأحياء والراقدين. في الجبل المقدّس آثوس، فقبل أن يغطّي الكاهن القرابين الكريمة، يقرع جرساً صغيراً ليعمد الحاضرون حينها إلى ذكر الأسماء التي تخصهم. والكاهن في تلك الأثناء يقطع الأجزاء عنهم.

* * *

ولما ينتهي الكاهن من ذكر أسماء الأحياء والراقدين يتهل إلى المسيح أن يذكر حقارته. الآن، على الصنيّة المقدّسة، تتجلّى أيقونة الثامنا حول المسيح: أي أيقونة كنيستنا المقدّسة. نعيش بالقرب من المسيح والعذراء، مع القدّيسين والقوّات الملائكيّة، سرّ الجمع المسكوني الشكريّ لكنيستنا الواحدة المقدّسة الرسوليّة: "نشاهد يسوع نفسه وكنيسته معاً... ووالدة الإله... عبر النور الحقيقي... عن اليمين. القدّيسون والملائكة عن الشمال، إلى أسفل الحفل الشريف للمؤمنين كافّة. وهذا هو السرّ العظيم: الله عند البشر، والله بين آلهة، متألّهين بالمتجسّد من أجلهم، الإله فعلاً بحسب طبيعته. هذا هو الملكوت العتيد وحياة الدهر الآتي: الله معنا، نشاهده ونتناوله"^{٢٥٨}.

أثناء القدّاس الإلهي، نشاهد على الصنيّة المقدّسة "الالتام الذي جمعه الله"، وهو التام "حاصل بالابن"^{٢٥٩}. المسيح نفسه، بمحبّته، يجمعنا إلى ليتورجية ملكوته.

ثمّ يأخذ الشّمّاس المبخرة ويقول للكاهن: بارك البخور يا سيّد. فيبارك الكاهن قائلاً: بخوراً زكياً نقدّم لك أيّها المسيح إلهنا لرائحة طيب روحانيّة. فتقبّله على مذبحك السماويّ وأرسل لنا عوضه نعمة روحك الكليّ قدسه.

■ عندما تغدو النفس محرقة بخور

يقول الرب الضابط الكلّ على لسان النبي ملاخي: "لأنّه من مشرق الشمس إلى مغربها، إسمي عظيم بين الأمم وفي كلّ مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة".

ويتساءل الذهبيّ الفم: "متى تحققت هذه النبوءة؟ متى قدّم إلى الله في كلّ مكان بخور وذبيحة طاهرة؟ ويجيب: "بعد حضور المسيح". والذبيحة الطاهرة هي القدّاس الالهيّ. عندما يقارن أحدهم الذبيحة اليهوديّة بالتقدمة الشكرية "فإنّه بمقدوره القول إنّ ذبيحة سرّ الشكر هي الذبيحة الطاهرة الوحيدة، لأنّها لا تقدّم مع دخان أو بخور، ولا بدم حيوانات ولا بفدية، بل بنعمة الروح القدس" ٢٦٠.

والبخور الذي يستعمله الكاهن الآن هو صورة مسبقة عن انحدار الروح القدس على القرايين المقدّمة: "رائحة البخور الزكية تلج بنا إلى العطر الزكيّ الذي يرافق الروح القدس"، كما يقول القدّيس جرمانوس ٢٦١. ييخر الكاهن الذبيحة المقدّسة، و"يكرّم الله على هذا النحو بتقدمة رائحة البخور الزكية. ويظهر في الوقت نفسه أنّه حينما يتمّمه إنّما يفعل ذلك بالروح القدس، وأنّه بهذا السرّ قد فاضت نعمة الروح القدس على العالم" ٢٦٢.

ويكتب القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث في هذا الشأن: "المياخر عندما تُشعل وتحرق بخوراً وتنشر رائحة زكية، تدلّك على نعمة الروح القدس في نفس كلّ مَنْ هي فاعلة فيه فتثيره ببهاء وتعطر حواسّه برائحة عطر روحانيّة. تنير كأنّها نور وتشاهد من أتقياء القلوب. تفوح كعود الحياة الذي يَصْلُب، لا بل يميت إرادات الجسد ويعطر العالم كلّهُ ويبهج المؤمنين بفرح روحاني" ٢٦٣.

ويطلب إلينا القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم أن تشتعل نفوسنا بغيرة إلهيّة، بحيث تغدو النفس عينها، بالصلاة وعبادة الله، محرقة بخور: "كما أنّ هذا البخور، هو جيّد بحدّ ذاته وزكيّ الرائحة، إلّا أنّه لا يكشف عن رائحته إلّا بالنار، كذلك بالضبط هي الصلاة، فهي جيّدة بحدّ ذاتها، لكنّها تفوح أكثر عندما ترفعها نفس ملتهبة،

وعندما تغدو النفس محرقة بخور وتضرم ناراً قويّة... فأضرم أولاً ذهنك بالاستعداد بعندئذٍ صلّ^{٢٦٤}.

في بداية قدّاس القديس يعقوب، يتهل الكاهن إلى المسيح، "في صلاة البخور"، أن يعتقه من رائحة الأهواء العفنة ويؤهّله للوقوف أمام المائدة المقدّسة بنفس وجسد زكّي الرائحة: "أيّها الربّ السيّد يسوع المسيح، يا كلمة الله، المقدم ذاته طوعاً ذبيحة طاهرة على الصليب لله الآب، الجمرة ذات الطبيعتين، التي لمست شفّتي النبي والتي نزعْتَ آثامه، لمس أيضاً حواسنا، نحن الخطاة، وطهرنا من كلّ دنس وأهّلنا للوقوف أمام مائدتك المقدّسة أتقياء لنقرّب لك ذبيحة تسبيح. وتقبّل منا نحن عبيدك البطالين، هذا البخور الحاضر لرائحة زكيّة، وقدّسنا بقوة تقديس روحك الكلّي قدسه".

الشمّاس: إلى الربّ نطلب. أنجم يا سيّد.
فيأخذ الكاهن النجم ويضعه فوق الحمل قائلاً: وجاء النجم ووقف فوق حيث كان الصبيّ مع مريم أمّه^{٢٦٥}.

الشمّاس: إلى الربّ نطلب. جمل يا سيّد.
والكاهن يبخر الغطاء الأوّل ويغطّي به الحمل مع الصنيّة قائلاً: الربّ قد ملك، والجمال لبس. لبس الربّ القوّة وتمنطق بها، لأنّه ثبت المسكونة فلن تنزعزع^{٢٦٦}.

الشمّاس: إلى الربّ نطلب. غطّ يا سيّد.
والكاهن يبخر الغطاء الثاني ويغطّي به الكأس المقدّسة قائلاً: غطّت فضيلتك السموات أيّها المسيح. وامتألت الأرض من تسييحتك^{٢٦٧}.

الشمّاس: إلى الربّ نطلب. استر يا سيّد.
والكاهن يبخر الستر الكبير ويفتحه فوق الصنيّة والكأس المقدّسة قائلاً: استرنا يا ربّ بستر جناحيك، واطرد عنا كلّ عدوّ ومحارب^{٢٦٨}. وامنح السلام لحياتنا. وارحمنا وارحم عالمك، وخلّص نفوسنا بما أنك صالح ومحبّ البشر.

❖ الربّ قد ملك والجمال لبس

يقول الذهبيّ الفم: "كانت طبيعتنا، قبل حضور المسيح، مسودة من الشيطان والخطيئة والموت... فالشيطان سخر منها، والخطيئة ذبحتها والموت دفنها"^{٢٦٩}. تجسّد المسيح ليعتقنا من الاستعباد الشيطاني هذا، الثلاثي الشوكة (الشيطان، الخطيئة، الموت)، ويمنحنا حرّية الروح القدس: "لأنّ الجنس البشري قد استُعبد لاستبداد الشيطان، طالما أنّه بالسقوط قد ابتعد عن ملكوت الله. فحضر إلى الأرض ابن الله الوحيد لكي يخضعه من جديد تحت عرش سلطانه. وهذا ما حصل بالفعل"^{٢٧٠}. فتمّت على هذا النحو نبوءة المزمور: "الربّ قد ملك والجمال لبس. لبس الربّ القوّة وتمنطق بها".

ولكن ما هي القوّة التي تمنطق بها المسيح في تجسّده؟ إنّها جسده نفسه الكليّ قدسه. فقد غدا هذا الجسدُ الرداء الذي لبسه: "يدعو (المزمور) جسد المسيح لباساً... وأما بشرته فيدعوها جمالاً، لأنّها لا تتحلّى ببشاعة الخطيئة"^{٢٧١}.

بشرة المسيح الكليّ قدسيها غدت للمخلص "حلّة"، "منطقة"، "زئاراً" يتمنطق بها. وعندما تمنطق بهذا الزئار غلب الشيطان وانتزع من يديه المقيدين وحرّره، وكبله هو نفسه. وصارت بشرة المسيح بالنسبة إلينا نحن المخلصين قوّة الله، كما يكتب بولس الرسول^{٢٧٢}.

غلب المسيح وثبتت المسكونة على الصخرة الحقيقيّة، التي لا تتزعزع، أي هو نفسه. فتطرب المسكونة فرحةً بظفر المسيح، تحتفل معيّدة لانسحاق الاستبداد ولاستعلان الملكوت الجديد. هذا العيد الاحتفالي هو القدّاس الالهيّ.

❖ فضيلتك، أيّها المسيح، قد ارتفعت على السموات

ان أعظم مثال للمحبّة الالهية للبشر هي المواهب التي تُمنح لنا في سرّ المعموديّة المقدّسة وفي القدّاس الالهيّ. ويقول البار نيقولاوس كاباسيلاس: "ماذا يعادل هذه المواهب؟ أن يغدو البشر آلهة وأبناء الله، أن تُكرّم طبيعتنا بكرامة الله، وأن ترتفع

الجبلة الترابيّة إلى قمّة المجد هذه، بحيث تغدو مساوية في التكريم للطبيعة الإلهيّة ومشابهة لها؟... أظنّ أنّ هذه هي فضيلة الله التي ارتفعت على السموات^{٢٧٣}.

* * *

وبينما يعلن الكاهن عن الملكوت الذي هو بقربنا، "يغطّي القرايين، أي الخبز والكأس، بالأغطية الشريفة ويبيخرها. ففي البدء احتجبت قوّة الإله المتجسّد إلى أن حان زمان العجائب ولحظة الشهادة الآتية من السماء (أثناء الاعتماد على يد يوحنا المعمدان)^{٢٧٤}. وتبقى القرايين المقدّمة مغطّاة من هذه اللحظة إلى ساعة تلاوة دستور الايمان، الامر الذي يذكّرنا بالحدث أن "ليس الجميع قد عرفوا المسيح منذ البدء وأنه، وإن تجسّد فهو باقٍ في سرّ ألوهته وعنايته"^{٢٧٥}. بعد ولادته، بقي المسيح مستتراً مدة ثلاثين عاماً. وأثناء نشاطه العلني عندما "قال له إخوته... أظهر نفسك للعالم... قال لهم يسوع: إنّ وقي لم يحضر بعد"^{٢٧٦}. وقت المسيح هو وقت ذبيحته: "وقتي هو، عندما يحين وقت الصليب"، كما يقول المسيح نفسه على لسان الذهبي الفم^{٢٧٦}.

الشمّاس: بارك يا سيّد.

والكاهن يقول وهو يبيخر التقدمة: مبارك أنت يا إلهنا الذي هكذا ارتضيت المجد لك.

والشمّاس يقول: كلّ حين. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين

وهذا يكرّره ثلاث مرّات.

كأس البركة

يرد في كتاب التكوين، أنّ الله بارك الخليقة، الانسان والزمن^{٢٧٧}. ووجب على الانسان بعد اقتباله بركة الله أن يبادل الموهبة بتسبيح اسم الله القدّوس. لكنّ الخطيئة لم تمنعه فقط عن تسبيح خالقه، بل حولت أيضاً بركة الله إلى لعنة: "بمرض المعصية،

أدخلت حواء اللعنة إلى بيت البشرية". والآب المحب البشر يرسل للانسان البركة، المسيح: "أما أنت، يا والدة الاله، فقد أزهرت للعالم البركة"^{٢٧٨}.

المسيح، بركة الآب أو مسرته، قد حررنا من اللعنة "صائراً لعنة من أجلنا". ولذلك وضع نفسه ليرفعك، يقول الذهبي الفم لكل واحد منا، ومات حتى تبلغ الى عدم فساد، وصار لعنة ليملاك بركة"^{٢٧٩}. وهذه البركة، المسيح، ابن المبارك^{٢٨٠}، هي التي نتقبلها في القداس الالهي، ونشكر معطي المواهب مسبحين. والبركة التي نقوم بخدمتها هي "موهبة إلهية" جديدة، لأن "الذي يبارك الله يربح ويجني نفعاً وفائدة، إذ يصير أكثر بهاءً من دون أن يمنح الله شيئاً البتة. أما الله فعندما يباركنا فهو يجعلنا أكثر بهاءً... بحيث إننا في كلتي الحالتين نجني المنفعة والفائدة"^{٢٨١}.

يشتهي المسيح أن تكون كل حياتنا قداساً إلهياً مستمراً حتى يتمجد بنا وبواسطتنا وليمنحنا بذاته بركاته: "أتوسل إليكم أن ينصب اهتمامنا على العيش على هذا النحو وأن نبدي إصراراً على الفضيلة كبيراً فيتحرك الذين يروننا على رفع تساييح بركة نحو الرب الاله. والله صالح ومحب البشر، ويريد أن يتمجد منا، ليس لأن ذلك يضيف شيئاً الى مجده، فهو ليس بحاجة لذلك، بل ليتخذ تمجيدنا حجة ليؤهلنا لمحبة منه أعظم"^{٢٨٢}.

إن والدة الاله، بخدمتها سر تجسد كلمة الله غدت أداة تسبيح لاله الثالوثي: "بك يسبح سر الثالوث ويُمجد، أيتها الطاهرة"^{٢٨٣}. وكاهن الأسرار الرهيبة، بخدتمته في السر الشكري، سر تجسد الكلمة، يغدو أداة تمجيد الألوهة المثلثة شموستها: "يختر ثلاث مرّات القرايين، ويبارك ثلاث مرّات اسم الله الآب الذي سر أن يكون الانسان على هذا النحو: بالابن في الروح القدس. الانسان، قبل بداية القداس الالهي، يتذوق محبة الاله الثالوثي، فيمجده بشكل عفوي.

يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس: "الكاهن يمجّد الله قبل كل صلاة وخدمة كهنوتية"^{٢٨٤}. ولكن إذا كانت كل خدمة إلهية وكل سر مقدس يبدأ بتمجيد الله، لأننا نقبل بواسطتها نعمته، فإن القداس الالهي هو سر تمجيد الله بامتياز، لأننا به

نقبل البركة كلها، أعني المسيح نفسه. لذلك يدعو الرسول بولس كأس الحياة "كأس البركة"، والشعب يدعو خبز التقديم "بركة".

بالقدّاس الإلهي، يعود الانسان إلى المملكة المباركة، مملكة الآب والابن والروح القدس.

ويأخذ الشّمّاس المبخرة من الكاهن ويقول: على مقدمة القرايين المكرّمة. إلى الربّ نطلب. ويقرأ الكاهن الصلاة التالية بكلّ ورع:

يا الله إلهنا، يا من أرسلت يسوع المسيح ربّنا الخبز السماويّ وغذاء كلّ العالم، مخلصاً وفادياً ومحسناً يباركنا ويقدّسنا. أنت، بارك هذه التقديم، وتقبلها على مذبحك السماويّ، وبما أنّك صالح ومحبّ البشر، اذكر الذين قدّموها، والذين قدّمت من أجلهم. واحفظنا نحن غير مدينين في خدمة أسرارك الإلهيّة، لأنّ اسمك الكليّ الاكرام والعظيم الجلال مقدّس وممجّد. أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ اوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

■ كلّ شيء هو من الآب بالابن في الروح القدس

يسوع المسيح هو الخبز السماويّ، "خبز حياة أبدية". وحقيقة أنّ شركة خبز الحياة تثمر إلى الحياة الأبدية هي "برهان جليّ أنّ المسيح، الخبز، المحدث من السماء أي من الآب السماوي^{٢٨٥}".

قال المسيح: أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. ورمز ارتضاء الآب السماوي بتقدمة الابن هو الستر الذي به يحجب الكاهن القرايين المقدّمة. ويؤكد هذا الإرتضاء قول المسيح لبيلاطس: "لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيته من فوق". ويلاحظ القديس كيرلس، بطريرك الإسكندرية، أن عبارة "أعطيته

من فوق"، تعني رضى الآب بآلام الإبن واقتباله إياها، وتعني أيضاً أن الإبن اقتبل طوعاً أن يُذبح على الصليب^{٢٨٦}.

تهيئنا الكنيسة بخدمة مقدمة الذبيحة لسرّ العمل الإلهي الثالوثي: المسيح يُقدّم كحمل، الآب - ويُرمز إليه بالستر - يرتضي ويقتبل، أما الروح القدس - ويُرمز إليه بالبخور - فيهيء لدخول الملك العظيم.

"إستعادتنا كلها هي عمل الثالوث القدوس المتساوي الجوهر، عمل قوته وإرادته... فكل شيء هو من الآب بالإبن في الروح القدس"^{٢٨٧}.

ويتمّ الكاهن الحلّ وبعدها يبخر الشمّاس التقدمة المقدّسة، والمائدة المقدّسة من جهاتها الأربع، الاكليروس والشعب، وهو يقول سرّاً هذه الطروباريات:

كنت في القبر بالجسد وفي الجحيم بالنفس كإله. وفي الفردوس مع اللص.

وعلى العرش مع الآب والروح مائلاً الكلّ آيها المسيح غير المحصور.

المجد للآب...: آيها المسيح، إنّ قبرك الذي هو ينبوع قيامتنا والمانح الحياة ظهر بالحقيقة أبهى من الفردوس وأجمل من كلّ خدر ملوكي.

الآن...: السلام عليك يا من هي للعليّ مسكن إلهي. لأنّه بك مُنح الفرحة للصارخين: مباركة أنت في النساء آيتها السيّدة البريّة من كلّ عيب^{٢٨٨}. ويضع المبخرة في موضعها.

❖ تبخير الكنيسة كلها

منذ أزمنة سحيقة، يبخر الكاهن، قبل شروعه بالخدم الإلهية، المائدة المقدّسة والمؤمنين والكنيسة كلها. وهذه الممارسة معمول بها أيضاً في القدّاس الإلهي: "فبعد أن ينتهي المتقدّم في الخدمة من الصلاة على المائدة المقدّسة، يبدأ بالتبخير حيث هو منتصب، ثمّ يكمل تبخير الهيكل كلّ، وعند عودته إلى المائدة المقدّسة يبدأ بترتيل المزامير"^{٢٨٩}.

لا يزال معمولاً بترتيب التبخير هذا حتى اليوم في جبل آثوس المقدس قبل البدء بالقداس الإلهي. فيقوم الكاهن بالتبخير في نهاية الساعة السادسة. أما في الرعايا، حيث لا تقرأ الساعات، فيبخر الكاهن عند ترتيل المجدة الكبرى.

ويكتب القديس سمعان، أسقف تسالونيك في هذا الشأن: الكاهن، بعد الانتهاء من تلاوة صلاة الحلّ لخدمة الذبيحة، يبخّر "التقدمة والمائدة المقدسة من جهاتها الأربع، ثمّ الاكليروس جميعهم، وبعد ذلك الكنيسة كلّها والشعب. وهذا ما يقوله أيضاً ديونيسيوس، إذ تبخّر أولاً المائدة المقدسة، قبل الشروع بالقداس الإلهي، ثم بيت الله كله، ويعود ثانية إلى المائدة المقدسة ليبخرها. الله هو علة كلّ الخيرات ونهايتها: المائدة المقدسة هي المكان والعرش". ويتابع هذا الأب القديس مفسراً معنى البخور: "إنّه يشير إلى النعمة والموهبة المنحدرة من السماء وقد فاضت على العالم بيسوع المسيح، وأيضاً إلى رائحة الروح القدس الزكية الذي به نلج السماء مجدداً" ٢٩٠.

الطروباريّة الأولى التي يتلوها الكاهن أثناء تبخيره تدخلنا إلى "الزمن والمكان الليتورجيين". المسيح الحاضر معنا في القداس الإلهي، هو المالىء الكلّ. المكان الذي يُقام فيه القداس هو المدى غير المحدود، أمّا زمانه فهو الأبدية. يرحّب بنا الكاهن ضمن إطار الزمان والمكان المشار إليهما، ويبخرنا كعلامة ترحيب.

يذكر التبخير في ذلك الحين عادة عند الشعوب في الشرق حيث كانوا يرحّبون بالضيوف ساكين على رأسهم زيتاً عطراً ٢٩١. أما المسيح فيرحّب بنا في بيته وفي قداسه الإلهي بواسطة كاهنه.

عند الانتهاء من ترتيل طروباريّة العيد أو القديس في نهاية السحر، يحني الشمّاس رأسه للكاهن ويقول: ها وقت يُعمل فيه للربّ، بارك أيّها السيّد القديس ٢٩٢.

فيضع الكاهن يده اليمنى على رأس الشمّاس ويقول: تبارك الله إلهنا كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشمّاس: آمين. صلّ من أجلي أيّها السيّد القدّيس.
الكاهن: ليسهلّ الربّ خطاك إلى كلّ عمل صالح^{٢٩٣}.
الشمّاس: أذكرني أيّها السيّد القدّيس.
الكاهن: ليزكرك الربّ الاله في ملكوته السماوي^{٢٩٤} كلّ حين، الآن وكلّ
أوان وإلى دهر الداهرين.
الشمّاس: آمين.
ويسجد الكاهن ثلاث مرّات، ويقول بصوت خافت: المجد لله في العلى،
وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة^{٢٩٥}. (ثلاث مرّات).
ثمّ: افتح يا ربّ شفّتي فيخبر فمي بتسيّحتك^{٢٩٦} (مرتين). يا ربّ، يا ربّ
افتح لنا باب رحمتك.
وعندها يبدأ القدّاس الالهيّ.

■ ها وقت يُعمل فيه للربّ

بينما نستعدّ للبدء بالقدّاس الالهيّ، يقترب "وقت" المسيح. هذا ما يذكّرنا به
الشمّاس عندما يتوجّه إلى الكاهن قائلاً: "ها وقت يُعمل فيه للربّ". حان الوقت
لنخلي فيه ساحتنا للربّ حتّى يقوم هو بالخدمة الشريفة، خدمة تقدمتنا نحن،
فيقتبلها، يمنحنا ذاته بواسطتها. فالقدّاس الالهيّ هو "وقت" محبة المسيح.

عندما اقترح على المسيح إخوته أن يصعد إلى اورشليم في عيد المظالّ، أجابهم:
إذهبوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لن آتي معكم، لأنّ "وقتي" لم يحضر بعد". لم يحن بعد
وقت عيده هو، أي ذبيحته. لن آتي إلى هذا العيد اليهوديّ، يقول المسيح على لسان
القدّيس كيرلس بطريرك الاسكندرية، "هذا العيد الذي يقام برموز وأشكال
خارجيّة. ما من شيء مرضيّ عندي ممّا يقام في هذا العيد. فإنّي أنتظر بالأحرى وقت
الاحتفال الحقيقي، أي وقت آلامي الذي لم يحضر بعد. لأنني سأكون عندئذٍ مع
تلاميذي، وسيعتمرني الفرح وسط لمعان وإشراق القدّيسين، متألّقاً بالضياء الفائق

لمجد الآب". ويتابع القدّيس كيرلس: "الربّ يدعو وقته الخاصّ وقت آلامه، لأنّ العيد هو عيده الخاص وهو نفسه رئيس الاحتفال"^{٢٩٧}.

* * *

ويجب الكاهن الشماس: "ليسهل الربّ خطاك إلى كلّ عمل صالح". فالعمل الصالح بامتياز هو القدّاس الإلهي الذي يصنعه الله - الصالح وحده - لخلاص شعبه. قال لنا المسيح: "أبي يعمل حتّى الآن وأنا أعمل"^{٢٩٨}. بالقدّاس الإلهي يواصل الله عمل الخلق: يعيد خلق العالم والانسان.

القدّاس الإلهي هو صنع الربّ وعمله. إنّ "وقت" عيد الربّ: "ها وقتٌ يُعمل فيه للربّ".



الباب الثاني

القُدَّاسُ الإِلَهِيُّ

"لندجن من المسببات، الرمزية والحسية، إلى علاقتها العقلية ولنجربن،
بنور المسيح، مشاهدة العقليات، تلك المشاهدة التي تعكس بأجلى
بيان جمال المثال الأوّل".

"ولكن، أنت أيتها الخدمة الشريفة، اخلعي عنك الحلة التي تحجبك،
وتحيط بك رمزياً، واظهري لنا بجلاء، واملائي مشاهدتنا العقلية بقدر
متوافق لا يغطيه شيء".

القديس ديونيسيوس الأريوباغي

الطلبة السلاعية الكبرى والأندريفونات

الكاهن: مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى
دهر الدهرين.

■ يجعل القداس الأرض سماءً

القداس الإلهي هو سرّ حضور المسيح، وبالتالي فهو كشف للمملكة المباركة، مملكة "الآب والابن والروح القدس"، لأنّ حضور المسيح هو نفسه ملكوت الله. "ما هو الملكوت؟" يسأل المسيح على لسان الذهبيّ الفم، ويجيب المسيح: "هي حضوري أنا"^{٢٩٩}. وتُجرى خدمة هذا الحضور في القداس الإلهي.

ساعة الأنافورا المقدسة، المسيح المستوي على العرش مع الآب "يظهر بالأسرار"^{٣٠٠}. إنه حاضر مع أبنائه ويكهن سرّ الملكوت.

حضور المسيح في القداس الإلهي يحوّل الأرض إلى سماء: "هذا السرّ، سرّ القداس الإلهي يجعل الأرض سماءً لأجلك أنت... لأنّ أكرم ما في السموات هو ما سأريك إياه على الأرض... سأريك السيّد نفسه، سيّد الملائكة ورؤساء الملائكة كلّها". المكان الذي يلتئم فيه المؤمنون ليشكروا الربّ هو "مقرّ ملائكة، مقرّ رؤساء الملائكة، ملكوت الله، السماء نفسها"^{٣٠١}.

"قبل تأنس كلمة الله، كان ملكوت الله يبعد عنا كما السماء تبعد عن الأرض. لكن، عندما حضر إلينا ملك السموات وارتضى أن يتحد بنا، عندها اقترب

الطلبة السلاعية الكبرى والأندريفونات

الكاهن: مباركة هي مملكة الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى
دهر الدهرين.

■ يجعل القُدَّاسُ الأرضَ سماءً

القُدَّاسُ الإلهيُّ هو سرُّ حضور المسيح، وبالتالي فهو كشف للمملكة المباركة، مملكة "الآب والابن والروح القدس"، لأنَّ حضور المسيح هو نفسه ملكوت الله. "ما هو الملكوت؟" يسأل المسيح على لسان الذهبيِّ الفم، ويجيب المسيح: "هي حضوري أنا"^{٢٩٩}. وتُجرى خدمة هذا الحضور في القُدَّاس الإلهي.

ساعة الأنافورا المقدَّسة، المسيح المستوي على العرش مع الآب "يظهر بالأسرار"^{٣٠٠}. إنه حاضر مع أبنائه ويكهن سرَّ الملكوت.

حضور المسيح في القُدَّاس الإلهيَّ يحوّل الأرض إلى سماء: "هذا السرّ، سرّ القُدَّاس الإلهيَّ يجعل الأرضَ سماءً لأجلك أنت... لأنَّ أكرم ما في السموات هو ما سأريك إياه على الأرض... سأريك السيّد نفسه، سيّد الملائكة ورؤساء الملائكة كلّها". المكان الذي يلتئم فيه المؤمنون ليشكروا الربَّ هو "مقرّ ملائكة، مقرّ رؤساء الملائكة، ملكوت الله، السماء نفسها"^{٣٠١}.

"قبل تأنس كلمة الله، كان ملكوت الله يبعد عنا كما السماء تبعد عن الأرض. لكن، عندما حضر إلينا ملك السموات وارتضى أن يتحد بنا، عندها اقترب

منّا جميعاً ملكوته^{٣٠٢}. بتجسّد المسيح انفتحت بوابة الملكوت، وبالقدّاس الإلهي نعبر هذه البوابة ونتذوّق خيراته. لأنّ ملكوت السموات هي مائدة الملكوت، وكلّ الذين يشتركون، ينتقلون عبر الموت "من مائدة إلى مائدة، من تلك التي لاتزال محجوبة، إلى تلك التي قد انكشفت"^{٣٠٣}.

يسير كلّ الذين يشتركون بالقدّاس الإلهي نحو مائدة ملكوت الله التي قد ظهرت لنا. يسرعون الخطي نحو المائدة حيث، مع المسيح، سيتذوّقون "الخمر الجديد".

✠ الصليب رمز الملكوت

عندما يبدأ الكاهن بإعلان "مباركة مملكة الآب..." يرفع الإنجيل بيديه الاثنتين ويرسم به إشارة الصليب فوق المائدة المقدّسة. "الكلمة الأولى" في القدّاس الإلهي هي بركة وتطويب. "العمل الأوّل" في القدّاس الإلهي هو رسم إشارة الصليب. القدّاس الإلهي هو ملكوت الله الذي يقود إليه الصليب الذي علّق عليه ملك المجد. الصليب هو البرهان أنّ المسيح هو وحده الملك الحقيقي.

واللصّ الذي صلب عن يمينه يقول لاهوتياً: الصليب هو رمز الملكوت. لأجل ذلك أدعو ذاك ملكاً لأنني أراه مصلوباً: فإن ملكاً يموت عن الذين يملك عليهم. هو وضع نفسه، وأنا أدعوه ملكاً. "اذكرني يا ربّ في ملكوتك"^{٣٠٤}.

قبل صلب المسيح، "كان الصليب علامة عار، أمّا الآن فبات محلّ تكريم. كان رمزاً للإدانة فيما مضى، أمّا الآن فهو أساس خلاصنا". بالصليب اهتدينا من جديد إلى الطريق المؤدّي إلى ملكوت الله: "بفضل الصليب ما عدنا تائهين في الصحراء، لأننا عرفنا الطريق الحقيقي، ما عدنا نقيم خارج الملكوت، لأننا عثرنا على بوابته"^{٣٠٥}.

بالصليب مُنح لنا ملكوت الله: "بقي الفردوس مغلقاً خمسة آلاف سنة وأكثر، أمّا اليوم (أي يوم صلب المسيح) فقد فُتح لنا... اليوم مُنحنا مجدداً وطننا القديم، اليوم حملنا من جديد إلى مدينة أجدادنا"^{٣٠٦}.

هكذا، فالصليب ليس هو فقط "الطريق" و"بوابة الفردوس"، بل "هو نفسه فردوس الكنيسة"^{٣٠٧}. إنه شجرة الحياة الجديدة غير الفاسدة التي تغذي المؤمنين: إنَّ العود في عدن جلب المرارة قديماً. وأمّا عود الصليب فقد أزهى بالحياة العذبة، فإنَّ آدم بأكله من ذاك، تهور في الفساد. وأمّا نحن فبتنعمنا بجسد المسيح، نحيا ونتأله سرّياً متمتعين بملكوت الله السرمدى، فنصرخ بإيمان قائلين: "المجد لآلامك أيّها الكلمة"^{٣٠٨}.

المسيح هو ملك المملكة التي أتت وتأتي. أتت بالصليب وتأتي بعد الصليب، لأنّه عندما تحين الآخرة، "حينئذ تظهر علامة ابن الانسان". عندما سينطفئ نور هذا العالم إلى غير رجعة، حينئذ تلمع وتظهر علامة الحضور الممجّد للمسيح. ستتقدّم الملك ربوات "الملائكة ورؤساء الملائكة حاملين على أكتافهم تلك العلامة، معلنين لنا دخوله الملكى"^{٣٠٩}.

فالصليب هو طريق الملكوت ورسول سابق مبشّر به.

✦ ويجب المؤمنون قائلين: آمين

وإعلان الكاهن المجيد هذا يختمه المؤمنون قائلين: آمين^{٣١٠}. هكذا، فالمؤمنون بجوابهم هذا، يقبلون من جهة الحقيقة المحتواة في إعلان الكاهن ويشّرون بها، ويعبّرون من جهة أخرى بصلاتهم عن توقعهم إلى تذوق خيرات ملكوت الثالوث القدّوس.

ويورد البار نيقولاوس كاباسيلاس أنّ المؤمنين "يجيئون بآمين، وعلى هذا النحو يجعلون خاصتهم كلّ طلبات الكاهن"^{٣١١}. ويكتب القدّيس كيرلس أنّ "آمين" تعني "أنّه من خلال نعمة الكهنة يكمل كلّ نقص قد يرد عند المشاركين في القدّاس، وأنّ الله يقبل الصغار مع الكبار داخل وحدة الروح القدس"^{٣١٢}. وبموافقة الشعب، ترتفع البركة الكهنوتية إلى المذبح السماوي. المؤمنون فاعلون ومشاركون مع الكاهن. والقدّاس الالهى في كلّ لحظاته يحقق معناه: إنه عمل كلّ الشعب^{٣١٣}.

الشّمّاس: بسلام إلى الربّ نطلب.

وعلى كلّ طلبة يجيبه الشعب: يا ربّ ارحم.

❖ هذا السرّ هو سرّ سلام

مباشرة بعد مجدلة مملكة الله، تعلّمنا كنيستنا المقدّسة طريقة الصلاة الليتورجية: "لنطلب بسلام إلى الربّ".

الطريق الذي يؤدّي إلى القدّاس الإلهي هو سلام النفس. من دونه لا نستطيع أن نلج إلى القدّاس: "الذهن الخالي من سلام الأفكار لا يتحرّك نحو الأسرار المحتجبة... وبقدر ما يهدأ القلب... يستطيع الذهن أن ينجذب نحو الأمور الإلهية والاندهاش بها"^{٣١٤}.

لكنّ سلام النفس الحقيقي يقدّم هناك حيث تُجرى خدمة الأنافورا المقدّسة أي على المذبح السماوي. "السلام الحقيقي علويّ هو"، كما يقول القديس باسيليوس الكبير. نبلغ ذلك المكان العلويّ بسلام: "إطلب السلام... إقتن ذهنًا صافيًا ونفسًا لا يعرفها الاضطراب والتخبّط، ولا تتقاذفها الأهواء... كيما تقتني سلام الله الذي يفوق كلّ عقل ويحفظ قلبك"^{٣١٥}.

وحسب القديس مكسيموس، فإن كون الانسان على صورة الله يعني أنّ الطبيعة البشريّة قد جُبلت "سلاميّة، لا تشترك في حرب، ولا تعرف استقراراً، مشدودة إلى الله وإلى نفسها بالحبّة"^{٣١٦}. يتنعم الإنسان بالسلام كموهبة من الله، فيعيش قرب الواهب ويسلك سيرة الفضيلة. "لأنّ ما من شيء آخر عادة يهب السلام بغزارة للنفس مثل معرفة الله واقتناء الفضيلة"^{٣١٧}.

الخطيئة حملت إلى داخل الانسان والعالم الاضطراب والجلبة "لأنّ الشرّ بطبيعته يجزّئ، وهو متعدّد المظاهر، ويعتث على الفوضى والانقسام"^{٣١٨}. بالخطيئة صار

الانسان عدو الله وعدو نفسه. والوحيد الذي كان بمقدوره أن يعيد السلام إلى الانسان هو المسيح.

"المسيح هو الوحيد الذي يصلحنا مع الله، الوحيد الذي يمنح السلام للنفس"^{٣١٩}. لهذا الأمر بعينه، "الاله المحب البشر صار انساناً، حتى يجمع إلى نفسه طبيعة البشر ويوقفها عن الإساءة إلى نفسها أو بالأحرى ليبطل الواقع حيث هي منقسمة على نفسها وثائرة على ذاتها"^{٣٢٠}.

* * *

بالتوبة نجني السلام الذي حمله المسيح إلينا. "عندما تنسكب الدموع دون انقطاع، يقول القديس اسحق، تقبل النفس سلام الأفكار. وبسلام الأفكار، ترتفع إلى نقاوة الذهن، وبنقاوة الذهن يلج الانسان نحو مشاهدة أسرار الله"^{٣٢١}.

دموع التوبة هي بداية الطريق. هي الدرجة الأولى من سلم تصعد بنا نحو معاينة الأسرار الالهية. والدرجة الثانية هي سلام النفس. يرسلنا المسيح نفسه الى حيث يسود سلامه، عندما نقرب منه تائبين فيقول: "إذهب بسلام". يرسلنا إلى الهيكل المقدس، "ملجأ السلام وبلاطه"، بلاط سلام الله الذي لا يمكن لأية قوة أن تنال منه. هناك يارشاد رئيس الكهنة المسيح، تشغل نفسنا بمعاينة الله، معاينة حاصلة بالروح القدس. إنها معاينة "سلامية، حرة من كل اضطراب"^{٣٢٢}.

"هذا السر هو سر سلام"، يقول لنا الذهبي الفم عندما يتحدث عن القداس الالهي، لأن القداس الالهي هو لقاءنا بالمسيح، الذي هو حقاً "سلام الانسان"^{٣٢٣}.

من أجل السلام الذي من العلى وخلاص نفوسنا، إلى الرب نطلب.

✠ المسيح: هوذا سلامنا

بالطلبة الأولى علّمتنا الكنيسة طريقة الصلاة، والآن تعلّمنا ماذا ينبغي أن نطلب بالدرجة الأولى: سلام الله وخلاص نفوسنا. هكذا علّم المسيح: أن نطلب "أولاً ملكوت الله وبرّه". "وفعلاً، فخلاص النفوس يعني ملكوت الله والسلام الذي من العلى يعني البر" ٣٢٤.

سلام الله وبرّه هو الحياة الفاضلة، الحياة في الفضيلة. إنه الحياة التي رزها الانسان بالسقوط لكنّه أعطي من جديد موهبة من لدن "الذي صار لنا برّاً وقداسة" ٣٢٥. وهذا ما كشفه لنا التسبيح الذي أنشده الملائكة القدّيسون في أوّان ميلاد المسيح: "المجد لله في العلى، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرة".

يلاحظ القدّيس كيرلس بطريرك الاسكندرية في تعليقه على هذه الآية، أنّ الملائكة القدّيسين قد حافظوا على رتبهم التي أعطيت لهم "ويقيمون في السلام مع الله، لأنّهم لا يخرجون بأيّ شكل من الأشكال عن الطريق الذي رسمه لهم ذاك أي (الله)، بل يقيمون ثابتين في البرّ والقداسة. بينما نحن الأشقياء رفعنا شهواتنا بإزاء إرادة السيّد واتّخذنا مواقع معادية لله. وهذا كلّه أبطله المسيح لأنّه هو سلامنا، وبنفسه وحدنا مع الله الآب، مزيلاً الخطيئة التي جعلتنا أعداء... لذا بات المسيح بالنسبة لنا سلاماً وبركة" ٣٢٦.

* * *

ومصالحة الأرض بالسماء تحقّقت بالمسيح: "في المسيح يسوع، يقول بولس الرسول، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريين بدم المسيح، لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسّط، أي العداوة... وذلك لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ومصالحة الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب وقاتلاً العداوة به، فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريين" ٣٢٧.

صار المسيح إنساناً ليقدم للانسان سلام الله. فوق المائدة الشكرية، كما يقول الذهبي الفم، "وضع المسيح مذبحاً. ولكن، لمن ذبح ولأي سبب؟ لكي يسالم بين السماء والأرض، لكي يجعلك صديقاً مع الملائكة، لكي يصالحك مع إله الكل، أنت الذي تعاديه وتخاصمه... تمت هذه الذبيحة لكي يكون لك سلام مع أخيك"^{٣٢٨}.

نستطيع إذاً بنعمة ذبيحة المسيح، ذبيحة تحقق السلام، أن نتخطى العوائق التي فصلنا عن مملكة السلام: "عندما نصحو من سكر الأهواء ونثور على مملكة الشيطان الشريرة والفاشمة ونزيع عن أنفسنا نيرها المر... عندئذٍ نقبل الحضور السلامي، حضور المسيح الملك المسالم والوديع"^{٣٢٩}. عندما يبلغ الانسان إلى اللاهوى، "يغدو ذهنه، وهو هيكل مبني سرّياً على السلام، مقاماً لله بالروح القدس"^{٣٣٠}.

سلام الله "يمتدّ مع المسيح إلى الدهر كله، ولا يعرفان (المسيح وسلامه) حداً أو نهاية". إنه سلام يجعل الانسان هيكلاً. فالمكان الذي يعيش فيه الانسان هو "السلام الذي من العلى"^{٣٣١}، أي المسيح: "كانت في سلام مظلمته ومسكنه في صهيون"^{٣٣٢}.

من أجل سلام كل العالم، وحسن ثبات كنائس الله المقدسة واتحاد الجميع،
إلى الرب نطلب.

■ سلام كل العالم

يؤلف كل المؤمنين معاً عائلة المسيح. فنحتضن بالمحبة إخوتنا مهما بعدوا وأنى كانوا. ونتوسّل من أجلهم إلى الرب. "فإن هذه هي عيون المحبة، فلا مسافة تعطلهم ولا زمن يضعفهم"^{٣٣٣}. المحبة، كما يقول القديس يوحنا السلمي "نبع نار". "واقع المحبة" يشبه سرعة انتقال لهيب النار^{٣٣٤}. المحبة تحول بعجلاتها على العالم كله وتمتدّ على الزمن بأكمله.

نسأل الرب بالطلبة نفسها أن نتنعم بثمار سلامه: حسن ثبات الكنائس المحليّة، ووحدة الجميع في حقّه هو.

السلام يثمر حسن ثبات "كنائس الله المقدّسة". داخل بحر سلام الله تبحر سفينة الكنيسة بثبات متّجهة نحو ميناء الملكوت الهاديء. لذلك نتوسّل إلى الربّ في القدّاس: "أيضاً نطلب إليك يا ربّ أن تذكر كنيستك المقدّسة الجامعة الرسوليّة الممتدّة من أطراف المسكونة إلى أطرافها... كُفّ شقاكات الكنائس وأحمد تشامخ الأمم واقمع ثورات البدع سريعاً بقوة روحك القدّوس. اقبلنا جميعاً في ملكوتك جاعلاً إيانا بني النور وبني النهار. هب لنا سلامك ومحبتك أيّها الربّ إلهنا فإنك قد منحتنا كلّ شيء"^{٣٣٥}.

السلام يثمر أيضاً وحدة الجميع في المسيح. ويكتب القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي في هذا الصدد فيقول: "لنسبح بنشائد سلاميّة السلام الإلهي والوحدويّ بامتياز. لأنّ هذه هي القوّة الموحّدة الكلّ، نبع العزم الواحد وتماسك الكلّ البالغ به إلى إنجازه"^{٣٣٦}.

ويشدّد أيضاً بولس الرسول على قوّة السلام الموحّدة فيقول: "يا إخوة اجتهدوا أن تحفظوا وحدانيّة الروح برباط السلام". ويعلّق الذهبيّ الفم على هذا القول أيضاً، فيقول: "لا يمكن أن تقوم وحدانيّة الروح داخل العداوة والخصام... ما من شيء يبرّد المحبة يمكنه أن يعزّز الوحدة، بينما كلّ ما من شأنه أن يؤجّج حرارتها يسعه أن يحقّقها على درجة كبيرة... يريد بولس الرسول أن يرتبط المؤمنون بعضهم ببعض. ليس فقط أن يكونوا في سلام، أو أن يحبّوا، بل أن يكون الكلّ واحداً، نفساً واحدة"^{٣٣٧}.

والضوضاء، وانعدام السلام يفصمان الوحدة. السلام يوحد بين الكثيرين: "كما أن السلام يجمع الكثيرين إلى اتّحاد واحد، كذلك انعدام السلام يبعث على شرذمة الواحد إلى كثيرين"^{٣٣٨}. السلام يوحدنا بعضنا ببعض، يوحدنا مع الله: "هنا أيّها الأب سلاماً، سلام العزم الواحد بين بعضنا البعض. أعطنا سلاماً، أعني به سلام

الاتِّحاد بك الذي لا تنفك عُراه، حتَّى إذا كنّا متسالمين مع روحك، الأمر الذي أسَّسته فينا منذ بدء الخليقة، نكون غير منفصلين عن محبَّتكَ" ٣٣٩.

برباط السلام هذا يَحْتِنَا الذهبيَّ الفم على أن ترتبط نحن المؤمنين ببعضنا ببعض ومع الله، فيقول: "حسن هو هذا الرباط، فلنربط به أنفسنا نحو الله". هذا الرباط لا يشدُّ الخناق على المرتبطين به، ولا يضغط عليهم، بل يمنحهم أن يتذوقوا أنهم أكثر حرّية من الأحرار و"أنهم يجلسون في مكان فسيح رحب" ٣٤٠. يبلغ المؤمنون إلى محبة الله الرحبة إذ تربط بينهم عُرى المحبة والسلام.

✦ الساعي إلى السلام يطلب المسيح

حياتنا تشبه مسيرة وسط ظلام دامس. داخل العالم الذي نعيش فيه، نرى "أمواج العمر المرتفعة"، ولكننا لا نشعر بحضور رئيس السلام، المسيح. نعيش قول القديس غريغوريوس اللاهوتي: "إبحار في الليل، لا ضوء على الإطلاق، والمسيح نائم" ٣٤١. في داخلنا تعصف رياح معادية، نتخبَّط وحدنا بالأمواج، وما من تعزية بشرية أو إلهية.

نبلغ بيت الله بهذه الحال، ونشعر على الفور "أنّ كنيسة المسيح هي سلام لا يعرفوه اضطراب" ٣٤٢. وعندما يبدأ القدّاس الإلهي، نعيش بكلّ قوانا السلام الذي من العلى، سلام النفس، سلام العالم. وإذا نسعى إلى السلام، فإننا بالحقيقة نطلب المسيح: "الساعي إلى السلام إنّما يطلب المسيح، الذي هو السلام" ٣٤٣.

من أجل هذا البيت المقدّس والداخلين إليه بإيمان وورع وخوف الله، إلى الربّ نطلب.

■ الهيكل سماء أرضيّة

في كلّ مرّة نأتي إلى بيت الله، "ندخل إلى بلاط السموات، ونتواجد في أماكن لامعة ومشرقة. هناك داخل هذا البلاط، سكون عظيم وأسرار لا يعبر عنها"^{٣٤٤}. هناك تُجرى خدمة سرّ الملكوت. يصمت كلّ ذي جسد كي يتسنى له الاستماع إلى السرّ الذي لا يوصف، سرّ كلمة الله.

يستنير كلّ شيء بنور المسيح داخل بيت الله في ساعة القدّاس الإلهي. يسوع المسيح هو الشعاع الذي "يخرج من المشارق ويظهر في المغارب"^{٣٤٥}. أما قبة السماء الليتورجيّة، أي بيت الله، فتفيض من نور المسيح: "نور المسيح مضيء للجميع".

الكلّ يستضيء بنور المسيح، ونفوس الجميع تمتلئ حبوراً وفرحاً. لأنّ نور المسيح يعمي لكثرة توهّجه، إلا أنّه يعزّي كنسيم نديّ: "نور بهيّ لقدس مجد". هذا النور يحوّل الهيكل إلى ميناء للنفس أمين وهادئ.

ويقول الذهبيّ الفم: "كما أنّ المرفأ الهادئ بمنأى عن الهواء، يقدّم للسفن الراسية فيه الأمان والضمان، هكذا أيضاً بيت الله بالنسبة للداخلين إليه، فهو يشدّهم من الأمور العالميّة، كما لو من داخل عاصفة هوجاء، ويهبهم القدرة، بكثير من الصفاء والأمان، كي ينتصبوا ويسمعوا كلمة الله. هذا المكان هو حجر أساس الفضيلة ومدرسة الحياة الروحيّة... إن وطئتَ بقدميك عتبة الباب فقط، تشعر أنّك تحرّرت من الهموم المعيشيّة. تقدّم قليلاً إلى داخل الكنيسة فتشعر بلفحة تنديّ نفسك. رهيب هو هذا الصمت، وهو يعلمك أن تعيش روحياً ولا يترك لك مجالاً أن تتذكّر المشاكل اليوميّة: ينقلك من الأرض إلى السماء. وإذا كان الربح الذي نجنيه في مثل هذه الحالات عندما لا تكون إقامة خدمة ما داخل الكنيسة، فماذا يسعنا القول عن الربح الذي نجنيه لما نأتي ويكون الأنبياء يهتفون من كلّ جهة، والرسل يشيرون، والمسيح يقف في الوسط، والله يقبل كلّ ما تجرى إقامته، والروح القدس يهب حواره الخاص! وكم هي عظيمة الخسارة التي يتكبّدها الذين يغيبون عن محفل كهذا!"^{٣٤٦}.

الهيكل هو فردوس حضور السيّد: "أين يوجد مثل هذه الجنة، مثل اجتماع المؤمنين؟ ليس الشيطان ههنا، هو الذي يسعى إلى اصطياننا، بل المسيح الذي يدخلنا إلى أسرارهِ" ٣٤٧. المسيح يستضيفنا في بيته.

* * *

يهبنا الهيكل كلّ هذه العطايا لأنّه "بيت الله"، هو "السماء الأرضية حيث الاله السماوي يقيم ويجول" ٣٤٨. بخدمة تدشينه يغدو الهيكل سماء: اليوم استنارة مجدك الذي لا يدنى منه، تجعل الهيكل المبني على الأرض سماء. وبعد تدشينه، "لا نسَمّي الهيكل بيتاً فقط دون أي نعت آخر، بل هو بيت مقدّس، لأنّه تقدّس من الآب القدّوس، بالابن، في الروح القدس. هو بيت الثالث القدّوس" ٣٤٩.

❖ الانسان هيكل حامل المسيح

مُنح الانسان من الله خالقه الامكانيّة أن يصير هيكلًا له: "بمقدور الطبيعة البشرية وحدها بين كلّ الحسيّات أن تكون هيكلًا لله حقيقةً ومذبحاً". وأعطيت هذه الامكانيّة من المسيح مجدداً أثناء إعادة خلق الانسان: "كلّ واحد من المؤمنين، أثناء هذا الدهر الحاضر، وبعد تجسّد المسيح، هو مقام لله وهيكل له، لأنّه يحوي المسيح داخله" ٣٥٠.

ويكتب المتوشّح بالله إغناطيوس أننا نحن المؤمنين "حجارة الهيكل الأبوي، مهياة للبناء الذي يشيّد الله الآب". لذا يجب أن نعيش حياتنا كما لو أنّ الرب بذاته مقيم فينا: "حتّى نكون نحن هياكل له ويكون هو إلهنا" ٣٥١.

في بيت الله المقدّس يقبل المؤمنون موهبة التقديس من المعزّي فيصرون المادة المباركة التي بها تُشيد الكنيسة: "لأنّ الكنيسة ليست سوى البيت الذي جرى بناؤه بنفوسنا" ٣٥٢.

يورد لنا الكاتب الرسولي هرماس، في كتابه "الراعي"، رؤيا حصلت معه: يتعاون ستة فتية مع آخرين كثيرين ويشيدون برجاً ضخماً فوق المياه. أتى بناء البرج

كاملاً إلى درجة يصعب معها تمييز نقاط تماس الحجارة. وتتجلّى الكنيسة، بمظهر سيّدة جليلة وتفسّر الرؤيا: "أنا هو البرج الذي تراه مبنياً، أي الكنيسة. يُبنى على المياه لأنّ خلاص حياتنا قد تحقّق وسنخلص بواسطة مياه المعموديّة المقدّسة. الفتية الستّة هم ملائكة قدّيسون. والحجارة هم الرسل والأساقفة، المعلّمون، الخدّام الذين عاشوا بعفّة أمام الله. لا زال البعض على قيد الحياة، والبعض الآخر قد رقد. كانوا متفاهمين على الدوام فيما بينهم ومتسالمين. لذلك يصعب تمييز أيّ فراغ بين الحجارة التي تؤلّف البرج المشيّد" ٣٥٣.

بالمناولة المقدّسة يغدو الانسان كلّهُ "هيكلًا حاملاً المسيح"، وكلّ عضو من جسده هو حقاً جزء من هيكل المسيح. المائدة الشكرية، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، "تجعل منا مقاماً للمسيح، والمسيح فينا. والمسيح بالنسبة إلينا هو المقام والمقيم في آن. ونحن سعداء للمقام - بيتنا: سعداء لأننا غدونا مقاماً لمثل هذا المقيم" ٣٥٤.

يقول القدّيس مكسيموس إنّ الانسان هو "كنيسة سرّية". الجسد هو صحن الكنيسة، النفس هي الهيكل المقدّس، والذهن هو المذبح. بالذهن، كمذبح مقدّس، يستدعي الانسان "بسكون متعدّد الألفاظ والكلمات، سكون الألوهة الكثيرة التسبيح - داخل حجرة تعظيمات محتجة لا تدرك. ويتآلفها الإنسان بحديث لاهوتي نسكي على قدر ما هو ممكن بالنسبة إليه فيغدو كل من جعل أهلاً لافتقاد الله وختم بضيائه الكثير الأنوار" ٣٥٥.

الهيكل متّجه نحو الشرق، "كيما تكون ألحاظنا متّجهة نحو الفردوس" ٣٥٦. وإذا نبخر في بحر هذا العمر، يتّجه مركبنا نحو النور الذي لا يغرب ونحو الحياة التي لا تنتهي. خبز الحياة هو النور الذي يضيء للأبرار في مسيرتهم الأرضيّة. هكذا "يلغون إلى الحياة الأبديّة ويسطعون من هذا النور الذي عاشوا معه وفيه في هذا الدهر" ٣٥٧.

ونسرع الخطى نحو أورشليم العلويّة. هناك حيث "لا يكون ليل ولا حاجة إلى سراج أو نور شمس لأنّ الربّ الاله ينير القدّيسين". هناك حيث الله، على نحو نهائيّ

لا رجوع عنه، هيكل القديسين: "ولم أرَ فيها هيكلًا، لأنَّ الربَّ الله القادر على كلِّ شيء هو والخروف هيكلها"^{٣٥٨}.

من أجل رئيس كهنتنا (فلان)، والكهنة المكرمين، والشمامسة خدام المسيح وجميع الكليروس والشعب، إلى الربِّ نطلب.

■ الجالس في مقرِّ الله

في أوَّل تميم لسرِّ الشكر، كان المسيح نفسه - عامل خلاصنا - خادماً للسرِّ . بعد صعوده، أخذ الرسل مكانه في الاجتماع الشكري، ومن بعدهم الأساقفة الذين شرطنهم. وعندما ازدادت الكنائس المحليَّة، مع مرور الزمن، أعطى الأساقفة الأمر إلى الكهنة بإقامة خدمة القدَّاس الالهِيّ. وسلسلة الخدام هذه لا تنقطع، وكلَّ خادم للسرِّ هو خَلَف للمسيح. يجلس على كائذرا (عرش) المسيح حتى يقوم بتدبير ورعاية كنيسته (كنيسة المسيح) بورع وتقوى^{٣٥٩}.

في شخص الأسقف نرى المسيح نفسه^{٣٦٠}. حضور الأسقف في القدَّاس الالهِيّ، أو ارتضاؤه إتمامها هو ضمانه لصحة السرِّ: "اعتبروه سرّاً صالحاً صحيحاً سرِّ الشكر الذي يقام من الأسقف أو ممَّن يوكله هو في هذا الخصوص"^{٣٦١}. كان القدَّاس الالهِيّ يبدأ، في الفترة الأولى من العصر البيزنطيّ، بالدورة الصغرى كما نعرفها اليوم في القدَّاس، فكانت أوَّل حركة ليتورجية هي دخول الأسقف إلى الكنيسة. ويتبعها ارتداؤه الحلة الكهنوتية في وسط الكنيسة، كما يحصل مرّات كثيرة اليوم وقبل البدء بالقدَّاس الالهِيّ. عملية لبس الأسقف حلته تصوّر حدث تجسّد الكلمة. كما "كلمة الله، الكائن الذي لا جسد له أصلاً يلبس الجسد المقدَّس من العذراء القديسة"^{٣٦٢}، على هذا المنوال أيضاً يرتدي رئيس الكهنة الحلة الكهنوتية التي تشير "إلى تجسّد المسيح وإلى كلِّ ما رافق التجسّد"^{٣٦٣}.

رئيس الكهنة هو المرسل من الله، "هو ذاك" الذي يرسله ربّ البيت، المسيح، ليدبّر الأمور وينظّمها باسمه ومن قبله^{٣٦٤}. يدخل إلى بيت الله ليعمل عمل المسيح: أن يقود الخروف الضالّ إلى المائدة المقدّسة، إلى عرش الله. هناك قطعة تميّز بدلة رئيس الكهنة عن بدلة الكاهن، وهي ما يدعى بـ "الأموفوريون"، وهذه القطعة تشير بالضبط "إلى خلاص الخروف الضالّ ودعوته مجدداً"^{٣٦٥}. لذلك عندما يلبس الشمّاس رئيس الكهنة هذه القطعة، يقول: "لقد حملت على منكبيك طبيعتنا الضالّة أيّها المسيح وصعدت فقدّمتهما إلى الله الآب".

دخول الأسقف إلى الكنيسة، واستقبال المؤمنين له وقد سبق لهم الاجتماع فيها، وارتداؤه حلّته في وسطها، كلّها أمور تسطّر المعنى الخاصّ لحضور الأسقف في القدّاس الإلهي. الحركة الليتورجية تكشف لنا أنّ الأسقف هو أيقونة السيّد المسيح الحيّة، المبارك الآتي باسم الربّ. والشعب المجتمع في الكنيسة هو إسرائيل النعمة الذي يستقبل المسيح.

الأسقف، في القدّاس الإلهي، هو "الجالس في مقرّ الله"، وأمّا الكهنة فهم "الجالسون في مقرّ جماعة الرسل"^{٣٦٦}. القدّاس الإلهي هو نفسه العشاء السريّ، حيث كلّ المؤمنين هم الآن مع المسيح والاثني عشر (الأسقف والكهنة).

يعي المؤمنون عظمة الخدمة الكهنوتية والأخطار التي يتعرّض لها القائمون بها. وإذا يدركون قوّة الصلاة المشتركة يسألون الربّ من أجل الأسقف. ويقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم: "على الرغم من أنّه لو طلب إليكم أحد المجتمعين أن تصلّوا كلّ بمفرده من أجل خلاص الأسقف، لتهرّب كلّ واحد منكم معتقداً أنّ الحمل أو العبء يتجاوز طاقته، لكن عندما يسمع كلّ منا الشمّاس يقول: "نطلب من أجل أبينا ورئيس كهنتنا..."، فإنّكم لا تتهرّبون من تنفيذ ما يُطلب منكم، بل بغيرة تتمّمون الصلاة لأنكم تدركون قوّة اجتماعكم"^{٣٦٧}. على هذه القوّة يستند المؤمنون ويجرّؤون على الطلب من أجل الذين ينتصبون إلى جانب الطبيعة المغبوبة غير المعابة^{٣٦٨}: "يا ربّ ارحم" أبانا ورئيس كهنتنا، والكهنة والشمّامسة خدامك.

من أجل هذه المدينة، وسائر المدن والقرى والمؤمنين الساكنين فيها، إلى الرب
نطلب.

✠ المسيحيون ثبات العالم

إن محبة الله جامعة ومسكونية فهي تحتضن كل البشر، وكل الأماكن، وكل الأزمنة كما يقول القديس مكسيموس المعترف: "المحبة الكاملة تجود على كل البشر بالتساوي" ٣٦٩.

وكنيستنا المقدسة تتشبه بمحبة الله هذه الكاملة، وهي تحركنا لنقتنيها نحن أيضاً. وفيض هذه المحبة هو الابتهاال لأجل مدينتنا، من أجل كل مدينة وقرية.

وكما يقول القديس كاتب الرسالة إلى ذيوغنيتس: "يعيش المؤمنون في بلادهم كعابري سبيل... يقيمون على الأرض، إلا أن السماء هي وطنهم... يحبون الجميع ويضطهدون من الجميع". ويتابع: "وكما هو الجسد بالنسبة للنفس، كذلك هم المسيحيون بالنسبة إلى العالم. النفس منتشرة في كل أعضاء الجسد، والمسيحيون منتشرون في كل مدن المعمورة... المسيحيون هم ثبات العالم" ٣٧٠.

لأن المسيحيين هم نفس العالم، يجدر بهم أن يفرحوا لفرح البشر ويتألموا لأوجاعهم. يجدر بهم أن يحبوا البشر أكثر مما يحبهم ذوهم بالجسد. "لأن القديسين كانوا بمثابة الوالد، إذ بمحبتهم للشعب كله وعنايتهم به، حجبوا محبة الوالدين حسب الجسد وتجاوزوها بما لا يقاس" ٣٧١.

والذهبي الفم أظهر هذه المحبة الأبوية نحو المدن التي كان أباً لها، كأنطاكية على سبيل المثال. ولنا الدليل على محبته هذه نحو هذه المدينة في عدد من عظاته.

مع بداية عام ٣٨٧، وعندما قامت جماهير أنطاكية ثائرة من جرّاء ضريبة جديدة ساحقة فرضها الأمبراطور ثيودوسيوس، فحطمت تماثيل هذا الأخير، وتماثيل أولاده

وزوجته، حرم الأمبراطور المدينة من كلّ امتيازاتها وهدّد بهدمها من أساساتها. ساد الرعب والخوف في كلّ مكان. ومن استطاع، هرب بعيداً. كان الكلّ ينتظر حصول المكروه. عندها انطلق أسقف المدينة فلافيانوس، وهو رجل متقدّم في السنّ ومريض، نحو القسطنطينيّة والطقس شتاء قارس. كان يهدف إلى تهدئة غضب الامبراطور. وبقي الذهبيّ الفم في المدينة وكان كاهناً في ذلك الحين. فكان الشعب يلتجئ إليه. ويقول القدّيس: "فرغ السوق وامتألت الكنيسة"^{٣٧٢}. فكان هذا الأب القدّيس يعزّي الجموع ويكشف لهم معنى المصيبة.

ولما التأمت محكمة تشكّلت من مبعوثين للأمبراطور في سبيل محاكمة المذنبين، عمد رهبان منقطعون لسنوات عديدة داخل قلايهم في الجبال، "إلى ترك مغاورهم فاجتمعوا من كلّ مكان كملائكة من السماء. عندها كنت تشاهد المدينة وكأنّها سماء، لأنك كنت تشاهد في كلّ مكان أولئك القدّيسين، فكان مجرد حضورهم يبعث التعزية في النفوس المتألّمة". وفي نهاية الأمر، لما صار معلوماً نجاح وساطة الأسقف فلافيانوس ومسامحة الأمبراطور للشعب، عندئذٍ عيّد الذهبيّ الفم مع الأسقف والمؤمنين لحدث خلاص المدينة وقال: "تبارك الله إلهنا الذي أهّلنا في هذا اليوم أن نقيم هذا العيد الشريف بالفرح والابتهاج... لأجل ذلك نشكر الإله المحبّ البشر ونتعجّب لقدرته ومحبّته للبشر وحكمته وعنايته الحاصلة لأجل المدينة"^{٣٧٣}.

وعندما وقع مرّة أخرى زلزال في أنطاكية، أقام المؤمنون سهرانيّات مع صلوات وأصوام طالبين رحمة الله. ولما استجاب الله سؤال المؤمنين، وعظ الذهبيّ الفم على النحو التالي: "غدت ترانيمكم أساس مدينتنا. الغضب الذي انفجر في السماء احتواه الصوت الصاعد من أسفل، من الأرض في الحقيقة... لا يخطيء من يقول إنكم أنتم منقذو المدينة والمعتنون بها. أين هم الأشراف؟ أين هم المحرّرون العظماء؟ أنتم بالحقيقة أبراج هذه المدينة وسورها وضمانتها. لأنّ أولئك بخطاياهم قد جرّوا المدينة نحو الفساد والهلاك، أمّا أنتم فبفضيلتكم تثبتموها"^{٣٧٤}.

هكذا أحبّ القديسون، ولا زالوا، مدينتهم وكلّ مدينة وقرية. ونحن نتشبه بهم على الدوام، لا سيما في القدّاس الالهيّ، فنصلي لأجل مدينتنا ولكلّ المعمورة.

من أجل اعتدال الأهوية، وخصب ثمار الأرض وأوقات سلاميّة، إلى الربّ نطلب.

لتفرح الخليفة

بطلبتنا هذه نسأل الربّ أن ييسط بركة محبته على الأرض والهواء والخلقة بأسرها. نطلب أن تسير الخليفة كلّها في الطريق الذي رسمه الخالق لها، "العالم المنظور خلقه الله كمملكة للإنسان. الإنسان هو بين الله والعالم فهو ملك على الأرضيات من جهة ومملوك عليه من فوق (من الله) من جهة أخرى"^{٣٧٥}. يولّد مشهد العالم نفسه والحياة فيه متعة كبيرة لدى الإنسان وتبعثان فيه عرفان الجميل والشكر"^{٣٧٦}. يتقبّل الإنسان العالم من الله "بركة"، ويرفعه بدوره إلى الله "كشكر". الإنسان هو ملك على عالم الله وكاهن له.

بالسقوط تزعزع تواجد الإنسان المتسالم مع الله والعالم. توقّف الإنسان عن كونه ملكاً على العالم وكاهناً لله، واستعبد للفساد والموت. الأرض التي خلقها الله "حسنة جداً"، باتت زائلة وعرضة للفساد. وعلاقة الإنسان مع نفسه، مع العالم ومع الله تغيّرت. غدا سيّد العالم يغدو عبداً للعالم، عبداً لدى عبده القديم: "وضع نفسه تحت الذين كان منذ البدء متسلّطاً عليهم كما هي الحال من جهة طبيعتهم نفسها"^{٣٧٧}.

"الخلقة بأسرها إذ شاهدت أنّ آدم قد خرج من الفردوس، لم تشأ أن تخضع للعاصي. الشمس لم تعد ترغب في أن ترسل نورها. القمر ما كان ليرضى بإرسال ضوءه، النجوم آثرت أن تبقى محتجبة عن العيون، الينابيع لم يكن لديها سبب لتفيض ماء. الأنهار لم تعد ترغب في الجريان، الهواء يفتكر أن يحتجب وألاً يعطي نسمة

للثائر. الوحوش وحيوانات الأرض كلّها، إذ عاينته عرياناً من مجده السابق، رذلتها، واتّخذت إزاءه موقفاً معادياً. السماء دفعته ليسقط منها، والأرض لم تقبل أن تحمله على كفيها". وسط هذا الدمار الحقيقي، تتدخل محبة الله للبشر: "يجمعها كلّها بقدرته الخاصّة وبرأفته وصلاحه، يحتوي عنف الخلائق كلّها، ويخضعها على الفور من جديد للإنسان الساقط، بحيث تغدو الخليقة عرضة للفساد لأجل الإنسان الذي سقط وتخدمه كأمة وقد خلقت من أجله. إلّا أنه لما يتجدّد الإنسان ويغدو روحياً غير فاسد وغير مائت، تتحرّر هي من عبوديّتها... فتجدّد معه وتغدو كلّها غير فاسدة وغير مائتة"^{٣٧٨}.

كبح تدخل الله المحبّ البشر نتائج عصيان الانسان. وينتظر الآن الانسان والعالم حضور الربّ المبارك.

* * *

عاد سلام الله إلى العالم بقدوم المسيح. لما غاب هذا السلام توقف "العالم" عن أن يكون ما هو بالحقيقة، أي زينة الله. أمّا الآن فقد استعاد معناه كزينة الله ومملكة سلامه^{٣٧٩}. الخليقة مدعوة هي أيضاً إلى احتفال الخلق الجديد: "لتفرح الخليقة ولترقص الطبيعة... ارتكضي أيتها الجبال بمولد المسيح"^{٣٨٠}. في المسيح يسوع، يتواجد الانسان والعالم معاً بسلام.

لكن حدث التدبير الإلهي الحاصل بالمسيح لا ينحصر فقط بكونه عودة الانسان والعالم إلى حالة ما قبل السقوط بل هو في الوقت نفسه ارتفاع "إلى المكان حيث المسيح جالس عن يمين الله"^{٣٨١}.

القدّاس الإلهي هو السرّ الذي يأتي بسلام المسيح مجدداً إلى كلّ الخليقة. لذلك نطلب الآن من الله أن تتوقّف عجلة دمار الطبيعة، وأن تبارك أعمال الناس السلاميّة ويسود السلام العالم كلّهُ وفقاً لأمر الله: "تسير السموات تحت ناظره بسلام وتخضع له. النهار والليل يتمّان مسارهما كما حدّده هو، دون أن يعيق الواحد الآخر. الشمس والقمر والنجوم تتحرّك بانسجام في مداراتها المحدّدة لها... أزمنة ربيعيّة،

صنيفية، خريفية وشتوية كلها تعبّر بسلام مُفسحة المكان لبعضها البعض. تيارات الهواء تهبّ هنا وهناك في أوقاتها دون أن يعترضها عائق ما^{٣٨٢}.

هذه هي البركة التي نطلب من الله أن يسطرها علينا: "هَبْ لَنَا الأهوية معتدلة ونافعة. امنح الأرض أمطاراً لحمل الأثمار"^{٣٨٣}.

من أجل المسافرين في البرّ والبحر والجوّ والمرضى والمحتاجين والأسرى وخلاصهم، إلى الربّ نطلب.

■ المتعبون والثقيلو الأحمال

نصلّي إلى المسيح من أجل المسافرين في البرّ والبحر والجوّ، لأجل المرضى والمتعبين والأسرى. لأجلهم جميعاً نطلب من الربّ كي يسهّل أن تكون الأتعاب التي يكابدونها في الحياة طريقاً مؤدية نحو مملكته المباركة.

المسيح، في القدّاس الالهيّ، يدعو المتعبين والثقيلو الأحمال إلى الاقتراب منه والاستراحة من عناء الحياة. "داخل بيت الله تعزية المتمرّمين، سلوى المعذّبين، راحة المتعبين ورضى الحزانى. لأنّ المسيح قال: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلو الأحمال وأنا أريحكم. ما هو أحبّ من هذا الصوت؟ أو أعذب من هذه الدعوة؟ عندما يدعوك الربّ إلى الكنيسة، فإنّه يدعوك إلى عيد. يحمل إليك الراحة من أتعابك... ما هذا الاهتمام وهذه العناية التي لا يعبر عنها. ما هذه الدعوة السماوية!"^{٣٨٤}.

عندما يلبي دعوة المسيح ذور الأتعاب والأوجاع منّا، نعيش إذ ذاك الراحة، راحة حضوره الأبويّ. نعيش قول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي: "تلك النفس التي تتعب هي قرب الله"^{٣٨٥}. حضور المسيح يُمنح لنا بامتياز في القدّاس الالهيّ.

من أجل نجاتنا من كلّ ضيق وغضب وخطر وشدة، إلى الربّ نطلب. أعضد
ونخلص وارحم واحفظنا يا الله، بنعمتك.

❖ الضيقات بالقول وليست بالفعل

عندما يتذوّق الانسان، للمرة الأولى، الخطيئة واللذة المرافقة لها، يتذوّق في الوقت عينه مرارة الألم والحزن: "لأنه من الطبيعي أن يلزم الألم اللذة المفرطة غير العاقلة التي إنسلت الى الطبيعة البشرية"^{٣٨٦}.

لقد سمح الله أن يجرب الانسان الألم كيما يشفى من جرح الخطيئة. "مباشرة بعد الخطيئة، سمح الله بالموت والألم، ليس على سبيل معاقبة الخاطئ بل ليقدم دواء للمريض"^{٣٨٧}. فما هو عقاب في نظرنا إنما هو في الحقيقة علاج إلهي شاف: "بالطبع يبدو عقاباً وجزاء لمن يسمع هذه الأقوال: بعرق وجهك تأكل خبزك. إلا أنّها في الواقع إرشاد وتصويب ودواء للجراحات التي تسببت بها الخطيئة"^{٣٨٨}.

هكذا اقتبل القديسون في حياتهم الضيقات: كانت بمثابة دواء إلهي. إنه دواء يشفي مرض الخطيئة ويمنح من جديد للانسان الصحة، صحّة الفضائل. "إصبر على الضيقات، يقول القديس نيلوس، لأنّ الفضائل تنبت في داخلها". والقديس استحق، الذي يكشف في كلّ مقالة من مقالاته خبراته الإلهية، يدعو الضيق "علّة الفضيلة": "وسط الضيقات والأحزان، يبلغ إتمام وصايا الله إلى قمته". لذلك كريمة أمام الله "الضيقات الحاصلة لأجله وبه، فهي تفوق كلّ صلاة وتضحية. وعرقها الزكي الرائحة يفوق العطور كافّة"^{٣٨٩}.

ويقول الذهبي الفم: إنّنا بالضيقات نتخلص من خطايانا، "وإذا كان لدينا شيء من البرّ، فهو يغدو أكثر نقاوة وضياء"^{٣٩٠}. هكذا نسير نحو ملكوت الله. "لأنه

بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخله. ولكن كلّ تأديب في الحاضر لا يبدو أنه للفرح بل للحزن. غير أنه يعطي في النهاية الذين يتريضون عليه ثمر برّ للسلام^{٣٩١}.

في البداية نشعر بأسى الضيقات. ولكن إذا تقبلناها بفرح، فسرعان ما ننعـم "بثمر السلام". وعندما يأتي السلام إلى حياتنا، يأتي المسيح.

* * *

لقد أحبّ القديسون الضيقات لأنهم أدركوا أنّ اقتبالها بلا مضض سيغدو بوابةً للملكوت الله. لكنهم عرفوا في الوقت نفسه أنه بينما تمنح الضيقات الأقوياء روحياً الملكوت السماوي، فإنها قد تقود الضعفاء إلى حافة اليأس. ويبدو أنّ سبب التخلص من الضيقات أمر يتعلّق بالضعفاء وليس بالأقوياء. ويقول أحد الشيوخ القديسين: "الصحيح روحياً يفرح بالمرض، أمّا المريض روحياً فيعاني".

يحكي عن الشيخ فيلارتوس، رئيس دير الكونستامنيو، أنّ أحد تلاميذه وجدّه مرّة جالساً على كرسيّه حزينا فقال له: "ما بالك أيّها الشيخ؟". فأجابه: "لم تعبر بي اليوم آية تجربة! لقد تخلّى الله عني". فعندما كان القديسون يسلكون على هذا النحو في حياتهم الخاصّة، كانوا يصلّون لأجلنا حتّى نعتقدنا الله من الضيقات.

عندما يتحدّث القديس الذهبيّ الفم عن ضيقات الإنسان يدعوها "أسماء فقط، لأنّه ما من شيء يحدث في الحقيقة (الضيقات بالقول وليست بالفعل)^{٣٩٢}. لكنّه ينصحنا أن نتوسّل إلى الله أن يعتقنا منها. لأنّه من الأفضل أن يُحرم المجاهد الاكليل من أن تؤدّي به الضيقات إلى حافة اليأس. خير لنا أن نقرّ بضعفنا الروحيّ ونتوقّع كلّ شيء من رحمة الله العظمى.

❖ القادمون من الضيقات الكبيرة

في الليتورجيا السماوية التي يصفها لنا يوحنا الانجيلي، يشترك حشد كبير من كلّ الأمم والقبائل واقفين أمام العرش وأمام الخروف متسرّبين بثياب بيض. ويشرح أحد الشيوخ ليوحنا الانجيلي من هم المتسرّبون بالثياب البيض: "إنّهم الذين أتوا من

الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبَيّضوها بدم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهائراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلّ فوقهم... الخروف يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة ويمسح الله كلّ دمة من عيونهم^{٣٩٣}.

الحياة الحاضرة هي الضيقة الكبيرة. المؤمنون يشتركون في القدّاس الإلهي بينما هم يعبرون وادي الضيقات. بنعمة دم المسيح الكليّ قدسه تبيضّ حلّة نفوسهم ويبلغون إلى المذبح السماويّ متسربلين بالثياب البيض. هناك، في وسطهم، يكون الخروف، أي المسيح. محبته ترعاهم فهو يحول دموع ضيقتهم الكبيرة إلى فيض ماء حيّ.

بعد ذكرنا الكليّة القداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم مع جميع القديسين، لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الإله.

الشعب: آيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا.
لك يا ربّ.

✠ لنودع كلّ حياتنا للمسيح الإله

هكذا تحثنا كنيسة المقدّسة: "لنودع كلّ حياتنا للمسيح الإله". لأنّ "النفوس التي أودعت ذاتها لله، مرّة وإلى الأبد، بإيمان، والتي تذوّقت في خبرة طويلة طعم الله فيها، لا تهتمّ بنفسها بعد، بل تذوي إلى السكون والاندھاش". ولكن إيداع النفس لله ليس بالأمر السهل. لذلك نطلب معونة سيّدتنا والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم وجميع القديسين. هذا هو معنى "ذكرنا" أي أن نطلب المعونة، أن نتوسّل في طلبها^{٣٩٤}.

ولكن هناك سبب آخر لاستدعائنا السيِّدة العذراء: أن نستودع حياتنا للربِّ أمر يشبه نذر العذراء نفسها. كما العذراء، وهي بعد في الثالثة من عمرها، نُذرت للربِّ لتكون عرشه الحيّ، كذلك كلُّ مؤمن يقدِّم إلى الربِّ ليغدو بيته. في يوم دخولها إلى الهيكل، يَحْثُنَا الكاهن أن ننذر نحن أيضاً أنفسنا لكي يسكن المسيح فينا. يَحْثُنَا كي نصير مثل الكلية القداسة، مسكناً ليسوع طرباً وبهياً^{٣٩٥}.

ويقرأ الكاهن الافشين: أيُّها الربُّ إلهنا الذي عزّته لا تقاس ومجده لا يدرك ورحمته لا تُحدّ ومحبّته للبشر لا توصف. أنت أيُّها السيّد اطلّع بتحنّك علينا وعلى هذا البيت المقدّس. واجعل مراحمك ورأفاتك غنيّة علينا وعلى المصلّين معنا. ويعلن: لأنّه ينبغي لك كلُّ تمجيد وإكرام وسجود، أيُّها الآب والابن والروح القدس. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. الشعب: آمين.

❖ محبّته للبشر ملزمة

محبة الله للبشر ورحمته تتجاوزان المقاييس البشريّة هما فوق قدرة التعبير البشريّ (لا توصف). المقياس الذي يُظهر المحبة الالهية للبشر هو حدث التدبير الالهيّ: "لأجل محبتك للبشر غير الموصوفة وغير المحدودة صرت إنساناً بلا استحالة ولا تغيير وحصلت لنا رئيس كهنة". ويقول القديس أثناسيوس الكبير: "البشر غاية تجسّد كلمة الله، ولأجل خلاصنا، أظهر لنا محبّته بأن يولد ويظهر داخل جسد بشريّ"^{٣٩٦}.

محبة الله للإنسان لا تحدّ في حجمها، وهي تليق وحدها بالسيّد. لا نقبل نحن من السيّد احساناً أو تعاطفاً بشريّاً، بل محبة لا تصدر سوى عن الملوك والأسياد. "كما أنّ محبّته للبشر لا توصف وكيفية اتّحاده بكلّ من يحبّ يعلو على كلّ صورة

وكلّ اسم، كذلك أيضاً هي الطريقة التي بها يقترب منا ويُحسن إلينا: طريقة مدهشة تليق بالله وحده الذي صنع كلّ الأشياء على نحو عجيب^{٣٩٧}.

الله يحبنا على نحو حصريّ ويطلبنا أن نحبّه على المنوال نفسه: "لقد جمعنا من كلّ مكان إليه ولا يدع مجالاً لذهننا أن ينجذب إلى أيّ شيء آخر، ولا حتّى أن نحبّ أيّ كائن من الكائنات... يجذبنا إليه وحده، ويتحدنا بذاته حصراً، ملزماً إيانا بمحبّته للبشر. اعتقد أنّه يمثل هذا الإضطرار جمع في بيته جماعة المدعوّين إلى العشاء عندما قال للعبد: "أخرج إلى الطرق والسيارات وألزمهم بالدخول حتّى يمتلئ بيتي"^{٣٩٨}.

الله يقيم مائدة الحياة ويدعو الانسان إلى الدخول إلى بيت العشاء. أمّا أمداً محبّته للبشر فلا تحدّ: "يا سيّد قد صار كما أمرت ويوجد أيضاً مكان"^{٣٩٩}. إنّهُ مكان محبّته الذي سيبقى شاغراً طالما سيوجد أشخاص يرفضون الدخول إلى بيته. سيبقى إلى ذلك الحين يقيم سرّ المحبّة، سرّ محبّته للبشر التي تضطرّهم وتلزمهم. الراعي سيبقى يطلب الخروف الضالّ. المحبّة التي تبقى دائماً في بحث عن الدرهم المفقود.

ويرتلّ الأنديفوننة^{٤٠٠} الأولى مصحوبة باللازمة:

بشفاعات والدة الاله يا مخلص خلّصنا

■ هوذا حمل الله

القدّاس الإلهي هو بكلّيته سرّ حياة المسيح. كلّ لحظة من اللحظات التي يتألّف منها هي عيش أسراري جديد، يتناول فترة زمنيّة محدّدة من حياة المسيح. هكذا فاستيخونات الأنديفونات، وهي من كتاب المزامير، "تشير إلى بدايات حضور المسيح على الأرض، عندما كان حاضراً بالطبع ولكن غير ظاهر لكثيرين، عندما كان في العالم، والعالم لم يعرفه. تشير إلى الزمن السابق ليوحنا المعمدان، قبل أن

يضيء السراج. في ذلك الحين كان العالم بحاجة إلى الأقوال النبوية. بعدها ظهر الذي تحدثت عنه الأقوال النبوية ولم يعد العالم يحتاج إلى الأنبياء، فقد أشار إلى حضوره يوحنا المعمدان^{٤٠١}.

فبينما نحن نعيش زمن المعمدان بالمزامير، في الوقت نفسه نستعد للميستاغوجيا، لأن ترتيلها ليس سوى "تطهير مبدئي" ونوع من تهيئة^{٤٠٢} لا شترأ كنا في السر. هكذا، فإن المزامير في بداية القداس الإلهي تقوم مقام العمل الذي أتمه المعمدان: فهي تهيء طريق الرب وتدعونا إلى استقباله. وعندما يحضر إلى اجتماعنا، فهي تشير إليه وتدل عليه: "هوذا حمل الله. هلم لنفرح بالرب. نهتف لله مخلصنا"^{٤٠٣}.

■ النفس عازف بارع والجسد آلة عزف

"الترتيل" هو إحدى الطرق التي نتحدث بها إلى الرب أثناء القداس الإلهي. الأفاشين تتلى، الطلبات والقراءات الشريفة تعلن بإيقاع.

الترتيل يساعدنا خاصة في الجهاد الذي نخوضه لتحدث إلى الرب: "ما من أمر آخر يرفع النفس، يمنحها أجنحة، يعتقها من الأرضيات، يحررها من رباطات الجسد ويجعلها تعيش روحياً وتطرح الهموم المعيشية جانباً مثل أنغام منسجمة وتسبيح إلهي ذي إيقاع... المزامير الروحية عظيمة الفائدة، كثيرة الجنى، وفيض من التقديس، فيصير الترنيم أساساً للحياة الروحية. فكللمات الترانيم تطهر النفس من جهة، والروح القدس يهب بسرعة ويفتقدتها كي ترتل من جهة أخرى". "ومن يرتل بطهارة، على نحو ما يقول القديس يوحنا، يجدد نفسه ويصبح هيكلًا للروح القدس"^{٤٠٤}.

لا يكفي النفس التي ترتل في سعيها لجذب نعمة الروح القدس، أن ترنم وفق القواعد الموسيقية، بل يجدر بها أيضاً أن تكون متوافقة مع التسابيح الملائكية. الذهبي الفم يشدد فيما يتعلق بالترتيل الكنسي فيقول: "ليس خطيئة على الإطلاق أن شيخاً أو شاباً أو ناشز الصوت لا يفقه شيئاً البتة من الترنيم والإيقاع. فما نطلبه هنا هو صحو النفس، ذهن لا ينعس، قلب منسحق، وفكر طاهر وضمير نقي"^{٤٠٥}.

"رَنِّمُوا لِلَّهِ يَا أَبْرَارَهُ"، كما يَحُثُّ دَاوُدُ النَّبِيُّ. وَيَلَاحِظُ الْقَدِيسُ بَاسِيلْيُوسُ الْكَبِيرُ: "بِمَقْدُورِ الْمَسْبُوحِينَ بِقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ وَجَمِيعِ الْأَبْرَارِ، أَيِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ، أَنْ يَرْتَلُوا لِلَّهِ، فَقَدْ ضَبَطُوا إِيقَاعَاتِهِمُ الرُّوحِيَّةَ عَلَى نَحْوِ مُوَافَقٍ... فَنَقُّوا أَنْتُمْ قُلُوبَكُمْ لِتَحْمِلُوا ثَمَاراً رُوحِيَّةً، وَمَتَى صَرْتُمْ أَبْرَاراً تَقْدُرُونَ سَاعَتَهَا أَنْ تَرْتَلُوا لِلَّهِ بِحِكْمَةٍ وَفَهْمٍ".^{٤٠٦}

بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَمَجِّدَ اللَّهَ بِلَا انْقِطَاعٍ: "النَّفْسُ عَازِفٌ، فَنَّا بَارِعٌ، أَمَّا الْجَسَدُ فَآلَةٌ عَزْفٌ، بِمِثَابَةِ قِيثَارَةٍ... وَاللَّهُ إِذْ يَقْصِدُ أَنْ يَعْلَمَكَ وَجُوبَ تَسْبِيحِهِ عَلَى السِّدَّامِ وَمُبَارَكَتِهِ، وَحَدَّ بِشَكْلِ دَائِمِ الْآلَةِ بِالْعَازِفِ"^{٤٠٧}.

لَكِنْ فِي الْكَنِيسَةِ الْاُورْثُودُكْسِيَّةِ لَا تَسْتَخْدَمُ آلَاتُ مُوسِيقِيَّةٍ. كُلُّ مُؤْمِنٍ هُوَ آلَةٌ إِلَهِيَّةُ الصَّنْعِ. فَإِذَا حَافِظُ الْعَازِفِ (أَيِ النَّفْسِ) عَلَى الْآلَةِ طَاهِرَةٌ، عِنْدَهَا تَكُونُ جَاهِزَةٌ وَمُنَاسِبَةٌ لِمَجِيدِ اللَّهِ. لِأَنَّ التَّسْبِيحَ الشَّرِيفَ يُولَدُ مِنَ التَّقْوَى، يَغْذِيهِ الضَّمِيرُ الصَّالِحُ، وَيَقْتَبِلُهُ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ، كَمَا يَقُولُ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا الذَّهَبِيُّ الْفَمُّ^{٤٠٨}.

الشَّمَّاسُ: أَيْضاً وَأَيْضاً بِسَلَامٍ إِلَى الرَّبِّ نَطْلُبُ.
أَعْضُدْ وَخَلِّصْ وَارْحَمْ...
بَعْدَ ذِكْرِنَا الْكَلِيَّةَ الْقَدَاسَةَ...

❖ كُلُّ انْطِلَاقَةٍ يَسْتَتْبِعُهَا انْطِلَاقَةٌ أُخْرَى

الْقَدَّاسُ الْإِلَهِيُّ هُوَ مَسِيرَةُ الْإِنْسَانِ لِلِقَاءِ اللَّهِ وَمُعَايِنَتِهِ وَشَرَكَتِهِ. كُلُّ خُطْوَةٍ مِنْ خُطَوَاتِنَا هِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ نَهَايَةٌ وَبَدَايَةٌ هَذِهِ الْمَسِيرَةِ.

و"أَيْضاً وَأَيْضاً...": لَا يَقْصِدُ بِهِذِهِ الطَّلِبَةُ تَرْدَادَ لِسَابِقَاتِهَا. إِنَّهَا طَلِبُ لُخْبَرَاتٍ جَدِيدَةٍ: "الْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ الَّذِي يَقْتَنِيهِ الْمَرْءُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ هُوَ بِالطَّبْعِ أَكْبَرُ مِمَّا سَبَقَ اقْتِنَاؤُهُ. فَالْمَطْلُوبُ لَا يَنْحَصِرُ بِذَاتِهِ، إِذْ إِنَّ نَهَايَةَ مَا سَبَقَ اقْتِنَاؤُهُ تَشَكُّلٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَتَسَلَّقِي هَذَا الدَّرَبِ، انْطِلَاقَةٌ لِاقْتِنَاءِ مَا هُوَ أَسْمَى. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَسَلِّقِينَ لَا

يتوقفون البتة، لأن كل انطلاقة يستتبعها انطلاقة أخرى...والنفس بارتقائها على الدوام هذه الدروب الصاعدة، تسرع الخطى نحو من لا حدود له^{٤٠٩}.

"أيضاً وأيضاً...": إننا لا نكلّ من تكرار الأقوال نفسها للرب. قد نطلب نحن الأمور نفسها، وعندما تمنحنا إياها محبته، عندها ندرك أنها ليست مماثلة لما كان في حوزتنا. نتيقن كيف أننا ونحن في هذا العالم، توجد على الدوام إمكانية الاقتراب أكثر من سلام الله، من محبة العذراء، من شركة القديسين. لأنه كلما تطهر الجسد والنفس من الخطيئة كلما فاضت علينا أكثر نعمة القداس الالهي.

ثم يتلو الكاهن الافشين: أيها الرب إلهنا خلّص شعبك وبارك ميراثك واحفظ ملء كنيستك. قدس الذين يحبون جمال بيتك. أنت شرفهم عوض ذلك بقوتك الالهية ولا تهملنا نحن المتوكلين عليك.
بعد ذلك يعلن قائلاً: لأنك إله صالح ومحب البشر ولك نرسل المجد، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.
الشعب: آمين. ويرتل الانديفونة الثانية: بشفاعات قديسيك، يا مخلص، خلّصنا^{٤١٠}.

❖ لشركة ميراث القديسين

بالمعمودية المقدسة غدونا أولاد الله. "أسرى البارحة هم أحرار الآن ومواطنو الكنيسة؛ الذين عاشوا في عار الخطيئة، يعيشون الآن بالاستقامة والبر. ليسوا فقط أحراراً بل قديسين، ليسوا فقط قديسين بل أبراراً، ليسوا فقط أبراراً بل أبناء، ليسوا فقط أبناء بل ورثة، ليسوا فقط ورثة بل إخوة المسيح^{٤١١}.

عندما تجرى خدمة القداس الالهي، يلتئم أبناء الله في البيت المقدس، "حيثما يوجد إخوة هكذا عددهم، هناك هو الروح القدس، وهناك هو يسوع وأبوه". في

القدّاس الإلهي نقف أمام المائدة المقدّسة "بفرح، شاكرين الله والآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور"^{٤١٢}.

لكننا في القدّاس الإلهي لا نصبح نحن فقط ورثة المسيح. لأنّ المسيح نفسه يغدو ميراث كلّ البشر: "الابن الجالس في الأعالي مع الآب، تحمله في تلك اللحظة أيدي الآخرين". هذا ما يصنعه الإله المحبّ البشر للنفس المتقدّمة نحوه والمترجّية إياه... يغدو الربّ ميراث النفس وتصير النفس ملك الربّ"^{٤١٣}.

المجد... الآن... يا كلمة الله الابن الوحيد الذي لم يزل غير مائت، لقد اقتبلت أن تتجسّد من أجل خلاصنا من القديسة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم، وتأنّست بغير استحالة وصلبت أيّها المسيح إلهنا، وبموتك وطئت الموت، وأنت لم تزل أحد الثالوث القدّوس، الممجّد مع الآب والروح القدس، خلّصنا"^{٤١٤}.

❖ الابن الوحيد الذي ارتضى

الابن الوحيد وكلمة الله هو المرتضى، "الإله العديم الكبرياء"، "الذي يفوق كلّ ذهن يغلب كلّ فكر، هو الذي تجاوز ملائكة ورؤساء ملائكة وكلّ القوّات السماويّة العقليّة، مرتضياً أن يصير إنساناً"^{٤١٥}.

يقول الذهبي الفم: "ذاك الذي كان في الأحضان الأبويّة، ارتضى أن يأخذ صورة عبد وأن يحتمل كلّ الأوضاع البشريّة... أن ينمو رويداً رويداً، ويُختن ويَجوع، ويُقدّم ذبيحة، ويعطش، ويتعب، وفي النهاية أن يحتمل الموت... قد ارتضاها كلّها، لأجلنا ولأجل خلاصنا، انه خالق الكل". ويتابع: "هذا الذي خلق كلّ الأشياء من العدم إلى الوجود، هذا الذي نظرة واحدة منه تكفي لتجعل الأرض ترتعد، ومن إشعاع مجده لا تقدر ولا حتّى الشروبيم على التحديق فيه بل تشيح بوجوهها جانباً... هوذا قد ارتضى، لأجلنا ولأجل خلاصنا، أن يصير بشراً"^{٤١٦}.

يسوع المسيح ارتضى، "لأجل خلاصنا"، أن يتأنس من والدة الاله القديسة وأن يحارب الشيطان. كإنسان دخل رُحى المعركة التي كان علينا أن نخوضها، وكإله حقق ظفراً عظيماً: "ياخذ الله على عاتقه الجهاد لأجل البشر، لأنه كان إنساناً. لذلك ينتصر الانسان على الخطيئة لأنه كان إلهاً. على هذا النحو تعتق طبيعتنا من العار وتتكلم بإكليل الظفر، طالما أن الخطيئة قد اندحرت" ^{٤١٧}.

المسيح هو غالب الخطيئة والموت، والآن نحن الملتزمين حوله، ننشد نشيد الظفر.

الشماس: أيضاً وأيضاً... أعضد ونخلص... بعد ذكرنا...

الكاهن يقول الافشين: يا من أنعمت علينا بهذه الصلوات المشتركة المتوافقة. يا من وعدت بأنك إذا اتفق اثنان أو ثلاثة باسمك تهب لهم طلباتهم. أنت الآن تَم طلبات عبيدك إلى ما يوافقهم، مانحاً إيانا في الدهر الحاضر معرفة حقك وواهباً إيانا في العتيد الحياة الأبدية.

ثم يعلن قائلاً: لأنك إله صالح ومحِبّ البشر ولك نرسل المجد، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين. ويرتل الأنديفونا الثالثة: خلّصنا يا ابن الله، يا من هو عجيب في قدّيسه، نحن المرتلين لك هليلويا.

✦ الجميع معاً يرفعون الصلاة المشتركة إلى الله

القدّاس الالهى هو الصلوات المشتركة المتوافقة التي يهبنا إياها الرب. وبالتالي، فالقدّاس الالهى يكشف أن غاية الكنيسة هي "شركة المحبة". ويقول الذهبي الفم: "لم تتأسس الكنيسة لتكون نحن المجتمعين فيها منقسمين فيما بيننا، بل لنبلغ نحن المنقسمين إلى الوحدة، وهذا يكشفه الاجتماع الافخارستي" ^{٤١٨}.

وعندما يصف القدّيس يوستينوس الشهيد الاجتماع الافخارستي يشدّد قائلاً:
 يوم الأحد "يلتئم محفل كافّة المؤمنين في المكان عينه، وتتلّى قراءات من الرسائل
 والأنبياء، على قدر ما يسمح الوقت... ثمّ نهض جميعاً ورفع الصلوات... ثمّ يُجرى
 تقديم الخبز والخمر والماء، ويرفع الكاهن من جديد صلوات وشكر للربّ بكلّ ما
 أوتي من القوّة. أمّا الشعب فيرتل: آمين" ٤١٩. هذه المعية في الليتورجيا تظهر كيف أنّ
 الجميع يسرون على الطريق نفسها: المسيح، المؤمنون، الذين مع الكاهن يقدّمون
 الذبيحة غير الدمويّة، يؤلّفون، ولو كانوا اثنين أو ثلاثة، "جسد الكنيسة كلّها، الذي
 بنفس واحدة وصوت واحد يرفع تضرّعه إلى الله" ٤٢٠.

المسيح أعطى وعده أنّه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه يكون بينهم، ويسمع
 صلواتهم المشتركة ويلبّي طلباتهم ٤٢١. إلّا أنّه يحدث أن نجتمع باسمه مرّات كثيرة،
 ونطلب من محبّته أمراً ولا نحصل على جواب لطلبتنا. والذهبيّ الفم يوضّح لنا الأمر:
 المسيح، عندما يتحدّث عن اجتماع المؤمنين باسمه، لا يقصد فقط التجمّع، وليس هو
 الأمر الوحيد المطلوب، لأنّ المطلوب أن نجاهد لأجل الفضيلة. إذا طلبت "ما هو
 موافق بالنسبة إليك وقمت بالأمور التي تتعلّق بك وتعيش حياة رسوليّة، يجمعك
 التوافق والمحبة بقريبك، فإنّ تضرّعاتك ستستجاب، لأنّ الربّ محبّ للبشر". كلّ
 سعينا لنعيش المحبة يعطي ثماره إذا بثّ فيه الربّ الحياة. يجدر أن نقرّ بكلّ جلال
 بمحبّته. "لأنّ المحبة التي أساسها المسيح ثابتة هي، ولا يجرّحها شيء ولا تنضب
 أبداً" ٤٢٢.

ومن هذه المحبة تتغذى صلوات المؤمنين المتوافقة. ويقول الذهبيّ الفم: "من
 الممكن بالطبع أن تصلّي في بيتك، لكن من المستحيل أن تكون صلاتك مثلما حين
 ترفعها داخل الكنيسة حيث يوجد حشد كهذا من الآباء، وترتفع من الجميع الصلاة
 المشتركة إلى الله. لا تستجاب طلبتك عندما تضرّع لوحدهك مثلما تفعل عندما
 تتوسّل إلى الله بمعية إخوتك. لأنّه هنا في الكنيسة يوجد أمر إضافي - أعني بذلك
 توافق المؤمنين وعزمهم الواحد - رابط المحبة وصلوات الكهنة" ٤٢٣.

* * *

الصلوات المشتركة المتوافقة هبة من الرب لنا. هذا هو في آن واحد النشيد المشترك الذي نرتل، وثمره: "بعزمكم الواحد وتوافق محبتكم يُرَنَّم للمسيح يسوع. وكل واحد منكم يغدو جوقاً، حتى إذا كنتم متفقين بعزم واحد ترتلون للآب يسوع المسيح بصوت واحد... حتى تكونوا مشتركين على الدوام بالله".

من جماعة المؤمنين المجتمعين في الكنيسة تُرفع إلى الآب السماوي، بصوت واحد "صلاة واحدة، تضرع واحد، ذهن واحد، رجاء واحد في المحبة، في فرح طاهر، هو المسيح يسوع" ٤٢٤.



الدخول بالإنجيل والقراءات الشريفة

بينما يُجرى ترتيل الأنديفوننة الثالثة، يأخذ الكاهن الإنجيل ويعطيه للشَّمَّاس ويخرجان كلاهما، وعندما يصلان إلى نصف الكنيسة يحنيان رأسيهما بوقار.

الشَّمَّاس: إلى الربّ نطلب. يا ربّ ارحم.

والكاهن يقول إفشين الدخول: أيّها السيّد الربّ إلهنا، يا من أقمت في السموات طغمت وجنود ملائكة ورؤساء ملائكة لخدمة مجدك، اجعل دخولنا مقرونًا بدخول ملائكة قديسين يشاركوننا في الخدمة، ويمجدون معنا صلاحك. لأنّه ينبغي لك كلّ تمجيد وإكرام وسجود، أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الشَّمَّاس يقول للكاهن: بارك يا سيّد الدخول المقدّس.

والكاهن يبارك الأبواب المقدّسة قائلاً: مبارك دخول قديسيك، كلّ حين الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

الشَّمَّاس بصوت جهير: حكمة فلننتصب.

والشعب يرتل: هلمّ نسجد ونركع للمسيح. خلّصنا يا ابن الله، يا من هو عجيب في قديسيه، نحن المرتلين لك، هليلويا.

❖ وحدة الملائكة والبشر

حتى القرن السابع كان القدّاس الالهى يبدأ بدخول (إيصوذن) الانجيل الشريف. وكان الكاهن يرتدي حلته الكهنوتية في المكان الذي تحفظ فيه الأدوات الكنسية. من هناك يأخذ الانجيل ويدخل مع المؤمنين إلى صحن الكنيسة^{٤٢٥}. أمّا في حال اشتراك الأسقف بالخدمة، فكان هذا الأخير يدخل إلى الكنيسة في ذلك الحين ويرتدي حلته أمام المؤمنين ثمّ يدخل إلى الهيكل المقدّس.

الدخول بالانجيل الشريف يُدعى أيضاً "الدخول الصغير". وهو يشير حسب القدّيس جرمانوس، "إلى حضور ابن الله ودخوله إلى هذا العالم"^{٤٢٦}. وهذا ما يشير إليه أيضاً دخول رئيس الكهنة إلى الكنيسة: "دخول رئيس الكهنة إلى الكنيسة المقدّسة هو أيقونة ورمز للحضور الأوّل لابن الله بالجسد، في هذا العالم... بحضوره هذا، أتى المسيح بطبيعة البشر من جديد، إلى نعمة الملكوت الأولى"^{٤٢٧}.

الآن المسيح، بالقدّاس الالهى، يدعو كلّ إنسان ليصير جليسه في الملكوت، ويرتدي حلة التوبة، ويجلس إلى مائدة العرس.

ودخول المؤمنين إلى الكنيسة، كما كان يحصل في القرون المسيحية الأولى مباشرة في اللحظة التي تسبق دخول رئيس الكهنة، "يشير إلى انتقالهم من الشرّ وعدم المعرفة إلى الفضيلة والمعرفة"^{٤٢٨}. يغيّر الانسان توجهه، والقدّاس الالهى يغدو مركز حياته. هكذا فإنّ دخول المؤمن إلى الكنيسة لأجل هذا الاجتماع الشريف ليس رمزاً على الاطلاق بل هو عمل وممارسة، انه دخول في حياة المسيح. إنه اشتراك الانسان في حياة الاله - الانسان.

وفي ترتيب القدّاس الالهى الذي نعرفه اليوم، يأخذ الكاهن من على المائدة المقدّسة الانجيل الشريف، أيقونة المسيح، ويرفعه إلى مستوى وجهه فيتغطّى بالمسيح الآتي ويقوم "بالدخول الصغير". تتقدّم الانجيل شمعة ترمز إلى المعمدان، السراج الموقد المنير. وبينما يأتي المسيح إلى عالمنا، يدلّنا المعمدان عليه: "هوذا حمل الله". ويعلن

الكاهن: "حكمة. فلننتصب"، كما لو كان يقول: "ها انا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب". ويعيش المؤمنون عجب هذا الكشف الملائكي: "وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويّ مسبّحين الله" ٤٢٩.

وكما في بيت لحم، كذلك في القدّاس الإلهي: "يتوحّد البشر والملائكة، فحيث الملك، هناك يتمّ تجاوز النظام" ٤٣٠. والكاهن يسأل لنا نحن المؤمنين أن نعيش هذا الحضور الملائكي واشتراكه معنا في الخدمة. أن نعيشه كما عاشه آباؤنا القدّيسون المتوشّحون بالله.

ويكتب الذهبيّ الفم أن أحدهم يُخبر "عن شيخ عجيب يُحكى أنه قد أهلك مرة أثناء إقامة الأسرار المقدّسة، لرؤية حشد من الملائكة بثياب برّاقة قد التفت حول المائدة المقدّسة وشخصت بوجوهها نحو الأرض، كما لو أن الجند قد اصطفوا في حضرة الملك". ويُحكى أيضاً عن القدّيس اسبريدون "أنه كلّما كان يقيم القدّاس الإلهي، كانت الملائكة تحضر، وتشاركه الخدمة. وعندما كان يقول: السلام لجميعكم، كان هؤلاء يجيئون مرّمين: ولروحك. وهكذا كانت تفعل في كلّ الإجابات الأخرى" ٤٣١.

يرتل الشعب الطروبانيات وقنداق اليوم.

الشمّاس: إلى الربّ نطلب.

الشعب: يا ربّ ارحم.

الكاهن: لأنك قدّوس أنت يا إلهنا، ولك نرسل المجد أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان،

الشمّاس: وإلى دهر الدهرين.

الشعب: آمين. ويرتل التسبيح الثالوثي: قدّوس الله، قدّوس القويّ، قدّوس الذي لا يموت، ارحمنا. (ثلاث مرّات) ٤٣٢.

ويتلو الكاهن بصوت منخفض: أيها الاله القدّوس، المستريح في القدّيسين، المسبّح من السرافيم بأصوات ذات ثلاث تقديسات، والممجّد من الشروبيم والمسجود له من جميع القوّات السماويّة. يا من أخرجت كلّ الأشياء من العدم إلى الوجود، وخلقت الانسان على صورتك ومثالك، وزينته بجميع مواهبك، يا من تمنح للطالب حكمة وفهماً ولا تهمل الذين يخطئون بل أنك وضعت توبة للخلاص، يا من أهّلنا نحن عبيدك الأذلاء غير المستحقّين أن نقف في هذه الساعة أيضاً امام مجد مذبحك المقدّس، وأن نقدّم لك السجود والتمجيد المتوجّب. أنت أيها السيّد تقبل من أفواهنا أيضاً نحن الخطاة، التسييح المثلث التقديس، وافتقدنا بصلاحك واغفر لنا كلّ إثم طوعيّ أو كرهيّ وقدّس نفوسنا وأجسادنا، وهب لنا أن نعبدك بالبرّ كلّ أيام حياتنا بشفاعات القدّيسة والدة الاله وجميع القدّيسين الذين أرضوك منذ الدهر. لأنك قدّوس أنت يا إلهنا ولك نرسل المجد، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

ثمّ يتلو الكاهن والشمّاس بالتناوب التريصاجيون، صانعين ثلاث مطانيات.
ثمّ يقول الشمّاس للكاهن: مرّ يا سيّد، فيتّجه الكاهن نحو المذبح قائلاً: مبارك الآتي باسم الربّ^{٤٣٣}. وعند عودته يقول الشمّاس: بارك يا سيّد الكاثدرا العالية.
الكاهن: مبارك أنت على عرش مجد ملكك أيها الجالس على الشروبيم^{٤٣٤}، كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

■ احتفال مشترك، احتفال السماويين والأرضيين

أثناء الدخول المقدّس، يدخل أيضاً مع المسيح الملائكة القدّيسون. وبعد الدخول، ملائكة وبشر يرتلون التريصاجيون.

القدّيس جرمانوس يفسّر هذا النشيد على النحو التالي: "قدّوس الله، أي الآب. قدّوس القوي، أي الابن والكلمة، لأنّه قيّد الشيطان المستقوي علينا وأبطل بالصليب من له عزّة الموت، ومنحنا الحياة والقوّة والسلطان كي ندوسه. قدّوس الذي لا يموت، أي الروح القدس، المحيي، الذي يمدّد الخليقة كلّها بالحياة، وبه تهتف قائلة:

ارحمنا... ويقال ثلاث مرّات، لأنّه يليق بكلّ من الأقانيم الثلاثة ذات اللاهوت الواحد هذا الهتاف ذو الثلاث تقديسات. فكلّ واحد من الأقانيم الثلاثة هو قدّوس وقويّ ولا يموت^{٤٣٥}.

ويقول البار نيقولاوس كاباسيلاس: "إنّ التريصاجيون قد تفوّه به الملائكة وورد في كتاب المزامير الشريف لداود النبي. فاستخدمته الكنيسة وخصّصت به الثالوث القدّوس. لأنّ لفظة "قدّوس" التي تقال ثلاث مرّات هي نشيد الملائكة، بينما الألفاظ "الله"، "القوي"، "الذي لا يموت"، هي لداود النبي الذي يقول: "عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله القوي الحي". جمعت كنيستنا المقدّسة المزمور والتسبيح الملائكي وأضافت طلبتها: "ارحمنا"... ليظهر توافق العهدين القديم والجديد من جهة، وتوافق الملائكة والبشر من جهة أخرى، داخل الكنيسة الواحدة، وفي مكان واحد^{٤٣٦}.

أثناء القدّاس الإلهي، "نحن جوق واحد مع الملائكة، نشترك مع رؤساء الملائكة، ونسبح مع السرافيم". ويحثنا الذهبي الفم فيقول: "افتكر من تشكّل معهم جوقاً واحداً، وهذا وحده يكفي ليقودك إلى الزهد، عندما تتذكّر أنّه بينما أنت ترتدي جسماً وبشرة فقد جعلت أهلاً لتسبح ربّ الجميع الواحد، مع القوّات السماويّة"^{٤٣٧}.

مع القوّات الملائكيّة نرفع نحن البشر الخطأة الضعفاء التسبيح ذا الثلاث تقديسات. "كم هي عظيمة هبات المسيح! فوق في السماء، تمجّده المراتب الملائكيّة. وأسفل، في الكنائس المقدّسة يرتل البشر مثل الملائكة. في السماء السرافيم يرتلون هذا التسبيح. وعلى الأرض، حشد المؤمنين داخل الكنائس يرفع النشيد نفسه. لقد التأم احتفال مشترك، احتفال السماويين والأرضيين، شكر واحد، بهجة واحدة، خدمة فرحة واحدة. هذا المحفل جمعه تنازل المسيح الذي لا يوصف، وضبطه الروح القدس. تجانس ألفاظ الخدمة بلغ كماله بإرادة الآب. تجانس نشائد هذا المحفل سماوي، يتحرّك كما لو بلمسة من الثالوث القدّوس، وترتل النعمة المغبطة الطرّبة، النشيد الملائكي، التوافق الذي لا ينقطع"^{٤٣٨}.

السماء والأرض يسيران معاً إلى المائدة المقدسة. الخليقة المنظورة وغير المنظورة التأمّت حول الربّ، وباتّفاق واحد، تحتفل معاً بمجّدة إياه.

الكاثدرا العالية

بالتسبيح ذي الثلاث تقديسات، يشترك الكاهن والمؤمنون مع الملائكة في تمجيد الله. الآن، الكاهن والشّمّاس بانتقالهما بين المذبح والكاثدرا العالية يشبهان الطغّمات الملائكيّة "التي بجناحين اثنين تطير" حول عرش الله وتمجّده "بتمجيدات لا تفتّر"^{٤٣٩}. هكذا إذا، ليس فقط بالتسبيح بل أيضاً بالحركة نعيش اشتراك السماء والأرض في الخدمة نفسها.

بانتقال الكاهن إلى المذبح، يمجد الربّ الآتي إلى عالمنا: "المبارك الآتي باسم الربّ". الربّ الآتي هو "مبارك وابن المبارك". نباركه ونمجّده، "ليس لأننا نقدّم له أمراً ما، بل لأننا نحن أنفسنا نجني أمراً عظيماً بقدومه إلينا"^{٤٤٠}.

نحن نقدّم للمسيح "كلمة صالحة"، أمّا هو فيهبنا لنا ذاته، فهو "الكلمة" و"الصلاح". من المذبح يذهب الكاهن إلى الكاثدرا العالية، أي إلى عرش الأسقف الموجود إلى شرق المائدة المقدسة. وعرش الأسقف يرمز إلى عرش الله^{٤٤١}. وهذا ما يشير إليه التمجيد الذي يرفعه الكاهن: "مبارك أنت على عرش مجد ملكك"، وهي عبارة واردة في نشيد الفتية الثلاثة. وفي الوقت عينه يتشبه الكاهن بالشرويم الذين يباركون الله: "مبارك مجد الربّ من مكانه"^{٤٤٢}.

والقدّاس الإلهي الذي يقام على الأرض هو صورة حيّة لذاك الذي يقام في السماء: "بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدّه من كلّ الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف. وجميع الملائكة... سجدوا لله قائلين: آمين. البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوّة لإلهنا إلى أبد الآبدين. آمين"^{٤٤٣}.

ثمّ يقول الشمّاس: لنصغ.
 والقارىء يقول استيخن البروكيمن.
 الشمّاس: حكمة.
 فيتلو القارىء عنوان الرسالة.
 الشمّاس: لنصغ.
 ثمّ يقرأ القارىء فصل الرسالة والشمّاس يبخر المائدة المقدّسة، الأيقونات
 والشعب من الباب الملوكي.
 وإذ ينتهي القارىء من قراءة فصل الرسائل يقول الكاهن: السلام لك أيّها
 القارىء.
 الشعب يرتّل: هليلويا (ثلاث مرّات).

✠ حضور المسيح الذي سبق الإنباء عنه

قبل قراءة فصل الرسالة، يقول القارىء البروكيمن، لأنّه يدخلنا إلى سرّ
 الكلمة^{٤٤}. يقول القدّيس جرمانوس إنّ البروكيمن يشير الى انكشاف الأسرار الإلهيّة
 والانباء السابق بحضور الملك، أي المسيح^{٤٥}؛ لذلك يُستخدم كبروكيمن،
 استيخونات من المزامير، لأنّها تحدّثنا عن عظم الله.

كان البروكيمن، فيما مضى، عبارة عن مزموّر بكامله يرتّله الشعب بالتناوب
 على شكل جوقين. ويقول القدّيس مكسيموس إنّ جمال هذه الأناشيد، كما هي
 الحال بالنسبة إلى كلّ الأناشيد في القدّاس الإلهي، تُظهر "عذوبة الخيرات الإلهيّة.
 عذوبة تدفع النفس نحو محبة الله البريئة والمغبوطة، وتثير كرهاً أعظم تجاه الخطيئة".
 والنفس ممتلئة بالعشق الإلهي "تنسى أتعاب الفضيلة التي تكبّدها، فهي أتعاب عابرة.
 أمّا تلك الخيرات الإلهيّة غير الفاسدة التي لم يحصل اقتناؤها بعد، فترغب فيها بشدّة
 وتطلبها بزخم شبابي"^{٤٦}.

الترتيل ينقي قلبنا وينير ذهننا لتقبل رسالة خلاصنا: "عندما يحمل لنا الترنيم تجانس استعدادتنا النفسية مع الخدمة التي ستجري بعد قليل وتوافقها مع أصوات الأناشيد الإلهية، فهذا يدفع بطبيعة الحال إلى التوافق مع الإلهيات، وإلى التوافق بيننا وبين الآخرين... ما يبدو لنا مقتضب وغير جلي تماماً في المزامير المرتلة، يصار إلى توضيحه بصور أجلى من خلال القراءات المستقاة من الكتاب المقدس^{٤٤٧}."

❖ قد رأينا مجده

كلّ الجزء الأول من القدّاس الإلهي يُلخّص بآية من إنجيل يوحنا: "الكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجدداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً"^{٤٤٨}.
بالقراءات الشريفة نعيش سرّ تجسّد الكلمة. وبالأنافورا المقدّسة تُخدم مقدمة الكلمة والإشتراك فيه.

ويقول البار نيقولاوس كاباسيلاس إنّ القراءات "تشير إلى ظهور الربّ كما حصلت رويداً رويداً منذ ظهوره الأوّل بين البشر. لأنّه في البدء يبرز الإنجيل الشريف مغلقاً (أي أثناء الدورة الصغرى). وهذا يشير إلى الظهور الأوّل للمسيح في العالم، حيث يظهره الآب صامتاً خلال هذه الفترة... أمّا القراءات الشريفة فتشكّل ظهوراً أكمل له... لذلك نقرأ ليس فقط الرسائل بل أيضاً الإنجيل نفسه"^{٤٤٩}.

القراءات الشريفة هي كلمة الله: إنها لاهوت. والأنافورا المقدّسة هي عمل محبة الله: إنها عمل إلهي. "هكذا إذاً، فالعمل الإلهي هو استعادة تامّة لللاهوت"^{٤٥٠}.
بالكلمة الإلهية وبالعمل الإلهي - بالليتورجيا الإلهية كلّها - نسمع المسيح، نشاهده، ونشارك بحياته الإلهية.

❖ سبّحوا الله

فرح المؤمنين بظهور كلمة الله، الصائرة بواسطة القراءات الإنجيلية، يعبر عنه بتسبيح: هللويا، أي ما معناه: سبّحوا الله. اللفظة نفسها وطريقة ترتيلها يعبران فعلاً عن الفرح. فرح بمجيء الربّ إلى اجتماع أولاده. يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس

إنّه "قبل ظهور الربّ لم يكن بمقدور الانسان أن يفرح، لأنّ المسيح وحده حمل إلينا الفرح. وإذا سبق لأحدهم أن فرح قبل مجيئه، فهذا سببه أنّه قد وُلج إلى سرّه (أي سرّ المسيح)، كما يقول الربّ نفسه: "ابراهيم تهلّل بأن يرى يومي فرأى وفرح" ^{٤٥١}.

الفرح الحقيقي حمّله المسيح إلى العالم، لأنّه هو وحده الفرح الحقيقي وبهجة الانسان. إنه "بهجة النفوس التي تولد في النفوس أثناء اجتماع المؤمنين" ^{٤٥٢}.

والمؤمنون، أمام المائدة المقدّسة، يعيشون حضور الربّ ويتهلّلون. كما بالضبط الطغيمات الملائكيّة، لأنها تمجّد الله على الدوام حول العرش الإلهي، "فهي في فرح دائم وحبور ليس من هذا العالم، وابتهاج لا ينقطع، تمجّد بأصوات لا تفتّر، تطرب وتبتهج" ^{٤٥٣}.

كما القدّيسون، كذلك نحن أيضاً نفرح بحضور "الفرح" إلى العالم، أي المسيح، ونرتل عفويّاً: "هليلويا، هليلويا، هليلويا" ^{٤٥٤}.

ويقول الشّماس: إلى الربّ نطلب. يا ربّ ارحم.

ويتلو الكاهن الافشين: أيّها السيّد المحبّ البشر. أشرق في قلوبنا النور الصافي نور معرفتك الإلهيّة، وافتح أعين ذهننا لفهم تعاليم إنجيلك. ضع فينا خشية وصاياك المغبوبة حتّى إذا وطئنا كلّ الشهوات الجسديّة، نسلك سلوكاً روحياً. فنفتكر بكلّ ما يرضيك ونعمله، لأنّك أنت إستنارة نفوسنا وأجسادنا أيّها المسيح الاله. ولك نرسل المجد مع أبيك الذي لا بدء له وروحك الكليّ قدسه، الصالح والصانع الحياة. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

✦ نور المعرفة الإلهيّة

الزمن الذي سبق تجسّد ربّنا كان زمناً تسوده الظلمة، بتجسّد المسيح أتى النور الحقيقي إلى العالم: "الكتاب المقدّس يدعو ليلاً عادة الزمن الذي سبق حضور المسيح

بالجسد... والذي أثناءه كانت الظلمة سائدة على الأرض. بينما يسمّى نهائياً، الزمن الذي تمّ فيه مجيء المسيح، الذي به استنرنا واقتبلنا في ذهننا النور الحقيقي، نور المعرفة الإلهية، وبتنا نشاهد بعيون أنفسنا شمس العدل^{٤٥٥}.

قبل قراءة الإنجيل الشريف، نطلب إلى الربّ نور المعرفة الإلهية، لأنه وهو شمس العدل، يمنحه لنفوسنا، كما يقول القديس غريغوريوس بالاماس: "المعرفة تسمّى نوراً لأنها تمنح من ذاك الضوء، كما يقول الرسول بولس: لأنّ الله الذي قال أن يشرق نور من الظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لأنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. ومثلها أقوال القديس ديونيسيوس: "ظهور النور العقلي يوحد الذين يقبلون النور ويجمعهم إلى معرفة حقيقية واحدة". أترى كيف أنّ نور المعرفة يُمنح بحضور نور النعمة ويعتقنا من عدم المعرفة التي تغلق علينا في انقساماتنا؟^{٤٥٦}.

المعرفة الحقيقية هي أولاً الحدث الذي به يتعرّف الله علينا كأخصاء له مشتركين في نعمته^{٤٥٧}، وهو ثانياً كلّ ما يكشفه الله من حقيقته ويعلنه لنا. بهذا الاعلان، ينير المسيح قلوبنا ويجمعنا حول الحياة (المسيح)، لأنّ المعرفة الإلهية تلد الحياة: "هذه هي بداية الحياة المغبوطة: معرفة حقيقية لله... كما بالضبط عدم معرفتنا لله أدخلت الموت منذ البدء". ويسأل القديس اسحق: "وما هي المعرفة؟"، ويجيب: "إنّها إحساس بالحياة التي لا تموت"^{٤٥٨}.

المعرفة الإلهية قوّة لاقتناء الحياة التي لا يعرفوها فساد، والحياة الأبدية هي معرفة الله^{٤٥٩}. ونحن نطلبهما كليهما في القدّاس الإلهي، لأنّهما يمنحان لنا هناك على شكل مأكل ومشرب. يقول النصّ الليتورجي القديم: "نشكرك أيّها الآب، لأجل الحياة والمعرفة، التي عرّفتنا بها بفتاك يسوع: لك المجد إلى الدهور"^{٤٦٠}. نشكرك لأجل الحياة والمعرفة التي صارت لنا، صارت ملكاً لنا بواسطة المسيح.

من علو الصليب المحيي، عود الحياة، فتح المسيح باب الفردوس وأدخلنا مجدداً إلى فرحه، إلى القدّاس الإلهي. هناك زرع عود المعرفة وعود الحياة وهناك يزهران.

* * *

وإذا أردنا الدخول إلى فرح الرب، أي إلى القدّاس الإلهي، لا بدّ لنا أن نطأ الشهوات الجسديّة. والانسان المحبّ لذاته يرفض دعوة الربّ للاشتراك في عشاء محبّته. لأنّه "عندما يجنح الذهن البشريّ نحو محبة اللذة، يغدو ضعيفاً، وغير قادر على القيام بعمل الله. الذهن المحبّ للذة العالميّة لا يسعه الاشتراك في العيد الإلهيّ السماويّ". ومن جهة أخرى "فالله الآب لا يمنح النجسين المواهب ليعرفوا المسيح تماماً، وحتى نعمة الروح القدس، لا يهبها لمن يضمّر الجنوح نحو ما لا يليق، لأنّه لا ينبغي أن يُسكب الطيب الثمين في الوحل" ٤٦١.

عندما نتنصر على الشهوات الجسديّة، يمكننا أن نتبع سيرة رويّة ونعرف الربّ المحبّ البشر: "ارتفعوا إلى السيرة (الرويّة)، اقتنوا الطهارة بالتنقية. أترغب في أن تصير لاهوتياً وأهلاً للألوهة؟ احفظ الوصايا، اسلك حسب ما أمر به، فإنّ الممارسة هي الباب المؤدّي إلى مشاهدة الله" ٤٦٢.

❖ لتقدّم إلى المسيح حاملين المصاييح

طلبنا من المسيح أن ينيّرنا بنور المعرفة الإلهيّة لأنّه هو استنارة نفوسنا وأجسادنا. وهذه الاستنارة - المسيح - يشير إليها نور المصاييح والقناديل التي نستعملها في القدّاس الإلهي وفي الخدم الأخرى.

استعمال النور في العبادة بشكل عام، ينبع من وصيّة الله لموسى: "أوص بني اسرائيل أن يقدّموا إليك زيت زيتون مرضوضاً نقياً للضوء لإيقاد السرج دائماً. خارج حجاب الشهادة في خيمة الاجتماع يرتبها هرون من المساء إلى الصباح أمام الربّ دائماً فريضة دهرية في أجيالكم" ٤٦٣.

استعمال النور في القدّاس الإلهيّ ابتداءً منذ العصر الرسولي. كتاب أعمال الرسل يحدثنا عن الرسول بولس لما قام بزيارة ترواس، كيف احتشد المسيحيّون يوم الأحد لإقامة القدّاس الإلهي، وأضاءوا مصاييح كثيرة في العليّة التي كانوا مجتمعين فيها ٤٦٤.

ويقول القديس نيقوديموس الآثوسي إننا نضيء المصابيح في الكنيسة لستة أسباب: "أولاً، لمجد الله، النور الحقيقي المنير كل إنسان. ثانياً، لطرد ظلمة الليل وللتعزية... ثالثاً، كعلامة فرح وعرفان بالجميل... رابعاً، لإكرام الشهداء والقديسين... خامساً، المصابيح المشتعلة... تعكس نور أعمالنا الصالحة... وسادساً، لغفران خطايا الذين قدّموا هذه المصابيح"^{٤٦٥}.

ويقول القديس سمعان اللاهوتي الحديث: "المصابيح التي تشعلها تظهر لك النور العقلي. لأنه كما أن الكنيسة تشعّ كلّها لكثرة المصابيح، كذلك أيضاً يجدر بيت نفسك الخاص، والذي هو أثمن من الكنيسة، أن يشعّ كلّ عقلياً... وكثرة القناديل المشتعلة تشير إلى الأفكار الصالحة التي ينبغي أن تشرق فيك فلا يبقى مكان للأفكار المظلمة في بيت نفسك الخاص، بل تكون كلّها مشتعلة وتشعّ بنور الروح القدس"^{٤٦٦}.

في الاجتماع الافخارستي يأتي الرب كختن في نصف ليل هذا العمر. وهو نفسه أعطانا وصية أن نتظره ومصابيحنا مشتعلة: "لتكن... سرجكم موقدة". وتحثنا كنيستنا المقدسة على استقبال الختن حاملين المصابيح لكي نعيد الفصح الشكري: "لنتقدّم حاملين المصابيح للمسيح البارز من الرمس، كأننا حاملوها إلى ختن، ولنعيدن مع المراتب المحبّي التعيد لفصح إلهنا الخلاصي"^{٤٦٧}.

الشمّاس: بارك يا سيّد المبشّر من بشارة القديس المجيد الرسول والانجيلي (متى أو مرقص أو لوقا أو يوحنا).

والكاهن يباركه قائلاً: أيّها المبشّر، ليمنحك الله كلمة بقوة كثيرة، لإتمام بشارة ابنه الحبيب ربنا يسوع المسيح. بشفاعات الرسول القديس المجيد الانجيلي (فلان).

الشمّاس: آمين، آمين، آمين. ليكن بحسب قولك.

❖ نشأته بأجلى بيان منهم

في الدورة الصغرى يرفع الكاهن الانجيل، مغطياً وجهه به، لكي يُظهر للمؤمنين وجه المسيح. والآن، بقراءة الانجيل الشريف، يقدّم فمه "الكلمة"، حتى يسمع المؤمنون "الكلمة". عوض الكاهن، يرى الناس المسيح، وعبر فمه، نسمع صوته (صوت المسيح).

يقول القدّيس جرمانوس، بطريرك القسطنطينية، أنّ "الإنجيل هو حضور ابن الله الذي به شُهد منا." ^{٤٦٨} بالإنجيل الشريف نشاهد المسيح في وسطنا. نسمعه يدعونا إلى مملكته. لما كنّا نشأته ونسمعه بحواس الإيمان، فإننا نشأته بأجلى بيان من أولئك الذين شأهوه بالجسد ولكن خلواً من إيمان.

كما أنّ جميع القدّيسين شأهوا ما لا يُرى وسمعوا ما لا ينطق به، فإن الذهبي الفم يؤكّد لنا أن الحواس الحقيقية الوحيدة هي حواس الإيمان. وفي تفسيره لقول المسيح: "طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع"، يكتب قائلاً: "لا يطوّب المسيح المشاهدة الخارجيّة، لأنها وحدها لا تستطيع أن تبصر العجائب، بل يطوّب المشاهدة الداخليّة. أبصر اليهود أعمى وقالوا: "هذا هو - إنه يشبهه - لندعُ ذويه". أسمع كيف يشكّون؟ بينما نحن ما كنّا حاضرين، إلّا أننا لا نقول: هذا هو، لا ليس هو، بل نؤكد: هذا هو. أفهمت كيف أنّ عدم الحضور لا يضرّ عند وجود عيون الإيمان، وأنّ الحضور لا يجدي عندما تغيب عيون الإيمان؟ لأنه ماذا انتفع اليهود لأنهم أبصروا؟ لا شيء البتّة. قد رأينا بأجلى بيان من اليهود". ويتابع: "لطالما لم تسمعوا أنتم في ذلك الحين (أنّ المسيح كان على الأرض)، فاسمعوا إذاً الآن، اسمعوا ليس أقلّ ممّا قيل في ذلك الحين" ^{٤٦٩}.

المؤمنون، وبشكل خاص أثناء القدّاس الإلهي، يسمعون المسيح ويتبعونه لأنهم "يعرفون صوته"، رغم مرور زمن طويل على ظهوره بالجسد. بحواس الإيمان، يعيش المؤمنون منذ الآن سرّ الدهر الآتي. "إذا كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكلّ قد صار جديداً" ^{٤٧٠}.

ويقف الكاهن عند الباب الملوكي ويقول: حكمة. فلننتصب ولنسمع قراءة
الانجيل المقدس. السلام لجميعكم.
الشعب: ولروحك.

❖ لرفعن أذهاننا فوق الأرضيات

ان انتصابنا كي نسمع الرب الذي يتحدث إلينا بالقراءة الشريفة، يعني أنه
يتوجب على الذهن أن يرتفع فوق الأرضيات كي يتمكن من فهم كلمة الله:
"لننتصب ولنسمع قراءة الانجيل المقدس". بكلام آخر، لرفعن أذهاننا مع أعمالنا فوق
الأرضيات، ولندركن الخيرات المعلنة لنا^{٤٧١}.

الكاهن، عندما يقول "الحكمة، لنتصب"، يحثنا "على التحادث مع الله، ليس
بفتور، بل بغيرة وتقوى حارة... لنظهرن بانتصاب الجسد وقوفاً علامة أولى للغيرة
والتقوى، لأن هذه هي وضعيّة المتضرّعين. هذه هي وضعيّة العبيد الذين ذهنهم
مشدود إلى إشارة من سادتهم لكي يسرعوا على الفور لخدمتهم... ونحن نقف
متضرّعين أمام الله نطلب الخيرات الأسمى^{٤٧٢}".

أما فتورنا وحمولنا فهي فرصة الشرير الكبرى ليسرق منا الخيرات التي تمنحنا
إياها القراءة الانجيليّة: "هذا الكنز الروحي لا ينضب، أعني به الكتاب المقدس،
وعندما يُحفظ الكتاب داخل حافظ الكنوز، أي داخل مستودع ذهننا، فإنه يغدو
بعيد المنال عن آية محاولة للتعرض له، إلا إذا وفرنا نحن الامكانيّة، بفتورنا وحمولنا،
لذاك الذي يريد أن يقتنصها منا. لأنّ عدونا، أي الشيطان الشرير، عندما يشاهد
كنزاً روحياً مجمّعاً، يستحوذ عليه الجنون، ويصرّ أسنانه ويسهر دون انقطاع كي يجد
فرصة مناسبة لاقتناصها وللإيقاع بنا. وما من فرصة سانحة له أكثر من حمولنا

وفتورنا. لهذا السبب علينا أن نكون صاحين على الدوام ونسد امامه كل المنافذ^{٤٧٣}.

والمكان الذي تقودنا إليه القراءة الشريفة هو مدينة الملكوت السماوي. الانجيل الذي نسمعه كل مرة هو دليلنا إلى هذه المدينة. فلندخل إليها باستعداد موافق، بسهر وصحو، لأنّ "هذه المدينة تتميز بطابعها الملكي وشدة لمعانها... لنفتحن إذا أبواب أذهاننا على مصراعيها، وبرهة عظيمة، إذ نحن على وشك أن نطأ عتبتها، فلنسجدنّ لملكها... عسانا ندخل مدينة الملكوت هذه بهدوء وسلام، لا بل بسكون سري^{٤٧٤}".

■ بصفاء قلب وارتياح ذهن من كل هم

يقول المتوشّح بالله القديس مكسيموس المعترف أنّ منح الكاهن السلام يشير إلى منح نعمة اللاهوى من الله إلى المؤمنين المجاهدين في سبيل الانعتاق من الأهواء. وهكذا، فعندما يتحرّر المجاهدون من حربهم المتواصلة ضد قوى الظلمة، يتمكنون من توجيه قوى نفوسهم نحو العمل الروحي، أعني به عمل الفضائل^{٤٧٥}.

المسيح - بيد الكاهن وفمه - يهب نفس المجاهد السلام الذي من فوق: "سلامي أعطيك"، "لأنّي سأكون معكم مجدداً حتّى عندما أغيب عنكم بالجسد... ستوف أرفعكم فوق كلّ ضوضاء... والقوة الإلهية ستشرق في أعماقكم، وعندما يصفو القلب ويرتاح الذهن من كلّ اهتمام، ترشدكم قوة الله إلى إعلان ما يفوق كلّ ذهن بشري^{٤٧٦}". وهذه القوة الإلهية التي تشرق في نفوسنا هي سلام الله الذي يقودنا في القدّاس الإلهي إلى فهم سرّ المحبة الإلهية.

* * *

"ولروحك": الشعب الذي يقبل بركة السلام من الكاهن يصلي لأجله، فهو الأب والراعي، وذلك كي يجني هو أيضاً سلام الله.

من جواب الشعب ندرك، أن ذهن الانسان يحتاج بشكل أساسي لسلام الله. لأنّ الضوضاء داخل النفوس، "لا تثيرها طبيعة الأمور، بل مرض الذهن". ويقول الذهبي الفم: "أطلب تلك السكينة التي في الذهن"، "وإذا جهّزنا ذهننا على هذا النحو، وصبرنا على كلّ الضيقات، فلن يكون عندنا لا شتاء قارس، ولا عاصفة هوجاء، لأنّه سيسود فينا على الدوام صفاء لا يعرفوه اضطراب"^{٤٧٧}.

الشماس: فصل من بشارة القديس (فلان) الانجيلي البشير.
الكاهن: لنصغ.

الشعب: المجد لك يا رب، المجد لك.
والشماس يقرأ المقطع الانجيلي المعين. ومتى انتهت قراءة الانجيل، يقول
الكاهن للشماس: السلام لك أيها المبشر.
الشعب: المجد لك يا رب، المجد لك.

❖ بشارة الملكوت

الكلمة التي تعلن للبشر سرّ التدبير الالهي تدعى بشارة. لأنّ هذه الكلمة هي البشارة السارة التي مفادها أنّ الله نزل إلى الأرض ليخلص الانسان: "هوذا أبشركم بفرح عظيم... أن قد ولد لكم اليوم مخلص، أعني به المسيح الرب". يسوع المسيح هو بشارة الانجيليين السارة: "هو بشارة (إنجيل) خلاصنا"^{٤٧٨}.

الانجيل هو كلمة عن الله الكلمة. ويتساءل الذهبي الفم: "ما الذي يساوي مثل هذه البشارات السارة؟ الله على الأرض، والانسان في السماء. الكلّ اتّحد. الملائكة باتوا في جوق واحد مع البشر، والبشر اشتركوا في حياة الملائكة وكلّ القوّات السماوية. صار بالامكان رؤية الحرب المستديمة وقد هدأت. الله تصالح مع البشر. الشيطان أخزي. الشياطين ولّت هاربة. الموت أبطل. الفردوس فتح. اللعنة أريدت. الخطيئة فرّت. الضلال طرد. الحقّ استعلن. كلمة التقوى زُرعت في كل مكان

وأعطت ثمرًا كثيرًا. حياة السماء غُرست على الأرض". لذلك يدعو الانجيلي "بشارة سارة" الحوادث التي تتعلق بحياة المسيح المختلفة الجوانب، لأنّ "كلّ ما تبقى ليس سوى كلمات فارغة من كلّ مضمون حقيقي... أما كرازة الصيادين، تلاميذ المسيح، فيمكن تسميتها، بالحقيقة وبكلّ معنى الكلمة، "بشارة سارة (إنجيلًا). ليس فقط لأنّها خيرات ثابتة وأرفع قدرًا منّا، بل لأنّها مُنحت لنا بكلّ سهولة. فنحن لم نتعب ولم نعرق... بل وُجدنا محبوبين من الله وأخذنا ما أخذنا" ٤٧٩.

يفتكر المؤمنون بكلّ هذه الخيرات، وحتى قبل أن تبدأ قراءة الانجيل، لذا هم يمجّدون الله بعرفان جميل: "المجد لك يا ربّ. المجد لك". والتمجيد نفسه يمهر نهاية القراءة.

* * *

ويقول القدّيس مكسيموس المعترف معلقاً على قراءة الانجيل بعلاقته مع المجيء الثاني للمسيح ٤٨٠: "إنّه" يشير إلى نهاية العالم، لأنّه بعد قراءة الانجيل المقدّس، ينزل رئيس الكهنة عن العرش، ويصار إلى صرف الموعوظين مع كلّ من لا يستحقّ متابعة الأسرار التي تُجرى إقامتها. وقراءة الانجيل تشير من نفسها إلى حقيقة نهاية العالم وترمز إليه على نحو مسبق... كما لو أنّها، بعد أن تمت كرازة المسكونة قاطبة ببشارة الملكوت، تهتف: "ثمّ يأتي المنتهى" ٤٨١.

أثناء الاجتماع الافخارستي، ينزل المسيح بمجد "كما يشير الى ذلك نزول رئيس الكهنة عن العرش" ٤٨٢. وبصرف الموعوظين وغير المستحقّين للاشتراك في السرّ، تتبلور أمامنا صورة مسبقة عن الدينونة الرهيبة. السرّ المقدّس الذي تُجرى خدمته في ما يلي هو تذوّق مسبق للملكوت وللفرح الأبديّ، فرح المؤمنين الذين يشتركون في عشائه "بأجلى بيان".



الطلبة الالبتهاليّة الكبرى والدرخول الكبير

ويقول الشمّاس "الأكتاني"، وعلى كلّ طلبة منها يقول الشعب: يا ربّ ارحم (ثلاثاً).

لنقل جميعنا من كلّ نفوسنا ومن كلّ نياتنا لنقل.
أيّها الربّ الضابط الكلّ إله آبائنا، نطلب إليك فاستجب وارحم.
ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك. نطلب إليك فاستجب وارحم.
وأيضاً نطلب من أجل المسيحيّين الحسني العبادة الأورثوذكسيّين.
وأيضاً نطلب من أجل رئيس كهنتنا (فلان).
وأيضاً نطلب من أجل إخوتنا الكهنة والشمّامسة والرهبان وكلّ إخوتنا في المسيح.
وأيضاً نطلب من أجل الرحمة والحياة والسلام والعافية والخلّاص لعبيد الله جميع
المسيحيّين الحسني العبادة الأورثوذكسيّين الساكنين والموجودين في هذه المدينة
والمجتمعين في هذه الكنيسة المقدّسة ووكلائها والمحسنين إليها وافتقادهم ومساحتهم
وغفران خطاياهم.
وأيضاً نطلب من أجل المطوّبين الدائمي الذكر الذين عمّروا هذا الهيكل المقدّس،
ومن أجل جميع السابق رقادهم من آبائنا وإخوتنا الأورثوذكسيّين، الموضوعين ههنا
وفي كلّ مكان.
وأيضاً نطلب من أجل الذين يقدّمون الأثمار والذين يصنعون الاحسان في هذا الهيكل
المقدّس الكلّي الوقار، والذين يتعبون ويرتلون فيه. ومن أجل الشعب الواقف، المنتظر
من لدنك عظم غنى الرحمة.
الكاهن (سرّاً): أيّها الربّ إلهنا تقبّل من عبيدك هذه الطلبة الالبتهاليّة، وارحمنا
ككثرة رحمتك. وأرسل رأفتك علينا وعلى كلّ شعبك المنتظر منك غنى الرحمة.
ثم يعلن: لأنك إله رحوم ومحبّ للبشر ولك نرسل المجد، أيّها الآب والابن والروح
القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.
الشعب: آمين.

❖ الربّ رؤوف ومحبّ للبشر

سلسلة الطلبات هذه تُعرف بالطلبة الابتهالية الكبرى^{٤٨٣}. نركض إلى المسيح ونطلب رحمته على الدوام، تماماً كما فعلت المرأة الكنعانية: "ارحمي، لم أفعل شيئاً في حياتي لأتبعجّ به. وليس لي سيرة افتخر بها. لذا ألتجئ إلى رحمتك، إلى الميناء الذي يقبل جميع الخطاة، ألتجئ إلى الرحمة حيث ليس من محكمة، وحيث يُمنح الخلاص دون مراقبة". وإذا لم نسمع جواب المسيح على طلباتنا، إذا كان حضورنا يسبب إزعاجاً لتلاميذه، فإننا بقلوبنا الجاثية أمامه نتابع قائلين: "يا ربّ ارحم". ويقول الذهبيّ الفم: "انتبه إلى طريقة المرأة، فهي لم تتوسّل إلى يعقوب، ولا طلبت شفاعة يوحنا، ولا تقدّمت إلى بطرس... لا حاجة إلى وسيط. فهي تقول: آخذ محامياً عني التوبة وأذهب إلى النبع نفسه. لهذا نزل المسيح إلى الأرض، لهذا أخذ جسداً، وذلك لكي أستطيع أنا أيضاً أن أتحدّث معه. ارحمني. كلمة واحدة فقط وجدت بحر خلاص لا ينتهي. ارحمني. لهذا أتيت إلينا، لهذا أخذت جسداً مثالنا، لهذا صرت مثلي. هناك فوق في السماء رهبة، وهنا على الأرض دالة"^{٤٨٤}.

أتى المسيح إلى الأرض ليرحمنا. سرّ قدومه إلى الأرض يدعى «رحمة» و«حق». فهو «رحمة» لأنه، بينما نحن في حالة شقاوتنا، نعاديّه ونحاربه، لم يردّلنا لكثرة صلاحه ومحبه للبشر. لم يشاركنا فقط مصيبتنا... بل أنهضنا أيضاً من تلك السقطة الرهيبة وأهلّنا لملكوته... لهذه الأسباب يدعو مرّهم المزامير سرّ التدبير الإلهي «رحمة». وهو يدعو أيضاً «حق»، لأنه في زمن العهد القديم كانت الأشياء تشير إلى هذا السرّ على شكل ظلال ورموز^{٤٨٥}.

المسيح هو "جبّ الرحمة". ونلتجئ إليه إذ يعتمرنا اليقين أننا سنلقى رحمة، "لأنّ من الربّ الرحمة". المسيح هو "كنز محبة البشر ونبعه الفائض على الدوام". هو "بحر محبة البشر الذي لا يعرف نهاية"^{٤٨٦}.

وبحر المحبة الإلهية فتح للبشر السموات من جديد، وجعل القدّاس الإلهي كدخول إلى السموات. وطالما تقام خدمة السرّ الشكريّ، يبقى الدخول إلى الملكوت

مفتوحاً". و"الرب يحبّ البشر كثيراً ويطلب عودتنا اليه برأفة"^{٤٨٧}. "القويّ في الرحمة والصالح في القوة" ينتظرنا لنتلقيه ونطلب رحمته: وهو يهب ذاته لكلّ واحد منّا، "فقد تجسّد واتّحد بكلّيته بالانسان كلّهُ، وذلك ليمنح الانسان الخلاص"^{٤٨٨}.

✠ يا ربّ ارحم

وعلى كلّ طلبة من الطلبات التي يوجّهها الكاهن إلى الله، يجيب المؤمنون مرتّلين ثلاثاً: يا ربّ ارحم. ويقول البار نيقولاوس كاباسيلاس إنّ من يطلب رحمة الربّ إنّما يطلب ملكوته، الذي وعد المسيح أنّه سيعطيه لكلّ الذين يسألونه وإنّه سيضيف إلى ذلك كلّ حاجة أخرى. لذلك يكتفي المؤمنون بهذا التضرّع لأنّه يشمل جميع هذه الأمور في آن"^{٤٨٩}.

"يا ربّ ارحم": هذه طلبة المحكوم عليهم الذين إذ فقدوا كلّ احتجاج وليس عندهم ما يتبرّرون به، يرفعون هذا الصوت الأخير أمام القاضي. ينتظرون أن يبلغوا إلى سؤالهم، ليس لعدالة مستوجبة، بل بسبب رأفة القاضي. وبفعلتهم هذه يبرهنون عن صلاح القاضي العظيم وعن شرّهم الخاصّ. بهذين الفعلين، يميّز المرء في الأوّل فعل شكر، وفي الثاني فعل اعتراف:

"يا سيّد، أنت عالم بشأني أني لم أعتمد على أعمالي وأفعالي في سبيل خلاص نفسي، بل التجأت إلى كنف رأفتك، يا محبّ البشر، وأنا واثق أنك ستخلّصني مجاناً، يا كثير الرأفة، وسترحمني كياله كما رحمت المرأة الزانية قديماً، والابن الضالّ أيضاً عندما قال: "قد أخطأت".

هكذا هرعتُ إليك بهذا الايمان، وأتيتُ إليك بهذه الثقة"^{٤٩٠}.



الشّمّاس: صلّوا أيّها الموعوظون للربّ.
 الشعب يجيب على كلّ طلبة: يا ربّ ارحم.
 الشّمّاس: أيّها المؤمنون من أجل الموعوظين نطلب.
 لكي يرحمهم الربّ،
 ويعظّمهم بكلمة الحقّ،
 ويعلن لهم بشارة العدل،
 ويتحدّهم بكنيستهم المقدّسة الجامعة الرسوليّة.
 خلّص وارحم واعضد واحفظهم يا الله بنعمتك.
 أيّها الموعوظون احنوا رؤوسكم للربّ.
 الشعب: لك يا ربّ.

والكاهن يتلو الافشين: أيّها الربّ إلهنا، الساكن في الأعالي، والناظر ما هو أسفل. يا من أرسلت ابنك الوحيد ربّنا يسوع المسيح خلاصاً لجنس البشر. أنظر إلى عبيدك الموعوظين الذين أحنوا لك أعناقهم. وأهلّهم في الوقت الملائم لحمام إعادة الولادة، ولغفران الخطايا، ولسرّبال عدم الفساد، واجعلهم متّحدين بكنيستك المقدّسة الجامعة الرسوليّة، وأحصهم في رعيتك المختارة.
 ويعلن: لكي يمجّدوا هم أيضاً معنا اسمك الكليّ الاكرام، والعظيم الجلال، أيّها الأب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين،
 الشعب: آمين.

■ الموعوظون

هناك دائماً "موعوظون" في كنيستنا المقدّسة: إنهم أولئك الذين سمعوا عن المسيح وعبروا عن رغبتهم في أن يعتمدوا على اسم الثالوث القدّوس. في الفترة السابقة للمعموديّة، تهيّء الكنيسة الموعوظين، من خلال تعليم مناسب، وذلك كي يصيروا أعضاء فيها. وهذا التعليم يسمّى وعظاً، والذي يقوم به يسمّى الواعظ.

في العصر الرسولي، كان هذا التعليم مقتضياً: كان عادة عبارة عن حديث واحد فقط (على سبيل المثال: كرازة بطرس الرسول يوم العنصرة، تعليم فيلبس الرسول للخصي، وزير كنداكة ملكة الحبشة، إلخ...). أمّا الوعظ المنهجي للمستنيرين فكان يحصل في تلك الفترة بعد حصول المعمودية.

أمّا في الأزمنة اللاحقة، فكانت تلك الفترة التعليمية تستغرق مدة أطول. و"الأوامر الرسولية" تتحدث عن مدة ثلاث سنوات، والتي يمكن اختصارها إذا أظهر الموعوظ غير خاصة^{٩١}؛ و"التقليد الرسولي" لهيوليتس أسقف رومية يشير إلى المدة عينها، كما ويأتي على ذكرها القديس غريغوريوس اللاهوتي^{٩٢}.

وعندما يبدي الموعوظون غير على كلمة الحق، ويتعهدون العيش وفقاً لهذا التعليم "يقودهم المؤمنون إلى مكان فيه ماء وتُعاد ولادتهم (أي يعتمدون) بالطريقة نفسها التي تمت بها إعادة ولادتنا"^{٩٣}.

ليس عند الموعوظين بعد دالة عند الله انما يحتاجون إلى عضدنا ومحبتنا. لأجل ذلك يحثنا الكاهن على الصلاة من أجلهم. الكنيسة الوادة التحنن، على حدّ تعبير الذهبي الفم، "تستنهض محفل المؤمنين بكلّيته للصلاة من أجل الموعوظين، ولو أنّ هؤلاء ما يزالون غرباء لم ينتموا بعد إلى جسد المسيح ولم يتناولوا الأسرار الطاهرة، ولا يزالون منفصلين عن القطيع الروحي... هم يقفون في الساحات الملكية، بعيداً عن الأماكن الشريفة، لذلك يتم إبعادهم إلى أن يحين وقت تلك الصلوات الرهيبة. لذلك هم يترجّونك أنت أن تصلي لأجلهم كيما يصيروا أعضاء اخصاء بك، كي لا يبقوا غرباء ومنفصلين"^{٩٤}.

لنطلب إلى المسيح أن يرحم عبيده الموعوظين، أن يعلمهم بنفسه، بلسان الواعظ، "كلمة الحق"، أن يكشف لهم "بشارة العدل"، أي نفسه، وأن يجعلهم أعضاء كنيسة المقدسة. ينبغي أن تتم هذه الأمور عندما يحين الوقت المناسب لإعادة ولادتهم الروحية: "في الوقت الملائم".

لا ينبغي على كلّ حال أن يؤجّل الموعوظ وقت المعموديّة عن إهمال أو عدم اهتمام، لذلك تدعوه الكنيسة بفيض من المحبة: "خارج الفردوس أنت أيّها الموعوظ، تشارك الجدّ آدم نفيه. أمّا الآن، وقد فُتح الباب، فهلمّ ادخل إلى حيث كنت، ولا تتأخّر، لربّما يجدك الموت فيقطع عليك دخولك". "إخلع الانسان العتيق، الرداء الدنس المملوء عاراً. تقبّل رداء عدم الفساد الذي منحه المسيح لك كي ترتديه: لا تتجاهل الهبة لكي لا تهين الواهب"^{٤٩٥}.

يجدر بالموعوظين أن يستنبروا وتُعاد ولادتهم بالمعمودية المقدسة. وتدعوهم كنيستنا المقدسة إلى ولوج باب الحياة الحقّة.

الشّمّاس: يا جميع الموعوظين اخرجوا. أيّها الموعوظون اخرجوا. يا جميع الموعوظين اخرجوا. لا أحد من الموعوظين، بل يا جميع المؤمنين أيضاً وأيضاً بسلام إلى الربّ نطلب. أعضد وخلص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك. حكمة.

❖ صرف الموعوظين

يُصرف الموعوظون: إنّهُ فعل محبة من الكنيسة لتحمي الذين لم يولدوا بعد بالمسيح.

الموعوظون هم كالأجنّة الذين يُحبل بهم داخل جماعة المؤمنين. من خلال الوعظ يتكوّنون شيئاً فشيئاً، ويأخذون شكلاً وهيئة. يتغذّون داخل أحشاء الكنيسة المقدّسة ويسيروا نحو "يوم الولادة الإلهي". أمّا الآن فلم يولدوا بعد. ليس بمقدورهم أن يحدّقوا بالنور الحقيقي لأنّهم لم يلبسوا بعد الرداء النورانيّ أعني به المسيح.

في هذه المرحلة من مسيرة الموعوظين الروحيّة، تغذّيهم كنيستنا المقدّسة - وهي أمّ حكيمة، مملوءة حناناً - بطعام سهل الهضم: "تسمح لهم بالاستماع إلى ألحان المزامير الشريفة والقراءة الالهية من الكتاب المقدّس. لكنّها لا تقبلهم في ما ستجرى خدمته لاحقاً في القدّاس الالهي"^{٤٩٦}.

لا يستطيع أن يشترك في الحياة كلّ من لم يشترك في الحقّ. لا يلج إلى شركة الروح القدس من لم يشترك في اتّحاد الايمان. "الحياة المشتركة - كأس "الحياة" المشتركة - يفترض قبلاً إيماناً مشتركاً: "إيماننا متفق الصوت في الشكر، والشكر يسند الايمان المستقيم هو شرط ضروريّ لإتمام السرّ الشكريّ؛" يجب أن تتمّ تقدمتنا إلى الله بمعتقد طاهر (أي الايمان)... برجاء أكيد، بمحبّة حارة"^{٤٩٧}.

* * *

في القدّاس الالهيّ، نرتفع نحن المؤمنين، إلى الأعالي، ومصعدنا إلى المسيح "هو الصليب، بواسطة حبال الروح القدس". أمّا إيماننا فهو الذي يلج بنا، أمّا المحبّة فهي الطريق التي تؤدّي إلى الله"^{٤٩٨}. لم يؤهل الموعوظون بعد ليمسكوا بالحبل - أي الروح القدس - وهو يرفع الانسان إلى علوّ جبل ثابور، ولم يقتنوا بعد القوّة - أي الايمان - وهي قوّة ضروريّة ليجرّأوا على الصعود. لذلك باب المحبّة - الطريق المؤدّي إلى الله - لا يزال موصداً أمامهم.

التقدمة المقدّسة هي صورة مسبقة عن عشاء الملكوت. كلّ من لم يرتد لباس العرس، الذي يوهب بالمعموديّة، يُبعد عن المكان حيث تتمّ خدمة سرّ الشكر. ويبقى لاستقبال المسيح أولئك الذين يقيم فيهم الروح القدس - هؤلاء سيكونون الجلساء في عشاء عرس الملكوت وسيفرحون بمعاينة الله وبالاشتراك في الأسرار الالهية.

ويفتح الكاهن الأنديميسي ويقول إفشين المؤمنين الأوّل:

نشكر آيها الربّ إله القوّات الذي أهّلنا أن نمثّل الآن أيضاً لدى مذبحك المقدّس. وأن نجثو لرأفاتك من أجل خطايانا وخطايا الشعب. فتقبّل يا الله طلبتنا. واجعلنا أهلاً لأنّ نقدّم لك طلبات وتضرّعات وذبائح غير دمويّة من أجل كلّ شعبك. واجعلنا أهلاً نحن الذين وضعنا في خدمتك هذه بقوة روحك القدّوس، لأنّ ندعوك في كلّ وقت ومكان بلا دينونة وبلا عثرة، وبشاهد نقيّ لضمائرنا، لكي تستمعنا وتكون لنا متعطّفاً بكثرة صلاحك.

ثم يعلن: لأنّه ينبغي لك كلّ تمجيد وإكرام وسجود، آيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.
الشعب: آمين.

■ واجعلنا كفوءاً

يشكر الكاهن الربّ لأنّه جعله كفوءاً أن يلتجئ إلى رأفاته، لأجل خطاياه وخطايا الشعب. ثمّ يطلب إلى الربّ أن يجعله أهلاً ليقدّم الذبيحة الشكريّة.

طهارة الكاهن شرط يمكنه من خدمة الأسرار الرهيبة بلا دينونة. و"مطلوب من الكاهن ان يقتني الطهارة وان تكون طريقة حياته طريقة حياة ملائكيّة"، كما يقول البار ثيوغنستوس. "لا ينبغي خلط النور بالظلمة، ولا الطيب بالرائحة الكريهة، لأنّ الأمر يتعلّق بوراثته الويل (أي النواح الأبدية) والهلاك كمتعدّد على المحرمات". ويقول الذهبي الفم: إنّهُ يجدر بنفس الكاهن أن تكون أكثر طهارة من الأشعة الشمسيّة: "فكر في الأيادي التي تخدم هذه الأسرار، وفي اللسان الذي يلفظ مثل تلك الكلمات. فكم يجب أن تكون هذه النفس أقدس وأطهر من أي نفس، أعني بها النفس التي نالت سرّ الكهنوت بواسطة نعمة الروح القدس"^{٤٩٩}.

ولكن ما يجعل الكاهن في النهاية كفوءاً لخدمة الأنافورا المقدسة إنما هو "حبّ التواضع": "ضع نفسك كما لو كنت خروفاً معداً للذبح، معتبراً الجميع أفضل منك فعلاً". "اعتبر نفسك تراباً ورماداً"٥٠٠.

بالتواضع يدرك الكاهن أنه أمام المائدة المقدسة في موقع المسيح. وكما كهن الرب في العشاء السريّ خلاص العالم، هكذا اليوم أيضاً في القدّاس الالهّي "فهو الذي يعمل كلّ شيء ويعطي كلّ شيء"٥٠١.

"الآمين" التي ينشدها المؤمنون في نهاية إفشين المؤمنين الأول تعني أنهم، هم أيضاً مع الكاهن يشعرون بسموّ الخدمة الكهنوتيّة. لذلك فإن الشعب، الواقف خارج الهيكل المقدّس "يشعر مع الكاهن ويشترك معه في الصلاة"٥٠٢.

"الآمين" هي عضد المؤمنين الأخويّ في جهاد الكاهن و"محتته".

الشمّاس: أيضاً وأيضاً بسلام إلى الربّ نطلب.

أعضد وخلّص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك. حكمة.

ويتلو الكاهن إفشين المؤمنين الثاني:

"أيضاً ومراراً كثيرة نجثو لك. ونتضرّع إليك أيّها الصالح والمحّبّ البشر، لكي تنظر إلى طلبتنا وتنقي نفوسنا وأجسادنا من كلّ دنس بشرة وروح. وتمنحنا الوقوف أمام مذبحك المقدّس غير ملومين ولا مدانين. وهب اللهمّ الذين يصلّون معنا أيضاً النجاح في المعيشة والايّمان والفهم الروحي. أعطهم في كلّ حين أن يعبدوك بخوف ومحبة بلا لوم، ويشتركوا في أسرارك المقدّسة بلا دينونة ويستحقّوا ملكوتك السماويّ.

ويعلن: حتّى إذا كنّا محفوظين من عزّتك كلّ حين. نرسل لك المجد أيّها الآب

والابن والروح القدس. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

✠ أن تنقّينا من كلّ دنس بشرة وروح

أيضاً ومراراً كثيرة نجثو لك: نجثو لدى أقدام الربّ ونشعر أننا في المقام الصحيح، لأننا لا نستند على أقدامنا الضعيفة (الاعتقاد بالذات والكبرياء)، بل على نعمته التي يقودنا إليها التواضع والانسحاق. عندما، "أيضاً ومراراً كثيرة"، نجثو أمام الربّ، فإننا نقف بلا دينونة لدى مائدته الرهيبة. نجثو إذاً لذلك الذي جثا أولاً عند أقدامنا ليغسلها من دنس الخطيئة، حتّى نستطيع الوقوف، "بلا لوم ولا دينونة" عند مائدته المقدّسة.

نجثو لدى المسيح طالين "النجاح في المعيشة والايمان والفهم الروحي"، لنذكر أنّ الذي يعيش حقّاً في التواضع (جاثياً)، يكون في نعمة حضوره الدائم، حضوره هو.

* * *

وبينما تقترب لحظة تقديس القدسات والمناولة المقدّسة، نشعر أنه علينا أن نكون كثيري الطهارة لنقبل المسيح. لأنّه ليس من الممكن أن نخدم بالجسد نفسه المسيح والشيطان بأن معاً. ألا تخشى أيّها الانسان، يقول الذهبي الفم، "ألا تخشى، أن تشاهد، بنفس العينين، السرير الموضوع على المسرح حيث تتمّ أعمال الزنى، وأيضاً هذه المائدة الشريفة التي تتمّ عليها الأسرار الرهيبة؟ بالأذنين تسمع أقوال الزانية البذيئة، وأيضاً النبيّ والرسول الذي يعلم الأسرار؟ بالقلب نفسه تقبل تلك السموم المميّنة وأيضاً الذبيحة المقدّسة الرهيبة" ٥٠٣.

علينا حقّاً أن نجاهد لنحافظ على نقاوة النفس والجسد: "طالما أنك تفكّر بعظم الذبيحة، إعمل كي تكون أعضاء جسدك بهيّة. فكّر في من تقبل يدك" ٥٠٤، ولا ترفعها البتّة لتضرب أحداً. فكّر أنك لا تقبل المسيح بيدك فقط، بل اقترب منه بفمك، واحفظ لسانك نقياً من كلّ كلام بذيء وسباب وتجديف وأقسام واهية وما إلى ذلك... وعندما تفكّر أنّ قلبك يتقبّل ذلك السرّ الرهيب، فلا تضر السوء على الإطلاق لقريبك، بل حافظ على قلبك نقياً من كلّ خبث. وهكذا يكون بمقدورك

أن تحافظ على العيون والآذان... قد دعيت إلى عرس أيها الحبيب، فلا تدخل إلى ردهة العرس بثياب رجسة، بل ارتدِ الحلة المناسبة^{٥٠٥}.

وحلة العرس، هي الاستعداد الروحي المناسب، على حدّ تعبير الآباء، انها هبة العريس الختن الذي يدعوننا إلى عشاءه. ونحن نطلب إليه بالحاح أن يجعلنا أهلاً لنحافظ عليه نقياً "من كل دنس بشرة وروح".

ثم يبدأ ترتيل التسييح الشروبيمي^{٥٠٦}: أيها الممثلون الشروبيمي سرّياً والمرنمون التسييح المثلث تقديسه للثالوث المحيي لنطرح عنا الآن كل اهتمام دنيوي لكوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل محفوفاً من المراتب الملائكية. هلولوا.

✦ التسييح الشروبيمي

يتألف "الدخول الكبير" من سلسلة تسابيح وصلوات وممارسات يقوم بها الكاهن والشعب. يبدأ الشعب بترتيل التسييح الشروبيمي بينما يقوم الكاهن بتلاوة الافشين المرتبط بهذا التسييح.

وتدعوننا الكنيسة إلى الاستعداد لاستقبال ملك المجد الآتي إلى المدينة المقدسة. تدعوننا للاستعداد لنسير معه في طريق الشهادة فنقف قربة عند الصليب مع أمه الكلية القداسة والتلميذ "الذي أحبه".

فلنطرح عنا الآن، كما يقول التسييح، كل اهتمام دنيوي لأننا عازمون أن نستقبل ملك الكل. فلنسرع خطانا من عالم المشاغل المعيشية واهتماماتها، لكي "ندخل" إلى مكان حضور المسيح: "لقد خرج المجوس من بلاد فارس وأتوا ليسجدوا للمسيح. ابتعد أنت أيضاً عن الاهتمامات الدنيوية وأسرع نحو المسيح"، يقول لنا الذهبي الفم^{٥٠٧}.

وفي مكان آخر، يشير علينا بالقوّة الروحيّة التي سنرتفع بها فوق كلّ أمر عابر ومنظور: إنّها محبة الله. "إذا ما التهب أحدهم في داخله بمحبة الله، فإنّه لا يحتمل بعد ما يقع تحت ناظريه الحسيّين. بل، إذ قد اكتسب ناظرين آخرين، أقصد عين الايمان، فهو على الدوام مستغرق في الأمور السماويّة وإليها ينجذب فكره. وبينما يسير على الأرض، يبدو وكأنّه يعيش في السماء، وهو في كلّ شيء يفعل ويتصرّف على هذا النحو... وإذ يحدوه الشوق أن يرتفع من الأرض إلى السماء، يتخلّى عمّا هو منظور، حتى يكون بمقدوره الصعود إلى القمة نفسها"^{٥٠٨}.

نفقد صبرنا لكثرة ما نرغب البلوغ إلى قمة الجلجثة لنعيد عيد المسيح. لذلك تخلّينا عن الاهتمامات المختلفة: "لأنّ هذا هو العيد الحقيقي، حيث خلاص النفوس، وحيث السلام والوئام، حيث انتفى كلّ ما هو عالميّ. هناك هو العيد حيث لا يركض الطّباخون ولا تذبح حيوانات، بل يسود سكون وهدوء وصفاء وفرح وسلام ووداعة وخيرات لا تحصى عوض الاهتمامات الدنيويّة"^{٥٠٩}.

ونستودع في يديّ المسيح كلّ همّ معيشيٍّ أو بالأحرى نستودعه كلّ حياتنا. وهو يرفع حملنا ويصعد إلى الجلجثة. هو الذي يهتمّ لحاجات حياتنا: "إذا جعلتم كلّ همّكم في اقتناء ملكوت السموات، يقول لنا الربّ على لسان القدّيس اسحق، فإنّي لن أحرّمكم ضرورات وحاجات الطبيعة المنظورة"^{٥١٠}.

ويقول الذهبيّ الفم: "إنّ النفس التي لم تتعلّم أن تزدري الصغائر والهموم المعيشيّة، ليس باستطاعتها أن تتأمّل السماويّات وتعجب بها". ويحثّنا أولئك الذين تذوّقوا نعمة السماويّات بالقول: يا إخوة، "لا يدخل أحدكم إلى الكنيسة محملاً باهتمامات دنيويّة، ومخاوف وقلق. ولكن إذ قد وضعنا هذه كلّها خارجاً، عند باب الكنيسة، فلندخل جميعنا، فإننا ندخل إلى البلاط السماويّ، ونطأ أماكن كليّة الضياء"^{٥١١}.

إلى مثل هذه الأماكن نقل الأب تيخون ملاكّه الحارس ساعة التسبيح الشروبيمي. كان هذا الكاهن الروسيّ يقول بالقليل من اليونانيّة التي عرفها: "ساعة

التسبيح الشروبيمي، ملاك حارس يرفعني، وبعد نصف ساعة ملاك حارس آخر ينزلي. عندئذ ينتبهه رجل الله القدّيس أنه يقيم القدّاس الالهّي، وأنّ عليه أن يتابعه: "ما هذا، أنا أقيم القدّاس الالهّي!" وكان يتابع القدّاس، وكانوا يسألونه: "أيها الشيخ، ماذا رأيت وسمعت في نصف الساعة تلك؟" فيجيب: "شروبيم وسرافيم يسبّحون الله".

يدخل الربّ إلى المدينة المقدّسة ليذبح "مخفوفاً" من المراتب الملائكية. والكنيسة تدعونا إلى إجلال هذا السرّ الساميّ، سرّ محبة المسيح، بصمت: "ليصمت كلّ ذي جسد بشريّ. وليقف بخوف ورعدة، فلا يفتكر في نفسه فكراً أرضياً، فإنّ ملك الملوك وربّ الأرباب يوافي ليذبح ويعطى ما كلاً للمؤمنين. وتتقدّمه صفوف الملائكة وكلّ الرئاسات والسلطات والشروبيم الكثيرون والعيون والسرّافيم ذوو الستة الأجنحة وهم يحجبون وجوههم ويهتفون مرّنين بالتسبيحة: هلّويا" ٥١٢.

ويقول الكاهن إفشين الشروبيميكون:

ليس أحد من المرتبطين بالشهوات واللذات الجسدانية مستحقاً أن يتقدّم إليك أو يدنو منك أو يخدمك يا ملك المجد. لأنّ الخدمة لك عظيمة ورهيبة عند القوّات السماوية نفسها أيضاً. لكنك لأجل محبتك للبشر غير الموصوفة وغير المحدودة صرت إنساناً بلا استحالة ولا تغير وحصلت لنا رئيس كهنة. وبما أنك سيّد الكلّ سلّمتنا خدمة هذه الذبيحة الكهنوتية غير الدموية، لأنك أيها الربّ إلهنا أنت وحدك تسود السماويين والأرضيين. الراكب على كرسي الشروبيم، وربّ السرافيم، وملك اسرائيل القدّوس وحدك والمستريح في القدّيسين، فإليك إذا أتضرّع أيها الصالح والسميع الحسن وحدك. أنظر إليّ أنا عبدك الخاطيء والبطال. وطهر نفسي وقلبي من الضمير الرديء. واجعلني كفوءاً بقوة روحك القدّوس إذ أنا لابس نعمة الكهنوت أن أقف لدى مائدتك هذه المقدّسة. وأخدم جسدك المقدّس الطاهر ودمك الكريم لأنني إليك أتقدّم حانياً عنقي وأطلب منك فلا تصرف وجهك عني ولا ترذلني من بين عبيدك. لكن ارتض أن تقدّم لك هذه القرايين مني أنا عبدك الخاطيء وغير المستحقّ، لأنك أنت المقرّب والمقرّب، والقابل والموزّع أيها المسيح إلهنا، ولك نرسل المجد، مع أهلك الذي لا بدء له وروحك الكليّ قدسه، الصالح والصانع الحياة، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين. آمين.

❖ هو كلّ شيء في كلّ شيء لأجلنا

بينما يستعدّ المؤمنون "للدخول الكبير" ولذبيحة المسيح، يتهيأ أيضاً خدام السرّ من خلال سلسلة أفاشين وممارسات.

أولاً إفشين التسبيح الشروبيمي. من خلاله يقرّ الكاهن ويعترف بعدم استحقاقه وبعظمة السرّ الالهي المدعو إلى خدمته. لكنّه يتقدّم نحو المائدة بالضبط لأنّه لا يتكل على قواه الخاصّة، بل على الرحمة الالهية. يعتمد على بحر المحبة الالهية للبشر، لأنّ الله، لمحبتّه للبشر، صار إنساناً، ومحبتّه للبشر، وهبتنا هذا السرّ، سرّ خدمة الذبيحة غير الدمويّة. ولم يأت المسيح فقط مرّة، وإلى الأبد، ليقدم ذاته، لكنّه يأتي بشكل متواصل في كلّ قدّاس، فهو الذي يقربّ ويقربّ، الذي يقبل الذبيحة وفي الوقت نفسه يتوزّع على المؤمنين: "المقربّ والمقرب، القابل والموزّع".

المسيح وحده ينجز سرّ خلاصنا ويكمّله. هذا الحدث هو الأساس الذي يستند عليه سرّ القدّاس الالهي، كما يكتب البار نيقولاوس كاباسيلاس، "فالمسيح هو في الوقت نفسه المغذي والغذاء، انه من يمنح خبز الحياة، وهو نفسه يمنحنا ذاته. هو حياة كلّ الناس، والطبيب لكلّ الذين يتنفّسون والرداء لكلّ الذين يريدون أن يرتدوا. هو الذي بفضله نستطيع أن نسير، وهو الطريق، وهو أيضاً نهاية الطريق". ويلاحظ القديس أييفانيوس: "هوذا (أي المسيح) ذبيحة، كاهن، مائدة مقدّسة، الله، إنسان، ملك، رئيس كهنة، خروف، حمل، كلّ شيء في كلّ شيء لأجلنا، حتّى تكون لنا حياة بكلّ طريقة"^{٥١٣}.

صار المسيح كلّ شيء لأجل الانسان: هو الكاهن الذي يقدم، الحمل المقدّم، الله الذي يقبل التقدمة. فيض المحبة الالهية حمل إلى العالم فيض الحياة الالهية. ونحن نقبل العطية الالهية ونشكر الرب: "نشكر أيّها الربّ إله خلاصنا، لأنك تصنع كلّ شيء إحساناً إلى حياتنا، لكي ننظر إليك في كلّ حين أيّها المخلص والمحسن إلى نفوسنا"^{٥١٤}.

وبعد الافشين، يقول الكاهن ثلاثاً: آيها الممثلون الشروبيم سرّياً... لنطرح عنّا كلّ اهتمام دنيويّ. والشمّاس يختمه قائلاً: لكوننا مزمعين أن نستقبل ملك الكل محفوفاً من المراتب الملائكيّة بحال غير منظور. هلّلويا، هلّلويا، هلّلويا.

ثمّ يبخر الكاهن المائدة المقدّسة من جهاتها الأربعة، المذبح، الأيقونات والشعب. وبينما هو يبخر يقول في ذاته: إذ قد رأينا قيامة المسيح (إذا كان يوم أحد، أو عندما يجب أن يقال) ثمّ: هلمّ نسجد ونركع... (ثلاثاً)، فالزمور الخمسون إلى أن يبلغ إلى القول: "حينئذ تسرّ بذبيحة البرّ...".

ثمّ يسجد المشتركون في الخدمة ثلاثاً أمام المائدة المقدّسة، ويقبلون الأنديمنسي قائلين هذه الطروباريّات الخشوعيّة:

آيها المخلص إنّي خطئْتُ إليك مثل الابن الشاطر، فاقبلي تائباً يا أبتاه اللهم وارحمي.

آيها المسيح المخلص، إنّي أصرخ إليك بصوت العشار، فاغفر لي مثله اللهم وارحمي.

ثمّ ينحني كلّ واحد امام المشتركين معه في الخدمة قائلاً: اغفروا لي يا إخوتي ومشاركيّ في الخدمة. ومن ثمّ ينحني امام الشعب عند الباب الملوكيّ قائلاً: اغفر يا الله للذين يحبّوننا وللذين يبغضوننا.

ثمّ يتوجّه إلى المذبح المقدّس، ويسجد ثلاثاً للقرايين الكريمة قائلاً: يا الله اغفر لي أنا الخاطيء وارحمي. وهكذا يصنع الشمّاس.

❧ حتى نستقبل ملك الكلّ

يرفع خادم السرّ القرايين الكريمة في يده، ولا بدّ له أن يمرّ عبر التوبة: يقترب من المائدة المقدّسة تائباً مثل الابن الشاطر.

ومزمور التوبة الذي يتلوه الكاهن بينما يبخر الطروباريّات الخشوعيّة، السجود للمائدة المقدّسة، وللمذبح المقدّس، طلبة الغفران من الله ومن المشاركين له في الخدمة

ومن الشعب، كلّ هذه الأمور هي تعابير خارجيّة عن شعور التوبة الداخليّ لخدام السرّ. بمثاله يشير الكاهن على المؤمنين بطريق التوبة، وهو بالتالي "صورة ليوحنا المعمدان الذي بدأ كرازته قبل المسيح قائلاً: "توبوا، فقد اقترب ملكوت السموات" ٥١٥.

الكاهن - صورة للمعمدان - يحثنا على تهيئة "طريق الرب"، أي الطريق الذي سيقودنا إلى المسيح. وهذا الطريق هو "التوبة". هكذا بينما يتهيأ "للدخول الكبير" كلّ من الكاهن والشعب، نعيش نحن انتظار المسيح بتوبة. الكاهن، كما المعمدان المجيد، "يحرّك معمودية التوبة". والمسيح، في ما سيتبع، يقدم لنا حياته ٥١٦. "الذي هو كائن ناري بالكلية ولا يمكن للملائكة الاقتراب منها أو احتماها" ها هو يقرب غذاء للمؤمنين، وكلّ مؤمن "يتناول النار فرحاً ومرتعداً... إذ إنّهُ يتندّى بحال لا توصف" ٥١٧.

بالتوبة نقرب من الحياة: "إذا كان أحدهم قدّيساً فليتقدّم، وإذا لم يكن، فليقترب عبر التوبة"، كما يقول الكاهن في القدّاس الإلهي. أمّا التوبة ففتحت طريق الحياة: "الخطيئة موت؛ فمن هو الذي سيموت بسببها وبمقدوره القيامة من تلقاء نفسه؟ لا أحد إطلاقاً" ٥١٨. نلتجئ إذاً بالتوبة إلى المنزّه عن الخطيئة، الذي هو "القيامة والحياة".

بالتوبة نلج إلى القدّاس الإلهي. القدّاس الإلهي هو الخروج من الخطيئة والدخول إلى الملكوت: "اخرجي يا نفسي من أرض حرّان الخطيئة، وهلمّي إلى أرض تنبت عدم فساد دائم الحياة" ٥١٩.

وفقاً لأقدم نصّ ليتورجيّ، يقول الكاهن: "لتشرق النعمة وليغرب العالم". في الحقيقة القدّاس الإلهي يقودنا إلى أرض النعمة. إلى هناك يرغب القدّيس مكسيموس أن يأخذنا. والنسبة لهذا المختبر العظيم للأسرار الإلهية وحقائقها ومعلّم المؤمنين كيفية ولوجها، فإنّ الدخول الكبير هو بداية ومقدّمة "للتعليم الجديد الذي سيحصل في السموات في شأن تدبير الله لأجلنا وانكشاف سرّ خلاصنا المحجوب في أعماق

السريّة الالهية^{٥٢٠}. إنه تعليم حاصل بفعل ذبيحة "المعلم". إنه فعل ينير قوله (قول المسيح).

ثمّ يقول الشمّاس: ارفع يا سيّد

فيرفع الكاهن الستر الكبير ويضعه على كتفي الشمّاس قائلاً: بسلام ارفعوا أيديكم إلى الأقداس وباركوا الرب^{٥٢١}.

ثمّ يعطي الصنيّة إلى الشمّاس، أمّا هو فيأخذ الكأس المقدّسة قائلاً: صعد الربّ بتهليل. الربّ بصوت البوق^{٥٢٢}.

ومتى وصل الشعب إلى قوله: "لنستقبل ملك الكل"، عندها يخرج الشمّاس ومن بعده الكاهن من الباب الشماليّ، فيجري الخروج (الايصوذن) الكبير بمسيرة تدور دائرة الكنيسة إلى أن تصل إلى وسط الكنيسة. وحالما تبدأ المسيرة يصرخ الشمّاس قائلاً: جميعكم ليذكر الربّ الاله في ملكوته كلّ حين، الان وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين.

الشعب: آمين.

وبعد ذلك يرجع الشعب إلى ترتيل بقيّة الشروب يكون. أمّا الكاهن فيضع القرايين الكرّمة على الأنديميسي ويقول: إنّ يوسف المتّقي أحدر جسدك الطاهر من العود ولّفه بكتّان نقيّ مع طيوب وشيّعه، ووضع في قبر جديد^{٥٢٣}.

ثمّ يقول الشمّاس: أصلح يا سيّد.

فيبخر الكاهن القرايين قائلاً تتمّة المزمور الخمسين ويكرّر ثلاثاً: حينئذ يقربون على مذبحك العجول، وارحمي يا الله.

❖ نقل القرايين المكرّمة إلى المائدة

في "الدخول الصغير" يغطّي الكاهن وجهه بالانجيل الشريف: أتى المسيح ليكرز بكلمته. في "الدخول الكبير" يغطّي الكاهن وجهه بالقرايين الكرّمة: المسيح آتٍ ليذبح.

الكاهن، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، يأتي إلى المذبح المقدّس، وعندما يرفع القرايين المقدّسة بكثير من الورع إلى علوّ رأسه، يخرج. هو ينقل القرايين المقدّسة إلى المائدة، منتقلاً عن قصد في الكنيسة بين المؤمنين، رويداً رويداً، خطوة خطوة. المؤمنون يرتّلون ويركعون بتقوى... والكاهن يتقدّم مصحوباً بمصاييح ومباخر ويلج إلى المائدة المقدّسة^{٥٢٤}.

ما يقوم به المؤمنون - أي التسبيح الشروبيمي، المصاييح، المراوح - يساعدنا على عيش حدث قدوم المسيح. يساعدنا على عيش "دخول كلّ القديسين والأبرار الذين يلجئون معه (المسيح) هو منذ البدء قدّوس القديسين، بينما تسير في المقدّمة قوّات شروبيميّة وجنود ملائكيّة وتسبقهم على نحو غير منظور أجواق عادمة الأجساد ومراتب غير هيوليّة، يسبحون جميعاً ويحتفون بالملك العظيم، المسبح، الآتي لأجل الذبيحة السريّة"^{٥٢٥}.

المسيح، محفوفاً بالمراتب الملائكيّة، يدخل إلى قدس الأقداس ممسكاً بيديه الطاهرتين. أنّه حياتنا، وحياة العالم كلّ. القرايين الكريمة هي الانسان والعالم وقد عادوا، بالمسيح، إلى الله. هذه العودة، عودة الانسان والعالم نحو الله تتحقّق بالدخول الكبير.

وتحتنا كنيستنا المقدّسة قائلة: "نطرح عنّا كلّ اهتمام دنيوي"، فلنستودع الآن حياتنا للمسيح الذي يقبلها بفرح ليقودها عبر الموت إلى قيامته هو. ولكنّ تقدمة حياتنا الخاصّة، للمسيح "هي موت كصورة ورسم، بينما القيامة إلى الحياة، هي حياة حقيقيّة"^{٥٢٦}.

بينما يتمّم الكاهن خدمة تقدمة الذبيحة، أودعنا في القرايين الكريمة حياتنا كلّها: أوجاعنا وأفراحنا، أعداءنا وأصدقاءنا، القريين والبعيدين، الأحياء والراقدين، كلّها هي الآن في يديّ المسيح. وهو من يدخل بها إلى حضرة الآب.

بينما يعبر المسيح بجانبنا، وإذا نحن لا نرتدي لباس العرس لنفرشه على طريق الجلجثة، نفرش جسدنا: نسجد إلى الأرض طالبين مثل اللص: "اذكرني يا رب في ملكوتك"^{٥٢٧}. نسأله أن "يذكرنا"، أي أن يرفعنا من النسيان ويضعنا في "الحق"، لنستطيع نحن أيضاً أن "نتذكره" بسرّ تذكّاره.

نقل القرايين من المذبح المقدّس إلى المائدة المقدّسة "يشير إلى قدوم الربّ من بيت عنيا إلى أورشليم"^{٥٢٨}. ملك الملوك يدخل المدينة المقدّسة. الكاهن يغدو الجحش الذي لم يجلس عليه أحد قطّ، ولذلك جعل أهلاً لينقل ملك المجد^{٥٢٩}. والمؤمنون يستقبلون المسيح بالتسايح: "هلمّ بالأغصان، نسبح المسيح بايمان كالأطفال، مطهرين النفوس عقلياً، ونهتف إليه بصوت عظيم: مبارك أنت يا مخلص، يا من وافى إلى العالم وصار آدم جديداً كما ارتضى لينقذ آدم من اللعنة الأولى، ودبر الكلّ إلى الموافق... أيها الكلمة المحبّ البشر، المجد لك"^{٥٣٠}.

✠ إن يوسف المتقي أحدر جسدك الطاهر من العود

وضع القرايين الكريمة فوق المائدة المقدّسة وإغلاق الباب الملوكي هما الحركتان الأخيرتان من الدخول الكبير، وترمزان إلى الآلام الطاهرة ودفن الربّ^{٥٣١}.

لذلك فعندما يضع الكاهن الكأس المقدّسة والصينية المقدّسة فوق المائدة المقدّسة يقول الطروباريّة: "إنّ يوسف المتقي أحدر جسدك الطاهر من العود"... "الصينية، كما يقول القدّيس جرمانوس، هي عوض يديّ يوسف ونيقوديموس اللذين دفنا المسيح"^{٥٣٢}.

الستر الكبير الذي به يغطّي الكاهن القرايين الكريمة هو رمز للأكفان التي بها كفن يوسف جسد المسيح، بينما البخور يذكر بالطيب. وأخيراً، فإنّ إغلاق الباب الملوكي يرمز إلى ختم قبر المسيح.

والكاهن أثناء الدخول الكبير يقوم بعمل من دفن المسيح، يوسف ونيقوديموس، وهو معهما في تلك الساعة يتأمّل "المرتدي النور كالسربال". معهما "يندب بإشفاق

قائلاً: ويلي يا يسوع الحلوا!... كيف أضجعك يا إلهي؟ أو كيف ألك بالأكفان؟
بأية أيد ألامس جسدك المنزه عن الفساد؟ أو أية نشائد أنشد في مأتك يا رؤوف؟
فأعظم ألامك وأسبح دفنك وقيامتك هاتفاً: يا ربّ المجد لك^{٥٣٣}.

ثمّ يقول الكاهن نحو الشمّاس: أذكرني يا أخي المشترك معي في الخدمة.
ويجيب الشمّاس: كهنتك يذكر الربّ الاله في ملكوته كلّ حين، الآن وكلّ
أوان وإلى دهر الدهرين.
ثمّ يحيي الشمّاس رأسه للكاهن ويقول: صلّ من أجلي أيّها السيّد القدّيس.
والكاهن يقول: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلللك^{٥٣٤}.
والشمّاس يقول: هذا الروح نفسه ليؤازرنا في الخدمة كلّ أيام حياتنا. أذكرني
أيّها السيّد القدّيس.

الكاهن: شمسيتك يذكر الربّ الاله في ملكوته السماويّ كلّ حين...
الشمّاس: آمين. ويقبل يمين الكاهن ويخرج من الهيكل ويقول الطلبات.

■ هذا الروح نفسه ليؤازرنا في الخدمة

مع القوّات الملائكيّة التي تحف بالمسيح لدى دخوله المدينة المقدّسة، يلج أيضاً
المعزي: "الروح القدس يسير في المقدّمة ويشترك في الدخول أثناء الذبيحة غير الدمويّة
والعبادة العقليّة. نشاهده عقلياً في النار والبخور والدخان الزكيّ الرائحة. النار تدلّ
على الألوهة، أما رائحة البخور فعلى حضوره (حضور المسيح) وقد أتى على نحو
غير منظور، وملأنا حبوراً من خلال العبادة وسرّ الذبيحة غير الدمويّة"^{٥٣٥}. المسيح
يكهن خلاص الانسان بالروح القدس: "المسيح حضر والروح ينطلق أمامه. حضور
بالجسد، والروح غير منفصل... تبطل عزّة الشيطان بحضور الروح مع المسيح. مؤالفة
مع الله بالروح القدس"^{٥٣٦}.

الآن يستدعي الكاهن الروح القدس ويصلي للشمّاس كيما تظللّه نعمة الروح. والشمّاس يجيب مصلياً على هذا النحو: "هذا الروح نفسه ليؤازرنا... والروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا توصف". يتوسّط لأجلنا وصلواتنا ليست سوى هبة منه: "وليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربّ إلا بالروح القدس"^{٥٣٧}. الاجتماع نفسه هو أيضاً هبة من المعزّي: "المعزّي هو الداعي للاجتماع وجامعه بواسطة الكرازة". في اجتماع الكنيسة، يشترك الروح القدس في الخدمة مع الكاهن ويكشف المسيح للمؤمنين: "الروح القدس بحكمة يقود إلى المعرفة الكاملة، المعرفة القائمة في العلاقة وجهاً لوجه، وإلى الولوج إلى المسيح، الاله العظيم ومخلّص الجميع"^{٥٣٨}.

وترد في كتاب "الليموناريون" الحادثة التالية: "كان هناك، على مسافة عشرة أميال من مدينة إغون، كنيسة على اسم القديس يوحنا المعمدان حيث كان ينسك أحد الكهنة الشيوخ. وفي أحد الأيام حضرت مجموعة من أهل القرية إلى الأسقف واشتكت على الشيخ المتوحّد، لأنّه تسبّب لهم بحزن كبير، ففي أيام الآحاد، كان يقيم القدّاس مرّة الساعة الثالثة، ومرّة أخرى الساعة السادسة، ومرّة الساعة التاسعة، وهو لا يحافظ بذلك على حسن نظام الخدمة. فدعا الأسقف الكاهن على حدة وسأله: "أيّها الراهب، لماذا تتصرّف على هذا النحو ولا تحافظ على ترتيب الكنيسة؟ فأجابه الشيخ قائلاً: "في الحقيقة أيّها السيّد القديس، هذا فعلاً ما يحصل ولكن ما عساي أفعل؟ لأنّه بعد الانتهاء من صلاة سحر الأحد لا أبدأ إقامة القدّاس قبل أن أشاهد الروح القدس يظلل المائدة المقدّسة. فاندesh الأسقف لفضيلة الشيخ وأعلم أهل القرية بالأمر ثم صرف الشيخ بسلام"^{٥٣٩}.

في الكنيسة كلّ شيء موهبة من المعزّي: "بالروح القدس التجديد المستقبليّ إلى الفردوس، الصعود إلى ملكوت السموات، الارتفاع مجدّداً لأجل التبنّي، الدالة أن ندعوا الله أبانا، تحقيق الاشتراك بنعمة المسيح، الصيرورة أبناء نور، الاشتراك بالمجد الأزليّ، كمال البركة، الصائرة في هذا الدهر وفي الدهر الآتي"^{٥٤٠}.

طلبة التقرمة ووستور الإيمان

الشماس: لنكمل طلبتنا للرب. ويجب الشعب على كل طلبة: يا رب ارحم.
من أجل هذه القرايين المكرمة الموضوعة إلى الرب نطلب.
من أجل هذا البيت المقدس والذين يدخلون إليه بإيمان وورع وخوف الله، إلى الرب
نطلب.

من أجل نجاتنا من كل ضيق وغضب وخطر وشدة إلى الرب نطلب^{٥٤١}.
أعزّد وخلّص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك.

■ من أجل نجاتنا من الغضب والخطر والشدة

أ - "من أجل نجاتنا من الغضب": غضب الله يُستعلن بطريقتين. من جهة، من خلال التخلّي عن المتكبر في يد أعدائه "لكي يقتني حساً بضعفه الطبيعي ومعرفة بالقدرة الإلهية وبالنعمة التي تظللّه وتحقق جميع الفضائل دون استثناء". ومن جهة أخرى، إذا لم يتّضع، فإنّ مواهب الله كلّها تؤخذ منه: "وأيضاً غضب الله هو انقطاع منح المواهب الإلهية، وهذا يحصل لأنه موافق للذهن الذي بدأ يطير عالياً ويتفاخر بالصالحات التي أُعطيت له من الله، كما لو كان هو نفسه من أوجدها"^{٥٤٢}.

تكبر الإنسان يجلب غضب الله، ولكن الله بغضبه يرّبي الإنسان ويقود المتكبر إلى الخفر والتواضع^{٥٤٣}. الإنسان يدرك ضعفه فينقي قلبه من الكبرياء.

* * *

ب - "من أجل نجاتنا من كل خطر": في كل يوم يطل علينا، نكتشف مخاطر جديدة تتهدد حياتنا. نسمع دوماً عن أخبار حروب، حوادث، جرائم. نسمع كل ما يحدث في العالم. هذه المعرفة تقودنا إلى عدم اليقين، إلى الاضطراب والقلق. نشعر بعدم الأمان داخل بيتنا نفسه. خوف متواصل يسود نفس الانسان المعاصر الذي لا يعرف من أين الخطر، ومتى وكيف.

داخل هذا العالم، نشعر بضرورة الاقتراب من الله كأطفال! هذا ما ينصح به القديس اسحق: "اقترب من الله كطفل وهكذا أكمل طريقك لكي تكون أهلاً لشعور تلك العناية الأبوية التي يكنّها الوالدون تجاه الأطفال الصغار. كما يقول المزمور: "الرب حافظ البسطاء": البسيط (أي الذي فكره فكر طفل صغير)، يقترب من الثعبان يلتقطه ويضعه على عنقه دون أن يصيبه أذى... يجلس عرياناً في يوم بارد جليدي ولا يصيبه شيء البتة، لأن جسد هذا البسيط مغطى برداء آخر غير منظور، بفضل تلك العناية الخفية، عناية الآب الذي يحفظ الأعضاء النضرة كي لا يقترب منها خطر من أي نوع"٥٤٤.

* * *

ج - "من أجل نجاتنا من كل شدة": بهذه الطلبة نطلب أمرين:

أولاً، أن نعتقد من الحاجات المادية المختلفة للحياة. والانسان المعاصر يشعر بهذه الحاجات بشكل خاص، فهو يعيش في مجتمع يلبي حاجاته أكثر من أي يوم مضى، إلا أنه يعيش مأساة الحاجات التي لا تنتهي. فما أن يلبي الانسان المعاصر "حاجة واحدة" حتى تبرز أمامه "حاجتان" جديدتان!

ثانياً، أن نعتقد من تلك الأحداث التي تقودنا مكرهين إلى آية حالة مهما كانت، حتى ولو قادتنا إلى الله: "فلا يكون التقديس حاصلاً، من جرّاء الأحداث، عن طريق الاكراه والاضطرار، بل بنفس مريدة ذات استعداد حسن". من دون حرية لا وجود لحياة روحية: "ليس من فضيلة بالاكراه"٥٤٥.

وهذه "الحاجات" المختلفة تقيّد حرّية الانسان. هذا ما يركّز عليه الذهبيّ الفم: "كلّما زادت حاجتك، كلّما تناقصت حرّيتك... لننعتق من هذه العبوديّة الرهيبة ولنصر يوماً ما أحراراً. لماذا نخترع لأنفسنا قيوداً متنوّعة لا تنتهي؟... متى ستفكر بالسمااء وتعمل من أجلها ويصير بمقدورك أن ترتفع إلى ذاك العلوّ؟" ويتابع: "لا بدّ للمرء أن يريد قطع تلك الحبال لكي يستطيع الاهتمام بالمدينة السماويّة"^{٥٤٦}.

بهذه الطلبة نسأل الله أن تنكسر قيود العبوديّة للحاجات المتنوّعة. نتوسّل مع مرثم المزامير: "يا ربّ، من شدائدني أخرجني"^{٥٤٧}.

❖ لا تضطرب قلوبكم

القدّاس الإلهي هو حضور المسيح القائم. نحن، المؤمنين، نجتمع في بيت الله، نلتفّ حول قبره المانح الحياة، أي حول المائدة المقدّسة، يحدونا الشوق للاستماع إليه، لمشاهدته، للاقتراب منه.

لكنّا، للأسف، لسنا مثل حاملات الطيب اللواتي أسرعن نحو قبر السيّد بقلوب متلهّفة بالعشق الإلهي. ليست جرأة المحبة هي التي تقودنا إلى البيت المقدّس، بل الخوف من المخاطر التي تحيط بنا. نوّلف محفل التلاميذ الخائفين القلقين؛ منطفئ رجائنا، منهارة آمالنا نحو ملكوت السمااء. محفل مؤمنين قلوبهم مغلقة على المحبة التي لا يعبر عنها، على هذه المحبة المعتمرة في نفوس حاملات الطيب. هؤلاء المغبوطات - في كلّ عصر - يغلقن عيونهنّ على المخاطر أمّا نحن فنغلق قلوبنا على "الرجاء".

ويظهر المسيح وسط هذا المحفل - كختن يأتي من القبر، يأتي بيننا، يدخل إلى قلوبنا المغلقة أبوابها، يحلّ مخاوفنا ويمنحنا سلامه: "لا تضطرب قلوبكم... سلامي أعطيكم"^{٥٤٨}.



أن يكون نهارنا كله كاملاً مقدساً سلامياً وبلا خطيئة، الربّ نسأل.
والشعب على كلّ طلبة يجيب: استجب يا ربّ.

❖ الكمال الذي لا نهاية له

الحياة الروحية مسيرة نحو الكمال لا تتوقف. وهذه المسيرة لا تتوقف، بالفعل لأنّ الفضيلة لا تعرف حداً. ويقول القديس يوحنا السلمي عن اللاهوى: "إنّ كمال الكاملين كامل وغير كامل في آن معاً"^{٥٤٩}.

وهذا التعريف للكمال يشرحه القديس افرام فيقول: "الديمو الهوى يتقدمون على الدوام، دون شبع، نحو القمة المرجوة، فيجعلون الكمال لا نهاية له... الكمال كامل في ما يتعلّق بمقياس القدرة البشرية، إلّا أنه لا يعرف نهاية لأنّه يتجاوز نفسه على الدوام في تقدّمه اليوميّ، ويرتفع باطراد بالشوق إلى الله"^{٥٥٠}.

ويصف لنا القديس مكاريوس الكمال فيقول: "عندما تسير النفس نحو كمال الروح، وقد تنقّت كلياً من الأهواء، واتّحدت بالروح المعزّي اتحاداً لا يوصف... عندئذٍ تغدو كلّها نوراً، عيناً، روحاً، فرحاً، حبوراً، محبة، رافة، صلاحاً وخيراً"^{٥٥١}.

في ساعة العشاء الشكريّ، نطلب الكمال، لأنّ "الكمال هو من هبات اجتماع المؤمنين الشريف، هبات إلهية متممة ومنجزة للكمال"^{٥٥٢}.

ملاك سلام، مرشداً، أميناً، حافظاً نفوسنا وأجسادنا الربّ نسأل

■ بركات السلام

في القدّاس الإلهي، تتعاقب الطلبات وبركات السلام: "والشمّاس يحثنا على طلب ملاك سلام وأن تكون الأمور سلاميّة. وأيضاً عند الحلّ، يصلي لأجلنا قائلاً: اذهبوا بسلام. عموماً ليس بوسعنا أن نقول شيئاً أو أن نفعل شيئاً بدون سلام. السلام غذاؤنا وأمنّا التي تشملنا بعنايتها وعطفها. وأعني بالسلام السلام الذي هو حسب الله، سلام العزم الروحي الواحد".^{٥٥٣}

وفي القدّاس الإلهي، سلام الله يغدو نشيداً يرتله المؤمنون: "أيّها السلام المحبوب، والاسم الحلو... أيّها السلام المحبوب، عنايتي وزينتي"^{٥٥٤}. نسأل الله أن يكون نهارنا كلّهُ سلاميّاً، أن يكون ملاكنا الحارس ملاك سلام، وأن تتمّ بقيّة زمان حياتنا بسلام، أن يفرح العالم كلّهُ بالسلام، وأن تكون أواخر حياتنا سلاميّة.

الحياة اليوميّة، بأخطارها وقلقها وشدائدها لا تبقى خارج القدّاس الإلهي. فالإنسان الذي يدخل إلى المكان الروحي، لا يفقد جسده. لكنّ النفس والجسد معاً يمثّلان من سلام الملكوت.

مسامحة خطايانا وغفران زلّاتنا، الربّ نسأل.

الصالحات والموافقات لنفوسنا والسلام للعالم، الربّ نسأل.

■ الموافقات لنفوسنا

"الصالحات والموافقات" التي نسأل الله من أجلها، ليست مشابهة لتلك التي يطلبها البشر الذين يعيشون بعيداً عن الله. ويقول الذهبيّ الفم: "بالنسبة للمؤمنين، ليست طبيعة الصالحات تلك التي يعتقدها الكثيرون"^{٥٥٥}. ولما كنّا نحن المؤمنين، لا

ندرك ما هي الصالحات لنفوسنا، فالكنيسة تقودنا إلى الطلب من المسيح أن يمنحنا كل ما يراه هو صالحاً لنفوسنا.

ويقول الذهبي الفم أيضاً: "أنت لاتعرف ما يوافقك كما يعرفه الله. كثيراً ما تطلب أموراً ضارة وخطرة، لكن الله الذي يهتم أكثر بخلاص نفسك، لا يلبي سؤالك، فهو، وقبل أن تسأله، يهتم بما يوافقك". وهكذا لا يحزن المؤمن عندما لا يحصل من الله على مبتغاه، فهو يؤمن أن الرب "هو الحكمة المدبرة كل شيء والواهب كل موافق"^{٥٦}، وهو، سواء استجيب طلبه أم لا، يشكر محبة الله ويمجدها على الدوام.

ويشدد الذهبي الفم على أننا لا نحصل من الله على ما نطلب "لأننا نطلب حجراً"، وليس خبز الحياة. "لتكن طلباتك كلها روحية، وستمنح كل شيء دون ريب"^{٥٧}. في القداس الالهى نطلب من الله الخبز السماوي، المسيح. هذا هو الواحد والوحيد الذي يوافقنا: يحملنا كلنا معاً قرب الآب السماوي. وفي الكتاب الالهى اختارت مريم النصيب الصالح الذي لا ينزع منها.

أن نتمم بقية زمان حياتنا بسلام وتوبة، الرب نسال.
أن تكون أواخر حياتنا مسيحية سلامية بلا حزن ولا خزي وجواباً حسناً لدى
منبر المسيح المرهوب، نسال.
بعد ذكرنا الكلية القداسة.....
الشعب: لك يا رب.

✦ الموت هو السبيل الى تغيير أفضل

الانسان الذي جبل حياته ب حياة الكنيسة الليتورجية لا يخشى أن يفكر في اللحظة الأخيرة من حياته الأرضية. فقد تطهر بالتوبة، وها هو يعيش بالقداس الالهى، منذ

الآن "الحياة التي لا نهاية لها". وهذا الانسان "يدرك أن الزمن الذي يلي التوبة، مليء بالفرح والبهجة. فرح قلبه يسخر من الموت ولا يسود عليه الجحيم، لأن هذا الفرحة لا ينتهي قط" ٥٥٨.

بالنسبة للذين تابوا فعلاً فإن الموت لا يشكل دخولاً إلى ظلام عدم الوجود، بل هو باب الخدر حيث الختن، الباب المؤدي إلى الحياة الجديدة، "موعد المخاض قرب"، يكتب القديس أغناطيوس المتوشح بالله في رسالته إلى أهل رومية بينما هو متجه نحو الاستشهاد، ساعة ولادته قريبة، "اغفروا لي يا إخوة. لا تعيقوني أن أعيش... دعوني آخذ نوراً نقياً. وحالما أصل إلى هناك، قرب الله، سأغدو إنساناً". ما ندعوه حياة هو موت، وما يسمى موت يؤدي إلى الحياة: "من الأفضل أن أغرب عن هذا العالم إلى الله، لأشرق أمامه" ٥٥٩.

في كتاب "الليموناريون" ترد حادثة أحد الشيوخ الذي يشهد كيف يواجه القديسون الموت: "في المكان المدعو أرسلاوس، سكن الأنبا مخائيل الجيورجي... الذي لما حان وقت خروجه من هذا العالم، دعا تلميذه وقال له: أحضر لي لأغسل يدي وأتناول. وعندما تناول، قال له: "يا بني أنت تعرف أن هذا الموضع خطر وسريع الانحدار للنزول إلى القبر إذا ما توفينا فوق. ستعرض أنت لخطر كبير عندما ستحملني للدفن. فلننزل الآن خطوة خطوة بمساعدتك. فنزل الشيخ مع تلميذه، ثم قبله قائلاً: "سلام يا بني، صل لأجلي". وتمدد في القبر ورحل إلى الرب بكل فرح واغتباط" ٥٦٠.

يرحل القديسون إلى عالم الله، وقد عاشوا ملء حياتهم، ممتلئين سلاماً، "فرحين... متهللين"، يسرعون الخطى نحو الموت، لأن الموت سبيلهم إلى حياة أفضل وسيرة روحية أكثر، "بداية وطريق نحو تغيير أفضل" ٥٦١.

الموت يقود إلى حيث حياة الانسان القديس "وقفة ذاتية الحركة، حول الواحد والوحيد، صائرة على الدوام" ٥٦٢.

ويقول الكاهن إفشين التقدمة: "أيها الرب الإله الضابط الكل القدوس وحده، المتقبل ذبيحة التسييح من الذين يدعونك من كل قلوبهم. تقبل منا نحن الخطاة طلبتنا وقدمها إلى مذبحك المقدس. واجعلنا كفراً لأن نقدم لك قرابين وذبائح روحانية من أجل خطايانا وجهالات الشعب. وأهّلنا أن نجد نعمة أمامك لتكون ذبيحتنا حسنة القبول لديك، ويحلّ روح نعمتك الصالح علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة، وعلى كل شعبك".

ويعلن: لأجل رافات ابنك الوحيد الذي أنت مبارك معه ومع روحك الكلّي قدسه الصالح والصانع الحياة. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.
الشعب: آمين.

■ من أجل خطايانا وجهالات الشعب

الافشين الأول الذي يتلوه الكاهن بعد "الدخول الكبير" يدعى "إفشين التقدمة"، وفيه يتوسّل إلى الرب أن يؤهّله لتقديم القرابين المقدّسة لأجل خطاياه وجهالات الشعب.

ليس صدفة أنّ هذا الافشين يتحدث عن واقع واحد مستخدماً عبارتين مختلفتين: خطايا وجهالات. إذّا، القدّاس الإلهيّ يقدم إلى الله من أجل خطايا الكاهن وكلّ ما فعله الشعب عن جهل.

كلّنا خطاة. لكن بينما يخطئ الشعب إلى الله عن جهل، لا يجوز للكاهن ان يفعل هكذا. أدنى خطايا الكاهن، كما يقول الذهبيّ الفم، هي عزيمة "ليس من طبيعتها الخاصة، بل يزيد من وطأتها الاستحقاق الذي يحمله الكاهن الذي يجرؤ على فعلها". في سفر اللاويين، قال الرب لموسى: "كلّم بني اسرائيل قائلاً. إذا أخطأت نفس سهواً... إذا كان المخطئ كاهناً - المسوح بالزيت المقدّس - فإنّ هذا الأمر يعادل خطيئة جميع الشعب. ومن ثمّ يعطي الرب وصيّة أن تقدّم الذبيحة عينها، إن

سهت كلّ جماعة اسرائيل وعملت واحدة من جميع مناهي الربّ التي لا ينبغي عملها". ويلاحظ الذهبيّ الفم أنّ هذا الواقع "يكشف كيف أنّ جراحات الكاهن تحتاج إلى مساعدة بالقدر الذي تحتاج إليه كل جراحات الشعب" ^{٥٦٣}.

الكاهن، كانسان مرتبط بالشهوات واللذات الجسديّة، يقدّم قرابين وذبائح روحيّة "عن نفسه وعن جهالات الشعب". المسيح هو الوحيد الذي وُجد منزّهاً عن الخطيئة "وهو الذي صنع من ذاته تطهيراً لخطايانا" ^{٥٦٤}. لذلك بالضبط يجشو الكاهن أمام رئيس الكهنة الوحيد، المنزّه عن الخطيئة، ويتوسّل إليه أن يحلّ روحه الكلّيّ قدسه في قلوب المؤمنين حتّى تغدو الذبيحة حسنة القبول لديه.

الكاهن: السلام لجميعكم.

الشعب: ولروحك.

■ السلام يهيّء الطريق للمحبّة

عندما كان القدّاس الإلهي يبدأ بالقراءات الكتابيّة، كان أوّل عمل يقوم به الكاهن هو منح السلام للمؤمنين: "عندما يدخل متقدّم الكنيسة إليها، يقول على الفور: السلام لجميعكم". ومن ثمّ يمنح الكاهن سلام الله مرّات عدّة، كما هي الحال عليه اليوم: "عندما يعظ المتقدّم يقول: السلام لجميعكم. وعندما يبارك: "السلام لجميعكم". وعند التقبيل يأمر: "السلام لجميعكم". عندما تتمّ الذبيحة يقول: "السلام لجميعكم" ^{٥٦٥}.

الكهنة، منذ "بداية السرّ الشكريّ"، يقولون: "السلام لجميعكم"، لأنّ "التسالم بين بعضنا البعض، ومع الله" هو نبع كلّ خير ومبدؤه. عندما نكون سلاميّين، نكون بقرب الله: "قريب من الله ومن الإلهيّات هو كلّ من أظهر تمسّكه بالخير الحاصل

بالسلام^{٥٦٦}. ولأننا قرب الله نتنعم بسلامه. ابنه وكلمته يأتي إلى داخلنا "باعثاً في قلبنا الهدوء والصفاء"^{٥٦٧}.

في القدّاس الالهّي يمنح الكاهن سلام الله مرّات كثيرة، "لأنّ سلام الله أمّ كلّ الخيرات. هو سند فرحنا... وهو يهيء الطريق للمحبّة"^{٥٦٨}.

نقبل السلام ونهرع نحو المحبّة. نهرع نحو ذاك الذي هو "السلام" و"المحبّة".

الشمّاس: لنحبّ بعضنا بعضاً لكي نعرّف بعزم واحد مقرّين.

الشعب: بآب وابن وروح قدس، ثالث متساوٍ في الجوهر وغير منفصل.

❖ قِبلَةُ المَحَبَّةِ

عند دعاء الشمّاس "لنحبّ بعضنا بعضاً"، كان جواب المؤمنين في القرون الأولى عبارة عن: قِبلَةُ المَحَبَّةِ. وسط الاجتماع الليتورجي، بين المشتركين في العشاء، "تتمّ القِبلَةُ المقدّسة"^{٥٦٩}.

القِبلَةُ المتبادلة بين المؤمنين ليست رمزاً ليتورجياً بسيطاً، بل عملاً شريفاً. إنّها خبرة ليتورجية. القِبلَةُ الليتورجية ليست صورة عن المحبّة التي توحد المؤمنين وحسب، بل خبرة هذه الوحدة. إنّها مصالحة أولئك الذين يقدّمون العبادة التي تربطهم بعضهم ببعض، وبكلمة الله^{٥٧٠}.

هذا الالتئام الالهّي، التئام الكلّ حول المسيح، والاشتراك في جسد المسيح الواحد، يعبر عنه بقِبلَةُ المَحَبَّةِ: "فلتذكّر إذا... يا أحبّاء، القِبلات المقدّسة والتقبيل الرهيب بين بعضنا البعض. لأنّ هذا التقبيل يوحد أذهاننا ويجعل منّا جميعاً جسداً واحداً". والتقبيل الليتورجي هو إظهار للمحبّة: "التقبيل علامة أنّ النفوس اتّحدت معاً، وأنّها أقصت كلّ ذكر للسوء"^{٥٧١}.

بتبادل القبلة، نتنعم بمحبة إخواننا: "بالقبلة الإلهية تعبير عن تماهي الكلّ مع الجميع، وقبل كلّ شيء، كلّ واحد مع نفسه ومع الله. وهذا التماهي يرتكز على العزم الواحد والهاجس الواحد والمحبة الواحدة". المحبة، كما يقول الذهبيّ الفم، "تبني، تجمع الكلّ، وتجعل تجانساً بينهم" ٥٧٢.

العزم الواحد مع التوافق، يعبر عنه بقبلة المحبة: "القبلة الروحية المتبادلة بين الجميع، هي رسم سابق لتوافق الجميع فيما بينهم، وتعبير الهاجس الواحد والفكر الواحد. هذا الرسم سيتحقق في زمن استعلان الخيرات المستقبلية التي يتعذر وصفها... بهذا التطابق، أي التوافق في الفكر الواحد، يجعل المؤمنون كلمة الله مقيماً فيهم" ٥٧٣.

كلّ حركة، كلّ حدث داخل القدّاس الإلهي، هو الحدث نفسه في الواقع اليوميّ وفي تجلّيه. في القدّاس الإلهي تتقدّس المادة، والجسد يغدو روحياً. القبلة تأخذ أبعاداً جديدة: "نحن هيكل الله: لذا عندما نقوم بتبادل القبلة فيما بيننا فإننا نقبل أبواب الهيكل ومدخله" ٥٧٤.

الشمّاس: الأبواب، الأبواب! بحكمة لنصغ.

الشعب: أوّمن بالله واحد، آب ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض، كلّ ما يرى وما لا يرى، وبربّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كلّ الدهور، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كلّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس، وصلب عنا على عهد ييلاطس البنطي وتألّم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لمملكه، وبالروح القدس، الربّ المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجّد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسولية، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وأترجّى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. آمين.

■ نحو مشاهدة العقليّات

ها قد أغلقت أبواب الكنيسة بعد صرف الموعوظين. ومن هذه الساعة يقف الشماس ومساعدوهم عند الأبواب بحيث لا يتركون مجالاً، ساعة الأنافورا المقدّسة، للمؤمنين للخروج، ولا يسمحون لغير المؤمنين والهراطقة بالدخول. ونقرأ في كتاب الأوامر الرسوليّة: "لتُحرس أبواب الهيكل، لربّما دخل من هو غير مؤمن. وإذا حضر أحد الإخوة أو الأخوات من منطقة أخرى حاملاً رسالة توصية فليفحص الشماس بشأنهم... لربّما كانوا مدنّسين بهرطقة ما" ٥٧٥.

بحسب القدّيس مكسيموس، إغلاق أبواب الكنيسة يعني إغلاق الحواسّ وابتعاد ذهن عن الأفكار الأرضيّة. هكذا إذ يتحرّر الانسان من حقائق عالم هارب، يبلغ إلى مشاهدة الحالات الإلهيّة. "الكلمة" تقود النفس نحو "مشاهدة العقليّات" ٥٧٦.

وضمن المنظار الأخروي للعالم، إغلاق الأبواب "يكشف عن واقع الماديّات العابر وعن ولوج المؤمنين المستحقّين إلى العالم العقلي، أي إلى خدر الختن، خدر المسيح، الذي سيحصل بعد ذاك الفصل الرهيب (فصل الخراف عن الجداء)، وقرار القاضي الصارم" ٥٧٧.

* * *

ودستور الإيمان هو تعداد لهبات الله، واعتراف الانسان الشكريّ. أمام الهبات الإلهيّة التي اقتبلناها من الربّ، ما من شيء بوسعنا القيام به سوى "الاعتراف بإحساناته العظيمة هذه، وشكره لأجلها" ٥٧٨.

الاعتراف بدستور الإيمان، كما يقول القدّيس مكسيموس، "هو تصريح سابق لسرّ الشكر الذي سنرفع في الدهر الآتي لأجل الأسباب والطرق العجيبة التي ظهرت فيها عناية الله الكليّة الحكمة، نحونا، والتي بها خلصنا" ٥٧٩. وكما يلاحظ أحد دارسي القدّيس مكسيموس أنّ "الاعتراف الأبدي بدستور الإيمان... سيكون الدليل أنّ محبّته نحونا لم تبق دون نتيجة" ٥٨٠.

الأنافورا المقدسة

الشماس: لنقف حسناً. لنقف بخوف. لنصغ. لنقدم بسلام القربان المقدس.

الشعب: رحمة سلام. ذبيحة تسبيح.

■ لنقف بخوف

تبدأ الأنافورا المقدسة من هذا الموضع من القداس الالهى، وبالتالي يجدر بنا "أن نسمو بأفكارنا، تلك الأفكار التي تدب أسفل على الأرض". وتبعاً للذهبي الفم، فالشماس يقول هذه الطلبة "لكي نكون حاضرين أمام الله بنفس مستقيمة، بعد أن تخلصنا من الشلل الروحي الذي تحمله معها الاهتمامات المعيشية". ويضيف: "إسع إلى إدراك في حضرة من أنت منتصب أمامه، وبصحبة من سوف تدعوا الله: بصحبة الملائكة، الشروبيم... فلا ينبغي ان يشترك أحد على الاطلاق في هذه التسابيح الشريفة السريّة باستعداد وعزم فاترين... ولكن بعد أن يبعد كل الأفكار الأرضية عن ذهنه، وينقل ذاته كلياً إلى السماء، كما لو كان منتصباً قرب عرش المجد نفسه ومحلقاً مع السرافيم، عندها فليقدم التسبيح الكلي قدسه إلى إله المجد والعظمة. لهذا السبب يدعونا الشماس أن نقف بانتباه في هذه الساعة... أي أن نقف بخوف ورعدة، بنفس صاحبة ساهرة"^{٥٨١}.

القداس الالهى هو عبارة عن "أنافورا". إنه "أنافورا مقدسة": رفع المؤمنين وارتفاعهم مع تقدمتهم إلى السماء"^{٥٨٢}. لا تقدم القرايين المكرمة فوق المائدة الأرضية،

بل ترفع إلى فوق، إلى المائدة الفائقة على السموات، يرفعها الكاهن، وهو يدعونا في ما يلي أن نرتفع جميعاً إلى مكان السلام، ذلك السلام الذي لا ينال منه شيء. أمّا الانتقال إلى هذا المكان والولوج إليه، فينبغي أن يتمّ "بسلام الذي هو الحاجة المفروضة لسلام وهدوء عظيمين"، في تلك الساعة، في ذلك المكان^{٥٨٣}. فحينما تقدّم القرايين المكرّمة فوق المذبح السماوي، تقف قوّات ملائكيّة بخوف ورعدة وتحجب وجهها بوقار. إنّها تسبّح الألوهة المثلثة الشموس.

❖ رحمة سلام، ذبيحة تسبيح

عندما يدعو الشماس المؤمنين إلى تقديم قربان المقدّس بسلام، يجيب هؤلاء: بالحقيقة نحن نقدّمها بسلام ومحبة نحو الربّ ونحو إخوتنا. نقدّم "رحمة سلام"، نقدّم "رحمة"، ومحبة، وهذه المحبة هي ثمر السلام. "لأنّه عندما لا يعكّر النفس أيّ من الأهواء، فلا شيء يمنعها أن تكون ممتلئة بالرحمة والمحبة"^{٥٨٤}.

ويقول لنا الله، بالنبي هوشع: إنّهُ من الأفضل أن نقدّم محبّتنا نحوه ونحو إخوتنا بدل تقديم ذبيحة خلواً من محبة: "أريد رحمة لا ذبيحة". لا يعقل أن نقدّم ذبيحة تمجيد لله قبل أن نقدّم ذبيحة محبّتنا. وكما يكتب القديس باسيليوس الكبير، فالغاية الوحيدة من تقديم الذبائح هي الرحمة والمحبة^{٥٨٥}. والذبيحة المقدّمة بمحبة هي ذبيحة مرضية عند الله. إنّها ذبيحة تمجّد محبّته وتسبّحها: "ذبيحة تسبيح".

وأبناء الملكوت المجلّين بالسلام يقدّمون "رحمة سلام، وذبيحة". هذه الذبيحة يطلبها الله منّا من خلال مرثم المزامير: "اذبح لك حمداً"، "أي ذبيحة شكرية، تسابيح شريفة وتمجيداً لأجل أعماله. إليك ما يقصد مرثم المزامير: أن تعيش على نحو يتمجّد فيه ربّك. هكذا علّمنا المسيح: فليضيء نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجّدوا أباكم الذي في السموات... لتكون حياتك أيضاً حياة يتمجّد بها سيّدك، عندها ستقدّم الذبيحة الواجبة والكاملة"^{٥٨٦}.

هذه هي الذبيحة التي يرغب بها الربّ، أكثر من ألوف ذبائح حيوانات: "أقدم لك، أنت أيّها الإله الكامل وغير المحتاج إلى شيء، ذبيحة التسبيح، أفضل من آلاف محرقات". فالربّ يستحسن بالحريّ ذبيحة تمجّده، لأنّ هذه الذبيحة هي الطريق المؤدّية بالإنسان إلى الخلاص: ذابح الحمد يمجّدني، والمقوم طريقه، أريه خلاص الله ٥٨٧١١.

الكاهن: نعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن معكم جميعاً.

الشعب: ومع روحك.

■ هبة ثالوثية

نغدو في القدّاس الإلهي مشاركين لعطايا الثالوث القدّوس: من المصدر، أي من محبة الله والآب، عبر الطريق والبوابة، التي هي نعمة الربّ يسوع المسيح، ترد شركة الروح القدس إلى محفل الكنيسة وإلى كلّ مؤمن شخصياً.

"هذه الصلاة، كما يكتب البار نيقولاوس كاباسيلاس، وردت في رسائل بولس المغبوط ومن شأنها أن تمنحنا خيرات الثالوث القدّوس: من الابن نعمة، من الآب محبة، ومن الروح القدس شركة. لأنّ الابن من دون مساهمة منا، لا بل بينما نكون في مصفّ المديونين، يقدم ذاته لنا مخلصاً، فعنايته بنا هي نعمة. ولأنّ الآب، عبر آلام ابنه، تصالح مع جنس البشر وأحبّ أولئك الذين خاصموه، فإنّ تقدمته لنا تدعى محبة. وأخيراً، لأنّه وجب أن يوزّع "العظيم بالرحمة" خيراته على الأعداء الذين تمتّ مصالحتهم، فهذا يحقّقه الروح القدس إذ إنّنا انحدر على الرسل. لذا فصلاح الروح القدس تجاه البشر إنّما يدعى شركة". ويتابع كاباسيلاس فيتساءل: ما الحاجة إلى هذه الصلاة في هذا الموضع طالما أنّ جميع هذه الخيرات سبق أن أعطيت للبشر عندما

أتى المسيح إلى الأرض؟ ويجب هو نفسه: "من الجليّ أنها أعطيت لكي لا نفقدها طالما أننا حصلنا عليها، ولكن لكي نخوزها أيضاً حتى النهاية. لذلك لم يقل الكاهن: "لتعطى لجميعكم"، فقد سبق ومُنحت، بل "لتبقى مع جميعكم، أي "لتكن مع جميعكم" ٥٨٨.

القدّاس الالهى هو شركة الانسان في نعمة الاله الثالوثي. الحياة التي تقدّم للانسان وتحييه، هي مقدمة الثالوث الكليّ قدسه: "حياتنا ممنوحة من الله بالمسيح في الروح القدس" كما يقول القديس باسيليوس الكبير. كلّ بركة إلهية ترد إلى الانسان من الآب بالابن في الروح القدس: "من الآب تأخذ علّتها، وبالابن يتم ورودها، وبالروح القدس تبلغ كماها" ٥٨٩. لأنّ "أقانيم الثالوث القدّوس غير منفصلة، وحيث شركة الروح القدس، فهي تعود أيضاً للابن وحيث ترد نعمة الابن، فهي أيضاً للآب وللروح القدس". بحيث "واحدة هي الهبة وواحد هو سلطان الآب والابن والروح القدس" ٥٩٠.

* * *

وجواب الشعب على بركة الكاهن الثالوثية يدلّ كيف أنّ المؤمنين يشتركون على نحو فاعل في كلّ لحظة من القدّاس الالهى لاتمامه. ويقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم في هذا الصدد: "الكاهن لا يقترب من القرايين الموضوعه أمامه، قبل أن يدعو لكم بنعمة الربّ وتجيّونه أنتم: "ومع روحك". ويأجابتكم هذه تذكرون أنفسكم أنّ الكاهن لا ينجز شيئاً، وأنّ القرايين المقدّمة ليست إنجازاً بشرياً، بل نعمة الروح القدس، الحاضرة والمتعالية على الجميع، هي الفاعلة أولاً وأخيراً في هذه الذبيحة السريّة" ٥٩١.

الكاهن: لنجعل قلوبنا فوق.

الشعب: هي لنا عند الربّ.

■ إلى فوق، إلى العلى، نحو عرش الله

يقول المقطع الانجيلي حول تجلّي المسيح: "أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وحدهم. وتغيّرت هيئته قدّامهم"^{٥٩٢}. والأمر عينه يحصل في عجيبة التجلّي الليتورجي: نعمة ربّنا يسوع المسيح تأخذنا من هذا العالم الذي نعيش فيه، وتصعد بنا إلى الجبل العالى، جبل محبة الآب، حيث يتم سرّ شركة الروح القدس.

عندما طلب الله من ابراهيم أن يضحّي بابنه الحبيب اسحق، قال: "خذ ابنك وحيدك الذي تحبّه اسحق، واذهب إلى أرض المريّا وأصعده هناك محرقة". ويحسّنا الكاهن أن نلج نحن أيضاً ذلك المرتفع لكي نقدّم تقدمة قرايئنا الشكرية. ويقول الذهبيّ الفم: لا تدع أيّاً من الأهواء الغاشمة يقيم معك في مكان تقدمة القرايين. أصعده على انفراد إلى ذلك المكان حيث لا ينبغي أن يرتفع كل ما هو ارضي. دع في المنحدر أسفل كلّ هوى غير عاقل. "ولا يشغلنك في ذلك الوقت أمر من الأمور، بل ارتفع إلى السموات"^{٥٩٣}. "وإذا كان قلبنا إلى فوق، نحو الله، فلنعاين هذا المشهد العظيم، أعني بذلك قيام الطبيعة البشرية أبدياً مع نار الألوهة غير الهولي"^{٥٩٤}.

"لنرفع قلوبنا إلى فوق"، هذا ما يقوله الكاهن. على هذا النحو يدلّنا إلى المكان حيث سيتم لقاء النفس المحبّة لله بالمسيح الختن. هذا المكان ليس محدّداً. إنه عبارة عن سلّم إلهيّ ترتكز قاعدته على المائدة المقدّسة بينما قمّته ليست في متناول ناظر الانسان. وما يميّز القدّيسين هو حركتهم الدائمة، فهم ينتقلون من المائدة المقدّسة إلى مشاهدة النور غير المخلوق للألوهة المثلثة الشموس، ومن ثم يعودون إلى المائدة المقدّسة الملائى بالنور. والمسيح، وهو نور العالم، قد ربّ فوقها "جسده النوراني"^{٥٩٥} لكي يغتذي العالم به ويحيّا.

وتصعد النفس دون توقّف. وكلّما صعدت أكثر، كلّما لهّثت وراء علوّ آخر. الصعود يوقد الرغبة، وغذاء سرّ الشكر يسدّ جوع المشاهدة السريّة. ويقول القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث، وقد عاين الجمال الإلهي، وتناول غذاء عدم الفساد: "أمر

واحد صعب الادراك عليّ، إنني لا أعرف ما الذي ييهجني أكثر، أهى مشاهدة نقاوة أشعة الشمس والاعتباط بها، أم هو تناول وتذوق الخمر الذي هو داخل فمي، فأنا أريد أن أرى هذه (أي أشعة الشمس). ويشدني ذاك (أي الخمر) ويبدو لي أكثر حلاوة، وعندما أسعى إلى تلك، أقصد نور النعمة الإلهية، فإنني من جديد أستعذب أكثر حلاوة مذاق الخمر. بيد أنني لا أرتوي، لا من مشاهدة أشعة الشمس، ولا من شرب ذاك الخمر، لأنه عندما يبدو لي أنني أرتويت من الشرب، أجد نفسي مدفوعاً إلى جمال الأشعة المرسلة، إلى عطش أكبر، فأجد نفسي مجدداً في عطش وجوع^{٥٩٦}.

وتصعد النفس للقاء الله. يشدّها الجهد الذي تبذله ويريحها من عنائها. فيكتشف متسلّق جبل ثابور الليتورجي قوى جديدة في نفسه على الدوام: "ينطلق نحو الأعالي دون توقّف، مجدداً دوماً قواه للتسلّق بما سبق تحقيقه"^{٥٩٧}.

وتهذي النفس، فلا تطلب من الله أن تشاهده بالمقدار الذي تسمح به قواها، بل ترغب أن تشاهده كما هو. فتتنازل المحبة الإلهية لشوق الإنسان الكبير: "أن يرى الإنسان الله معناه ألا يبلغ شوقه نحو الله مطافاً على الإطلاق"^{٥٩٨}.

"هي لنا عند الرب". إنه جواب المؤمنين وبه يؤكّدون أنهم ارتفعوا "إلى فوق، إلى العلى... نحو عرش الله". وقلوبنا تخبر الكاهن أنها فوق "حيث المسيح جالس عن يمين الله"^{٥٩٩}.

الكاهن: لنشكر الرب.

الشعب: لحقّ وواجب.

■ لنشكر الرب

بات المؤمنون مستعدّين للتقدّم نحو الشكر الإلهي. وهذا بالضبط ما يحثّ عليه الكاهن: "لنشكر الرب". لنشكره بالسرّ المقدّس، سرّ الشكر الإلهي!

الطريقة المثلى لنحفظ عطايا الله، كما يقول الذهبيّ الفم، هي أن نتذكّرها ونشكر الربّ لأجلها على الدوام. "لأجل ذلك تدعى <شكراً> الأسرار التي يجري تميمها عند التثام المؤمنين، والتي بواسطتها تُمنح نعمة الخلاص بغزارة، فهي تؤلّف تذكّار العديد من الاحسانات وتكشف لنا عن قمّة العناية الإلهيّة. تهيّئنا هذه الأسرار بكلّ طريقة ممكنة لنشكر الله... والكاهن بدوره يحثنا في الوقت الذي تتمّ فيه هذه الذبيحة، على شكر الله لأجل المسكونة قاطبة، لما مضى ولما هو حاضر، لأجل كلّ ما حصل، ولما سيحصل. فهذا الشكر يحرّنا من الأرض ويرفع بنا إلى السماء. ومن بشر كما هي حالنا، يجعل منا ملائكة"^{٦٠٠}.

نشكر الله لعطاياه الإلهيّة، وسرّ الشكر نفسه هو عطية جديدة من الله، فبينما لا يضيف هذا السرّ على الله شيئاً، "يجعلنا نحن أخصّاء أكثر"^{٦٠١}. نحن في سرّ الشكر نغدو أخصّاء الله.

❧ لحقّ وواجب

ويجب المؤمنون على نداء الكاهن: "لنشكر الربّ" أنه لحقّ وواجب. فيظهرون اتّفاقهم، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، على إقامة خدمة سرّ الشكر الإلهي: "عندما يتفق المؤمنون كلّهم ويهتفون <لحقّ وواجب> عندها يقدم الكاهن الشكر الإلهيّ لله"^{٦٠٢}.

جوابهم يكشف، حسب الذهبيّ الفم، عن وحدة جسد المسيح ومساواة الكاهن والمؤمنين أمام العطايا الإلهيّة: "شكر الله مشترك، فالكاهن لا يشكر لوحده، لكنّ الشعب كلّه يشترك معه. وعندما يبدأ الكاهن، يتفق الجميع أن ما يحصل هو حقّ وواجب. عندها يبدأ الكاهن الشكر الإلهي"^{٦٠٣}. ويشترك الشعب بأسره في رفع الشكر، ويسير مع الكاهن مسيرة واحدة.

في طريقنا نحو "الحياة الجديدة نرتل مع القدّيسين ترنيمة جديدة: حرّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف... وهم يرّمون ترنيمة جديدة

قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختمه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة... ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش...: مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة... وكانت الحيوانات الأربعة تقول: آمين. والشيوخ الأربعة والعشرون خرّوا وسجدوا^{٦٠٤}.

ويقول الكاهن: بحق وواجب نسبحك ونباركك ونحمدك ونشكرك ونسجد لك في كل مكان سيادتك. لأنك أنت الإله الذي لا يوصف، ولا تحدّه العقول، غير المنظور، غير المدرك، الدائم وجوده، الثابت الوجود، أنت وابنك الوحيد وروحك القدوس، أنت أبرزتنا من العدم إلى الوجود، ولما سقطنا عدت فأقمنا وما برحت تصنع كل شيء حتى أصدعتنا إلى السماء ووهبت لنا ملكك العتيد. فمن أجل كل ذلك نشكرك أنت وابنك الوحيد وروحك القدوس على كل الاحسانات الواصلة إلينا، التي نعلمها، والتي لا نعلمها، الظاهرة وغير الظاهرة، ونشكرك أيضاً من أجل هذه الخدمة التي ارتضيت أن تتقبلها من أيدينا. مع أنه قد وقف لديك ألوف رؤساء الملائكة، وربوات الملائكة، والشاروبيم الكثيرو العيون، والسرافيم ذوو الستة الأجنحة متعالين ومجنّحين.

ويعلم: بتسبيح الظفر مرّمين وهاتفين وصارخين وقائلين.

■ أشكر وأسجد لك أيها الملك الكليّ قدسه

أخرج الإله الثالوثي الإنسان من العدم إلى الوجود، لأنه كان ينبغي للصالح أن يفيض ويمتد^{٦٠٥}.

خلق الإنسان وأقامه إلى جانبه، مرّماً لمجده. ولما سقط الإنسان، أقامه مجدداً وأعادته إلى السماء. لأجل ذلك صار المسيح إنساناً، يقول الذهبيّ الفم، "ولم يتوقّف أن يصنع ويدبّر كل شيء، ويعتني لأجل كل شيء، بحيث رفع عدوّ الله وخصمه

(أي الانسان) إلى الله ونفسه وجعله محباً للبشر... اتخذ المسيح بطريقة من الطرق تقدمة مختارة (باكورة) من الطبيعة البشرية ورفعها كقربان إلى الله السيّد. وكما يحصل عندما يجمع أحدهم سنابل من الحقل ويصنع منها باقة ويقدمها إلى الله، فتغدو هذه التقدمة البسيطة مستمطرة لبركة الله على الحقل كله، هكذا فعل المسيح أيضاً... فقد قدّم للآب قرباناً مختاراً من الجنس البشري، أعني جسده هو. وتعجّب الآب لهذه التقدمة لأجل قيمة ذاك الذي صنع التقدمة، ولأجل كونها بلا عيب - إلى درجة أنّه تقبلها في يديه، وأقامها إلى جانبه وقال: "اجلس عن يميني". فلأيّ من الخلائق قال الله "اجلس عن يميني؟" لذلك الذي سمع في وقت ما "من التراب أنت وإلى التراب تعود"... فتأمل كم انحدر الانسان إلى أسفل وإلى أيّ علوّ ارتفع! لم يكن هناك مكان أسفل أكثر من الذي بلغ إليه، ولا مرتفع أعلى من الذي رفعه إليه المسيح^{٦٠٦}.

نشكر الله على كلّ ما نعلم وما لا نعلم، الظاهر وغير الظاهر: "أشكرك وأسجد لك، أيّها الملك الكليّ قدسه، لأنك أنت وحدك غير المائت، الكليّ القدرة، الصالح والمحّبّ البشر، قد انحدرت، قبل أن أولد، من علياء قدسك وأتيت إلى الأرض وتجسّدت ووُلدت من العذراء القدّيسة، لكي تُعيد جبليّ وتحييني وتعتقني من خطيئة الجدّ الأوّل وتهيئني للصعود إلى السماء. ومن ثمّ، لما ولدت وكبرت قليلاً، جدّدتي أنت بإعادة جبليّ بالمعمودية المقدّسة وزيّنتني بنعمة روحك القدّوس ووهبتني ملاك نور حارساً... إلّا أنّ كلّ ما أنعمت به عليّ... لم يجد أيّ اعتبار عندي، فقد رميت نفسي أنا الشقيّ في جبّ أفكار دنسة وأفعال سمجة. ولما علقت في الحبّ، سقطت في يدي لصوص مختبئين هناك... وإن كنت أنا الأسير لديهم، فرحاً، لأنني عديم الاحساس، إلّا أنّك أنت أيّها السيّد، لم تطق أن تراني على هذه الحال... بل رثفت بي ورحمتني... ومددت يدك الطاهرة إليّ أنا المنغمس في عمق تلك الحمأة، ولم أكن أراك. هكذا أمسكتني من شعر رأسي... وأخرجتني من هناك باستخدامك قوّة كبيرة. منذ ذلك الحين إذاً، ارتضيت أن تأتي نحوي مراراً أنت العديم الكبرياء، إلى الوقت الذي وقفت فيه إلى جانب النبع. فأخذت برأسي وغطّسته داخل المياه، وجعلتني

أرى نور وجهك بوضوح. وللحال ارتفعت واختفيت عن الأنظار، دون أن تدع لي المجال أن أدرك من أنت، يا من فعلت كل هذه الأمور، من أين أتيت وإلى أين تذهب" ٦٠٧.

نشكر الله على كل شيء. نشكره على القداس الإلهي الذي يقبله من أيدينا. كان باستطاعة الله أن يولي القوات الملائكية الفائقة الطهارة خدمة سر الشكر باستحقاق، لكنه عوض ذلك أهّلنا نحن البشر لأداء هذه الخدمة، وهو يقبل من أيدينا غير الطاهرة القرايين المقدسة.

نشكره لأجل سر الشكر الإلهي. وهو، بعد أدائنا الشكر له، يمنحنا نعمة أعظم. "فالشكر الصاعد من قلب الشاكر يدفع بالمعطي إلى إعطاء مزيد من العطايا أعظم من سابقاتها". فتطول هذه السلسلة المعبودة: نعمة - شكر - نعمة... ونلمس غزارة النعمة وفيضها: "فالإنسان الذي يكنّ الامتنان لخالقه إنّما هو إناء لصلاحه وأداة لتمجيده" ٦٠٨.

نشكر اسمه الكليّ قدسه مرّات لا تنتهي، نمجّده ونسبّحه قائلين: "إذ كنت إلهي أيّها الصالح، ترأّفت عليّ لدى سقوطي، فارتضيت أن تنحدر إليّ ورفعني بصليبك لأهتف إليك صارخاً: قدّوس ربّ المجد الذي لا مثيل له في الصلاح" ٦٠٩.

✦ غلبة المسيح

الختم الذي نطبع به القرايين يكرز بغلبة المسيح: يسوع المسيح الغالب. أمّا النشيد الذي نرتله عند تقديم القرايين فيسبّح غلبة المسيح. إنه "نشيد الظفر". إنه نشيد الانتصار والامتنان العميق نحو ربّ القوات ٦١٠.

ويقول القدّيس مكسيموس: إنّ نشيد الظفر المثلث التقديس هو كشف لوحدة العالمين السماويّ والأرضيّ، فهو يرتلّ منهما بآن معاً. ملائكة، بشر، خليفة ماديّة، عالم عاقل، عالم ماديّ، عالم عقليّ، كلّها تسبّح مشتركة نشيد غلبة الإله - الإنسان: "بواجب الاستئصال حقّاً ينبغي ويجدر أن نسبّحك... يا من السموات وسموات

السموات وسائر قوّاتها، الشمس والقمر والنجوم، الأرض، البحر وكلّ ما فيهما،
أورشليم السماويّة، محفل المختارين، كنيسة طليعة المسجّلين في السموات، أرواح
الصدّيقين والأنبياء، نفوس الشهداء والرسل، الملائكة، رؤساء الملائكة، عروش،
ربوبيّات، رئاسات وسلطات، قوّات رهيبة، الشروبيم الكثيرو العيون، السرافيم ذوو
الستّة الأجنحة... كلّها تسبّحك بأفواه لا تصمت، بأقوال لاهوتيّة، بتسبيح الظفر
مرنّمين ومسبّحين مجدك العظيم الجلال صارخين وهاتفين بصوت جهوريّ: قدّوس
قدّوس قدّوس ربّ الصباؤوت^{٦١١}.

مزدوج هو معنى نشيد الظفر على شفاه القوّات الملائكيّة، الذي رنّمته حول
العرش المقدّس، كما شاهد النبي أشعيا في رؤيته. "تمجيد" و"نبوءة" في آن معاً.
"هذا النشيد ليس تمجيداً فقط، بل نبوءة أيضاً بالخيرات التي ستمنح
للمسكونة... <مجده ملء الأرض كلّها>. قوله هذا كان نبوءة دقيقة... فمتى امتلأت
الأرض أبداً من مجد الله؟ عندما طفح هذا النشيد من السماء وتدفّق على الأرض
وغدا البشر جوقاً واحداً مع القوّات الملائكيّة، مرسلين النعمة نفسها نحو الله ومقرّبين
تمجيداً مشتركاً^{٦١٢}.

ويبقى هو نفسه معنى نشيد الظفر على شفاهنا أيضاً. إنّ "تمجيد" لغلبة المسيح
التي سبق أن تحقّقت، و"نبوءة" بالمجيء الثاني للظافر. إنّها بشارة بالظهور الأخروي
لابن الانسان، بينما تتقدّم علامة غلبته، أي الصليب. "عندها ستخرّ كلّ الأمم
والشعوب التي ظهرت قديماً وتقدّم السجود دون امتعاض، ويحلّ عندئذ توافق مجدلة
عظيم: سيسبّح الأبرار كما فعلوا دوماً، بينما سيتضرّع الخطاة عن اضطرار. وعندها
سيرتل نشيد الظفر من الكلّ فعلاً، بصوت متّفق: من الغالبين والمغلوبين بآن
معاً^{٦١٣}.

أتى الملكوت وسيأتي. وكما الظافر هو "الكائن والذي كان والذي يأتي"،
كذلك هي غلبته، فهي كائنة وكانت وستبقى غير متزعزعة. وكذلك هي الحال
بالنسبة لنشيد ظفّره. ويخبرنا القدّيس مكسيموس أنّه في القدّاس القائم في السماء

ستقوم حركة دائمة وثابتة حول الله، حركة الملائكة والبشر الذين سيمجدون الألوهة الواحدة والمثلثة الأقانيم^{٦١٤}.

* * *

تظهر الطغيمات السماوية، في القداس الالهي، على شكل حيوانات أربع "مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء. والحيوان الأول شبه أسد، والحيوان الثاني شبه عجل، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه انسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة: قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي"^{٦١٥}.

الحيوانات الاربعة الكثيرة العيون ترمز إلى القوّات الملائكية وهي: ملك الحيوانات الضارية (الأسد)، ملك الحيوانات الداجنة (الثور)، ملك الطيور (النسر)، وملك الخليقة (الانسان). هذه الحيوانات الاربعة ترتل ليل نهار نشيد الظفر نحو الرب الضابط الكل: النسر مرّناً، الثور هاتفاً، الأسد صارخاً، والانسان قائلاً^{٦١٦}.

هكذا تشترك الخليقة كلها في تمجيد الله.

ويقول الشعب: قدوس قدوس ربّ الصباؤوت. السماء والأرض مملوءتان من مجدك. أوصنا في الأعالي. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي^{٦١٧}.

■ نشيد الظفر

يجمع نشيد الظفر من جهة بين نشيد الملائكة المثلث التقديس الذي سمعه أشعياء النبي عندما دعاه الله إلى الاستحقاق النبوي، ومن جهة أخرى بين النشيد الذي به استقبل الشعب في المدينة المقدسة الاله - الانسان "المقبل إلى آلامه طوعاً". ونحن عند

ترتلنا هذا النشيد في القدّاس الإلهي، فإنّنا نتشبه بالملائكة وبالشعب المتواجد في المدينة المقدّسة بآن، فنسبح السيادة المثلثة الشמוש ونمجّدها ونستقبل في اجتماعنا المقدّس "ملك الملوك الذي يوافي ليذبح ويعطي مأكلاً للمؤمنين"^{٦١٨}.

ويقيم الذهبيّ الفم مقارنة بين نشيد الظفر وتسبيحة العبرانيين لما انعتقوا من عبوديّة المصريين^{٦١٩}: "إنّ نشيد الظفر هو أبهى بكثير. فهناك لم يغرق المصريون بل الشياطين، ولم يُغلب فرعون بل الشيطان، ولم تحكم السيطرة على أسلحة منظورة بل أبطل الشر... لبسنا نوافي إلى أرض الميعاد لكننا نتقل إلى السماء. لا نأكل بعد منّا، بل نتغذى بجسد السيّد. ولا نشرب ماء من الصخرة بل دماً من جنب السيّد"^{٦٢٠}.

الآن تتحد السماء والأرض، فيشارك ملائكة وبشر معاً في تمجيد الرب. ويسألنا الذهبيّ الفم في هذا الصدد: "فهل تعرّفتم يا ترى إلى هذا الصوت؟ أهو صوتنا أم صوت السرافيم؟ إنّه صوتنا وصوت السرافيم بفضل المسيح الذي حطم السياج المتوسّط وأحضر السلام إلى السماء والأرض... فقبلاً كان هذا النشيد مرتلاً فقط في السموات. إلا أنّ السيّد أحضره معه لما ارتضى أن ينزل إلى الأرض.

هوذا السبب الذي من أجله رئيس الكهنة، عندما يقف أمام المائدة المقدّسة، مقدّماً العبادة العقليّة... لا يدعونا فقط ولجّرد ترنيم هذا النشيد، بل يذكر أولاً الشروبيم والسرافيم، ومن ثمّ يحثنا جميعاً أن نرفع صوتاً مليئاً رهبة، مقتلعين أذهاننا من الأرض عندما نتذكّر من نتشارك وإياهم جوقاً واحداً.

الأمر هو كما لو كان الكاهن يصرخ قائلاً لكل واحد منّا: أنت ترتل مع السرافيم! قف معهم وافتح جناحيك مثلهم وخلق حول عرش الملك"^{٦٢١}.

وترد في كتاب "الليموناريون" الحادثة التالية: "قبل أن يتدنّس جبل سيناء من البربر... أقيم في يوم العنصرة قدّاس إلهي على القمّة المقدّسة، حيث اجتمع العديد من الرهبان. وعندما هتف الكاهن بالاعلان: <بتسبيح الظفر مرّنين وهاتفين ومسبحين مجدك العظيم الجلال صارخين وهاتفين بصوت جهور>، سُمع صوت ردّته الجبال

بصوت مخيف: قدّوس قدّوس ربّ الصباؤوت إلخ... وبقي هذا الصوت يدويّ
مدة نصف ساعة. أمّا هذا الصوت فلم يسمعه الجميع، فقط الذين كانت عندهم
آذان لسماع نشيد الملائكة^{٦٢٢}.

ويقول الكاهن: ومع هذه القوّات المغبوبة، أيّها السيّد المحبّ البشر، نهتف نحن
أيضاً ونقول: قدّوس أنت وكلّيّ القدس، أنت وابنك الوحيد، وروحك القدّوس،
قدّوس أنت وكلّيّ القدس ومجدك عظيم الجلال يا من أحببت عالمك بهذا المقدار،
حتى أنّك بذلت ابنك الوحيد، لكي لا يهلك من يؤمن به، بل يحصل على الحياة
الأبدية^{٦٢٣}، فإنّه لما أتى وأتمّ كلّ التدبير الذي من أجلنا، ففي الليلة التي فيها أسلم،
والأولى أنّه أسلم ذاته من أجل حياة العالم^{٦٢٤}، إذ أخذ خبزاً بيديه المقدّستين
الطاهرتين البريئتين من العيب، وشكر وبارك وقدّس وكسر، أعطى تلاميذه الرسل
القدّيسين قائلاً: "خذوا كلوا هذا هو جسدي، الذي يكسر من أجلكم لمغفرة
الخطايا^{٦٢٥}".

الشعب: آمين.

الكاهن: وكذلك بعد العشاء قائلاً: اشربوا منه كلّكم، هذا هو دمي الذي
للعهد الجديد، الذي يهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا^{٦٢٦}.

الشعب: آمين.

■ يا من أحببت عالمك بهذا المقدار

عظم العطية التي صنعها الله الآب للعالم تظهر لنا مقدار محبّته للعالم: "يا من
أحببت عالمك بهذا المقدار حتى أنّك بذلت ابنك الوحيد". بذل ابنه الوحيد عن
العالم المائت لكي يعود من جديد إلى الحياة. "ليس لأنّه لم يكن بمقدوره أن يخلّصنا
بطريقة أخرى، بل ليظهر لنا محبّته التي تفوق على كلّ شيء. لقد جذبنا إلى قربهِ

بموت ابنه الوحيد، ولو كان لديه ما هو أكرم من ابنه، لبذله عنا، لكي يكون جنس البشر قربه^{٦٢٧}.

ويفسّر الذهبيّ الفم قول المسيح: "هكذا أحبّ الله العالم" فيكتب في صده: "انظر كم أنّ القول مثير للعجب. فيقول <هكذا> ويقصد <بهذا المقدار>، وهو يفتكر عِظَمَ ما سيلي قوله. لذلك اختار أن يبدأ كلامه على هذا النحو. أيها المغبّط يوحنا قلّ لنا ما هو المقدار؟ أخبرنا عن المقياس. اشرح لنا المبالغة: <بهذا المقدار أحبّ الله العالم حتى أنه أعطى ابنه الوحيد>. كلّ كلمة تحمل معنى بالغاً، فهذه العبارة تشير إلى شدّة وقوّة محبة الله. فالمسافة بين الله والانسان عظيمة ولا تقاس. لكنّ الله غير مائت، ولا بدء له وعظمته لا حدّ لها، وقد أحبّ الذين جُبلوا من تراب ورماد، الذين كانوا محمّلين بخطايا كثيرة، الذين كانوا معادين دوماً لإرادته الإلهيّة، الذين ظهرُوا عديمي الشكر والاحسان^{٦٢٨}.

إذاً، ذبيحة المسيح هي كشف للمحبة الإلهيّة: "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا بل هو أحبنا وأرسل ابنه كفّارة لخطايانا"^{٦٢٩}.

❖ حتى أنّه بذل ابنه الوحيد

نعيش في القدّاس الإلهي سرّ ذبيحة المسيح على الصليب. أثناء القدّاس الإلهي "الربّ حاضر ويُجري تتميم موته وذبيحته الرهيبة". ويقول القدّيس يوحنا: "ليكن فيكم وقار وورع نحو هذه المائدة الشريفة، نحو المسيح المذبوح عنا، نحو الضحيّة الموضوعة فوق المائدة"^{٦٣٠}.

منذ العشاء السريّ يقدّم المسيح جسده المقدّس لتلاميذه مجزّءاً، وهو نفسه ينعت دمه المقدّس "مهراقاً". في العشاء السريّ تمكّن المسيح من اللحاق، بطريقة لا يدركها الذهن البشريّ كما يقول القدّيس غريغوريوس النيصصي، بحوادث التسليم والمحاكمة

والصلب. وعندما قدّم جسده المقدّس للاثني عشر غذاءً "أظهر بجلاء أنّ ذبيحة الحمل قد تمّت للتوّ"^{٦٣١}. والعشاء سريّ، كشف لنا الذبيحة الخلاصيّة وعلمنا أن نلج إليها.

أمّا البار نيقولاوس كاباسيلاس فيقول في معرض حديثه عن القدّاس الالهّي إنّ "هذه الذبيحة ليست صورة ذبيحة أو رمزاً لها، لكنّها بالأحرى ذبيحة حقّة"^{٦٣٢}.

القدّاس الالهّي هو فعلاً ذبيحة لأنّ المسيح يُذبح ويقدّم إلى المؤمنين مذبحاً: "أنت تتقدّم من ذبيحة رهيبة مقدّسة، يقول لنا الذهبيّ الفم، فالمسيح موضوع أمامك مذبحاً"^{٦٣٣}.

ذبيحة الجلجثة وذبيحة الشكر هي واحدة لأنّ الحمل واحد: "فالسّر رمز للذبيحة، والذبيحة رمز للسّر. فنحن نقدّمه هو دوماً... بحيث إنّ الذبيحة هي واحدة... ولا ذبيحة أخرى غيرها... بل نحن صانعون الذبيحة نفسها على الدوام"^{٦٣٤}.

* * *

سرّ الشكر هو سرّ موت المسيح على الصليب، فعندما نشترك في الشكر، نتذوّق ثمار ذبيحة المسيح.

بصليب المسيح، يقول الدمشقيّ: "أبطل الموت... مُنحت القيامة... انفتحت أبواب الفردوس... وصرنا أبناء الله وورثة"^{٦٣٥}. تحرّر الانسان من عبوديّة الشيطان وتجدد جماله الأوّل أيضاً: "فبصعود المسيح على الصليب وموته وقيامته تثبتت حرّيّة البشر وصار تجديد الصورة والجمال"^{٦٣٦}. الانسان والعالم أجمع تقدّسا إلى الدهور: "بضعة قطرات دم تعيد خلق العالم بأكمله، وتغدو غذاءً لكلّ البشر وتربط بيننا فتجمعنا إلى اتّحاد واحد"^{٦٣٧}.

اجتماع المؤمنين الشكريّ في وحدة المحبّة، هو ثمر ذبيحة الربّ على الصليب، ونحن نتمتع به في القدّاس الالهّي. على المائدة المقدّسة نشاهد الأصل الذي أفرع عود "الحياة". إنه محبّة الله للانسان. ونتساءل مع البار نيقولاوس كاباسيلاس: "أي شيء

يمكن مقارنته بهذه المحبة؟... أي أم انكشف حنانها بهذا المقدار؟... أي أب يحب أولاده على هذا النحو؟ من من الصالحين، أحب، ولو بمقدار صغير، يمثل هذا العشق الجنوني؟^{٦٣٨}.

هكذا نلتقي الأب الوادّ التحنّن على "مائدة الحياة". ومحبته هي الأصل الذي أفرع الصليب وثمره بآن.

❖ في الليلة التي فيها أسلم

القدّاس الإلهي هو الامتداد الأسراري للعشاء السري، وليس هو استعادة رمزية بل هو العشاء السري نفسه. المسيح نفسه هو الذي يقدم ويقدم. ويحتنا الذهبي الفم قائلاً: "آمنوا أنّ السرّ القائم الآن هو نفسه العشاء الذي جلس فيه المسيح. فما من اختلاف بين هذا السرّ والعشاء السري. المسألة ليست أنّ إنساناً يقيم السرّ بينما المسيح يقيم العشاء. إنّ المسيح هو الذي يقيم هذا السرّ وذاك العشاء". القدّيس قاطع ونهائي في حديثه، فأقواله نابعة من حياته المقدّسة: "الذي صنع ذاك العشاء هو نفسه يتمم الآن هذه الأسرار... فهذه المائدة هي تلك نفسها تماماً، وما من نقص أو عيب يعرفها على الإطلاق"^{٦٣٩}.

المسيح، وهو النور الذي أضاء في العشاء السري، يضيء بحضوره في كلّ عشاء لسرّ الشكر. حضور المسيح هو "الزينة الإلهية" للعشاء السري: "المسيح حاضر الآن أيضاً، فهو زين تلك المائدة والآن ها هو يزين هذه". والمسيح، لما قدّم ذبيحة نفسه، "لم يعطل كما يقول البار كاباسيلاس، الكهنوت، غير أنّه يمارس على الدوام هذه الليتورجية لأجلنا، متضرّعاً إلى الله من أجلنا إلى مدى الدهور"^{٦٤٠}.

لقد تحدّث سليمان الحكيم نبوياً عن "عشاء الحياة": "الحكمة بنت بيتها... ربّت مائدتها، أرسلت جواربها وتنادي على ظهور أعالي المدينة. من هو جاهل فليمل إلى هنا. والناقص الفهم قالت له: هلمّوا كلوا من طعامي، واشربوا من الخمر التي مزجتها. اتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا في طريق الفهم". ويلاحظ القدّيس كيرلس

بطريرك الاسكندرية: "إنَّ ما يتحدَّث عنه سليمان هو رمز لما يقام الآن في القداس الالهى. ويشكِّل أيضاً التَّعَمُّ الروحى، تنعم تلك المائدة الغنيَّة التي أعدَّها الله العظيم العطايا. العطايا الالهية أمامنا. المائدة السريَّة قد تزيَّنت. الكأس المحيى قد امتلأ. ملك المجد يدعو إلى العشاء، ابن الله يستقبل المدعوين... حكمة الله الآب ذات الأقنوم توزَّع جسدها على شكل حمل وتقدِّم ذمَّها المحيى على شكل خمر. ما هذا السرُّ الرهيب! ما هذا التدبير الذي لا يوصف! ما هذا التنازل، تنازل الله غير المدرك! ما هذه الرأفة الغامضة الوصف!"^{٦٤١}.

ومشاركتنا في عشاء المسيح هي تذوق لمحَبَّته ومشاهدة لها: "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب"^{٦٤٢}. يبدأ يوحنا الانجيلي سرده للعشاء السريَّ مشدداً على أنه كان تعبيراً عن محبة المسيح لنا: "قبل عيد الفصح... إذ قد أحبَّ (يسوع) خاصَّته الذين في العالم، أحبَّهم حتَّى المنتهى؛ فلما منح الاثني عشر ذاته غذاءً عدم الفساد، سلَّمهم أيضاً الوصية الجديدة، وصية المحبة: وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبُّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم، ومن ثمَّ يكشف أبعاد محبَّته لنا، فيشرح وجه الشبه قائلاً: "كما أحبَّني الآب كذلك أحبَّكم أنا. اثبتوا في محبَّتي"^{٦٤٣}.

باشتراكنا في عشاء الشكر نشترك في عشاء المحبة الالهية ونحن مدعوون أن نثبت فيها.

الكاهن بصوت منخفض: ونحن بما أننا نتذكَّر هذه الوصية وكلَّ الأمور التي جرت من أجلنا، الصليب والقبر والقيامة ذات الثلاثة الأيام، والصعود إلى السموات، والجلوس عن الميامن، والمجيء الثاني المجيد أيضاً.

ويعلم الكاهن: التي لك ممَّا لك نقدِّمها لك على كلِّ شيء ومن جهة كلِّ شيء.

الشعب: إياك نسبح. إياك نبارك. إياك نشكر يا ربَّ ومنك نطلب يا إلهنا.

❖ إننا مقيمون تذكّار الذبيحة

في العشاء السريّ قدّم المسيح لتلاميذه جسده المقدّس ودمه الكريم، ومن ثمّ سلّمهم هذه الوصيّة: "اصنعوا هذا لذكري"، فيعلّمنا على هذا النحو أنّ تذكّاره ليس أمراً فكرياً بل هو عمل، أي هو إقامة سرّ عشاءه.

وحتى لا نخطيء في فهم معنى هذا "التذكّار"، سلّمنا المسيح قبل ذلك وصيّة وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي... هذا هو دمي، اشربوا منه كلّكم. فتذكّار هذه الوصيّة وعمل التدبير الإلهي يقوداننا حتماً إلى التقديم الشكريّ فنقول: "ونحن بما أنّنا نتذكّر هذه الوصيّة وكلّ الأمور التي جرت من أجلنا... التي لك ممّا لك نقدّمها لك...".

والمسيح بسرّ العشاء، كما يقول الذهبيّ الفم، قد كهن تذكّار ذبيحته: "فبالأسرار يذكّر بالذبيحة". والمسيح عندما يتحدّث عن دمه أنّه دم العهد الجديد "يظهر لنا أنّه سائر إلى الموت، فيتحدّث عن عهد، مذكّراً على هذا النحو بالعهد القديم، فهذا العهد أيضاً قد ختم بدم^{٦٤٤}. ففي العشاء السريّ يتواجد، في شخص يسوع المسيح، الماضي (العهد السابق القديم)، والحاضر (العهد الجديد)، والمستقبل (الذبيحة الموضوعية).

بسرّ الشكر نكهن بالضبط ما كهنه المسيح. فسرّ الشكر هو "تذكّار ليتورجي لتلك المائدة الأولى، مائدة العشاء السريّ الدائمة الذكر". ويقول القدّيس ذيونيسيوس: "وبأيّ طريقة أخرى كان يمكن التشبّه بالربّ لو لم يكن تذكّار أعماله الكلية الشرف يتجدّد على الدوام بهذه الصلوات والخدم الشريفة؟"^{٦٤٥}.

نقدّم القرايين المقدّسة "مقيمين تذكّار موته". ونحن بهذا التذكّار لا نفكر فقط بذيبيحة المسيح وحسب، لكننا نعيشها أيضاً: "والآن أيضاً نقدّم الذبيحة، تلك التي قدّمت حينذاك والتي لا تفرغ أبداً... إنّنا نقيم بالحريّ تذكّار الذبيحة"^{٦٤٦}.

أمّا معنى التذكّار، فيشرحه لنا المسيح على لسان الذهبيّ الفم "فيقول (المسيح) متحدّثاً إلى تلاميذه: كما صنعتم ذلك (الفصح اليهودي) تذكّاراً لعجائب مصر، كذلك اصنعوا هذا (فصحي أنا) لتذكّاري". ويضيف قائلاً: "وكما يقول موسى أنّ "هذا سيكون لكم تذكّاراً أبدياً"، كذلك يوصي المسيح أن "يكون لكم تذكّاري، إلى أن أجيء". وقد قال المسيح فعلاً: "لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم في ملكوت أبي"^{٦٤٧}. هكذا، فبينما القدّاس الالهّي هو تذوّق مسبق لعشاء الملكوت، فهو أيضاً الحدث الذي يوحد بين العشاء السريّ وملكوت الله، فيُقام، في الفاصل الزمنيّ الممتدّ بينهما، القدّاس الالهّي. إنّ تذكّار العشاء الحامل الحياة، تذكّار كلّ ما جرى من أجلنا، وتذكّار الملكوت نفسه.

هكذا نلج بالقدّاس الالهّي إلى زمن يخرج عن معاييرنا ومقاييسنا كما نعرفه بشكل الماضي والحاضر والمستقبل. فالمستقبل (أي الملكوت الآتي) يضيء الماضي ويقدمه لنا كحاضر ثابت كلّ ضياء. في القدّاس الالهّي، وهو سرّ المسيح، كلّ شيء قائم في آن واحد، الألف والياء، البدء والآخر، البداية والنهاية: "انسكبت الحياة المستقبلية بطريقة ما، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، في هذا العمر الحاضر وامتزجت به". فنترجّي قيامة الموتى ونعيش منذ الآن في السماء: "فهذا هو السرّ الذي صنع الأرض سماءً"^{٦٤٨}.

داخل نعمة القدّاس الالهّي، المستقبلات هي "حاصلات" وتدعى كذلك لأنّ المسيح الكاهن والمكهون "يعلو على الزمان والمكان وعلى خاصيّات الأحداث". في القدّاس الالهّي نعيش الساعة التي "تأتي وهي الآن حاضرة". نعيش ساعة المسيح الذي "يذهب ويأتي" دون انقطاع^{٦٤٩}.

❖ التي لك ممّا لك نقدّمها لك

لقد أخذ الانسان العالم من يديّ الله هبة مليئة بركات إلهيّة، وتحذوه الرغبة الآن أن يعبر لله عن امتنانه، ولما كان لا يملك ما يمكنه أن يقدمه في المقابل، يعيد إليه

عندئذ الهبة نفسها. هكذا فإنّ العالم الذي وُجد مركبة حملت محبة الله للانسان، بعودته الآن إلى الله، يغدو مركبة تحمل شكر الانسان لله.

نقدّم لله الهبة التي منحنا إياها ونختتمها بعرفاننا للجميل. فحراثة الأرض، زرع الكرم، حصاد العنب، تخميره وعصره، تؤلّف كلّها ختم الانسان الذي يمهر به عالم الله. رغيف الخبز من القمح، الخمر الجيدة، الزيت الصافي، هي العالم الذي يعود إلى الله محملاً بأتعاب الانسان وجهاده وأفراحه ورجائه.

إلا أنّ هبة الله هذه لم تكن بركته الوحيدة لنا ولا العظمى. فالله قد أظهر محبته للانسان بخليقته الأولى وقدم إليه العالم هبة. وهو الآن يظهر محبته للانسان بخليقته الجديدة، لكنه هذه المرة يقدم ذاته هبة للانسان. لذلك لا نقدّم لله في ذبيحتنا الجديدة مجرد عناصر مادية من هذا العالم، إنّما نقدّم له المسيح نفسه. فالقرايين الموضوع على المائدة المقدّسة تعبّر بحقّ عن امتناننا لمحبته التي ظهرت في الخلق الأوّل للعالم وأيضاً في الخليقة الجديدة بالمسيح. وهذه القرايين هي الدليل على الحرية التي منحنا إياها المسيح مقدّماً ذاته "فداءً عن كثيرين". وهذا ما يقوله الكاهن بالضبط، في قدّاس القديس غريغوريوس اللاهوتي، قبل لحظة تقديس القدسات بقليل: "إليك أقدم رسم حرّيتي"^{٦٥٠}.

ويحمل الانسان هذه القرايين بيديه ويصعد بها الأنافورا المقدّسة نحو أعالي الله: "يصعد الطريق المؤدّي إلى الله مهتدياً بنور... يصعد بحقّ... ويسمع أقوالاً لا يُنطق بها، ويعاين مشاهد لا ترى. يمتلئ عجباً بجملته... ويجاهد مشتركاً مع المرّمين الذين لا يعرفون التعب (أي الملائكة)، صائراً هو نفسه ملاكاً أرضياً لله. به وبواسطته يقود الخليقة بأسرها إلى الله"^{٦٥١}.

بالانسان وبواسطته يبلغ العالم إلى المذبح الفائق على السموات، فيتقبّل هو أيضاً نعمة المعزّي التقديسيّ ويغدو جسد المسيح: هذه هي هبة الله الجديدة للانسان. والعالم يصبح الآن مكان لقاء المخلوق وغير المخلوق. يصبح سرّاً شكريّاً. ويتناول الانسان "الطعام الشكري"، المسيح، ويغدو مسيحاً^{٦٥٢}.

* * *

هكذا هي محبة الله للانسان حتى أنه يتقبل منا العطايا التي هو وهبنا إيّاها، كما لو كانت خاصّتنا^{٦٥٣}. ونحن نعتزف بواجبنا تجاه محبته. إنه واجب يصعب التعبير عنه.

"التي لك ممّا لك نقدّمها لك ونشكر". "إليك نقدّم تلك التقدمة نفسها التي قدّمها ابنك الوحيد، إليك أنت الله والآب. وبها نشكر لأنّ ذاك (المسيح) قد شكرك عند تقديمه إيّاها... كلّ ما نقدّمه لك قد منحنا إيّاها ممّا لك. إنّها لك على كلّ شيء ومن جهة كلّ شيء"^{٦٥٤}. وبتقديمنا للربّ ما هو له، نشكره على كلّ شيء ومن جهة كلّ شيء.

والغاية التي من أجلها أسّس الربّ السرّ، هي بالضبط كهنوت تذكّاره، لأنّ تذكّاره يقودنا إلى سرّ الشكر: "اصنعوا هذا لذكري، يقول (المسيح)، كاشفاً لنا علّة تسليم السرّ... لأنه عندما تفتكر بما عاناه السيّد من أجلك، ستغدو أكثر حكمة" كما يقول الذهبيّ الفم^{٦٥٥}. وتذكّار الاحسان يفرع سرّ الشكر، وسرّ الشكر يجعلنا أكثر حكمة، أي أنه يجعلنا أصدقاء المسيح الذي هو حكمة الله. ونحن نشكر على الدوام و"كلّ حين وعلى كلّ شيء، باسم ربّنا يسوع المسيح، الله والآب"^{٦٥٦}.

ويقول الكاهن بصوت منخفض: أيضاً نقدّم لك هذه العبادة الناطقة وغير الدمويّة. ونطلب ونتضرّع ونسأل. فأرسل روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعة أمامنا.

الشّمّاس: بارك يا سيّد الخبز المقدّس.

الكاهن: واصنع أمّا هذا الخبز فجسد مسيحك المكرّم.

الشّمّاس: آمين. بارك يا سيّد الكأس المقدّسة.

الكاهن: وأمّا ما في هذه الكأس فدم مسيحك المكرّم.

الشّمّاس: آمين. باركهما كليهما يا سيّد.

الكاهن: محوّلًا إيّاهما بروحك القدّوس.

الشّمّاس: آمين، آمين، آمين.

❖ قوّة الروح القدس المظلمة

قبل البدء بالأنافورا المقدّسة، يجري هذا الحوار بين الكاهن والشعب، في القدّاس الإلهي للقدّيس يعقوب:

الكاهن: عظموا الربّ معي ولنرفع اسمه بقلب واحد.

الشعب: الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظللّك.

هذا الحوار يذكرنا بما جرى بين المنعم عليها والدة الإله ورئيس الملائكة جبرائيل في يوم البشارة^{٦٥٧}.

القدّاس الإلهيّ بجملته هو عيد بشارة جديد، حيث الكنيسة تحتلّ مكان والدة الإله الكليّة الطهارة. فالكاهن بقوله "أرسل روحك القدّوس علينا" يرّدّد بشكل من الأشكال ما قالته الدائمة البتوليّة: "ها أنذا أمة للربّ، فليكن لي بحسب قولك"^{٦٥٨}. وعليه تقام خدمة بشارة الكنيسة الوالدة لله.

وكنيستنا المقدّسة تغدو بسرّ الشكر الإلهيّ أمّاً والدة لله ينحدر الروح القدس عليها وعلى قرابينها الإلهيّة فيتمّ الحبل بكلمة الله بحال سرّيّة. يولد الأزليّ ويقدم "من أجل حياة العالم". وتقبل الكنيسة ما تمّ بحسب "ما قيل لها من قبل الربّ": "هذا هو جسدي... هذا هو دمي".

في الحقيقة لقد أعطى الربّ وصيّة لتلاميذه أن يكهّنوا العشاء لتذكّاره لكنّه "كان مزماً أن يمنحهم القوّة ليستطيعوا إقامته"، أي أن يمنحهم الروح القدس. "فهذا السرّ هو عمل انحدار الروح القدس، لأنّ الروح القدس لم ينحدر مرّة واحدة ثم تركنا بعدها، بل هو معنا وسيبقى إلى الأبد... فهو الذي يتمم الأسرار بيد الكهنة ولسانهم".

"وتغدو القوّة المظلمة، قوّة الروح القدس عند استدعائه، مطر هذه الفلاحة الجديدة" كما يكتب القدّيس يوحنا الدمشقي^{٦٥٩}.

وحلول الروح القدس "علينا وعلى هذه القرايين" هو جواب الله على توسل أولاده. إنه الضمانة أن الله يعتبرنا أولاده، وأن هذه القرايين قد غدت مقبولة لدى محبته. ويقول الذهبي الفم: "لا يقيّن لديك أي شك في شأن مصالحتك مع الله، عندما ترى الروح القدس منحدرًا بغزارة" ^{٦٦٠}.

"بإمكاننا نحن أن نقيم العنصرة دوماً بالقدّاس الالهي، فلحظة انحدار المعزّي هي العنصرة الشكرية: "فهذا الزمن (زمن سرّ الشكر) يشير إلى ذاك (زمن العنصرة) ويرمز إليه" ^{٦٦١}. حضور المعزّي يجمع شعب الله حول المائدة المقدسة. يجمع رابطة الكنيسة الشاكرة: "لو لم يكن الروح القدس حاضراً لما تكونت الكنيسة وتألّفت. وبما أن الكنيسة موجودة، فمن الجلي أن الروح القدس حاضر" ^{٦٦٢}.

"كان المتوشّح بالله سمعان اللاهوتي الحديث يقول، كما لو كان يتحدث عن شخص آخر، راغباً في أن يخفي نفسه: سمعتُ أحد الكهنة المتوحّدين الذي أمّني سرّه أنّه لم يكن يوماً دون أن يرى الروح القدس، كما كان يراه عندما ورد عليه حينما رسمه الأسقف كاهناً في الوقت الذي كان يتلو فيه الافشين ممسكاً بكتاب الأفخولوجي فوق رأسه الحقير. فسألته كيف رأى الروح القدس في رسامته وبأي شكل؟ فأجابني أنّه رآه على نحو بسيط وبدون شكل، بمظهر نور... وإذ تعجّب ممّا يحصل... قال له ذاك (أيّ الروح القدس) بحال سرية: على هذا النحو آتي إلى سائر الأنبياء والرسل والقديسين وإلى مختاري الله الذين يعيشون في الوقت الحاضر. لأنني أنا هو روح الله القدّوس. له العزة والمجد إلى الدهور. آمين" ^{٦٦٣}.

الكاهن بصوت منخفض يقول: لكي يكون للمتناولين لانتباه النفس، ومغفرة الخطايا، وشركة روحك القدّوس وكمال ملكوت السموات، والدالة لديك، لا لمحاكمة ولا لإدانة. أيضاً تقرّب لك هذه العبادة الناطقة من أجل المتنيّحين بإيمان، الأجداد، والآباء، ورؤساء الآباء، والأنبياء، والرسل، والكارزين، والمبشّرين، والشهداء، والمعرّفين، والنسّاك، وكلّ روح صديق توفيّ بإيمان.

ويعلن قائلاً: وخاصة من أجل الكلية القداسة الطاهرة الفائقة البركات المجيدة سيّدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم.

والشعب يرتّل: بواجب الاستئصال حقاً نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريئة من كلّ العيوب أمّ إلهنا، يا من هي أكرم من الشروبيم وأرفع مجدداً بغير قياس من السرافيم، يا من بغير فساد ولدت كلمة الله، حقاً أنك والدة الاله إياك نعظم.

❖ وخاصة من أجل الكلية القداسة الطاهرة

نقدّم سرّ الشكر "لأجل كلّ القدّيسين وخاصة الكلية القداسة". أي أننا نقدّمه أولاً لكي نكرمهم، وثانياً لكي نشكر الله الذي منحنا إياهم لكي يتشفّعوا بنا. فالقدّيسون أنفسهم يؤلّفون "شكراً" يرفعه الجنس البشريّ لأجل الاحسانات الإلهية. كذلك هي العذراء، ولكن على نحو فائق، لذلك نكرمها على نحو خاص.

السيدة العذراء هي قمة خليقة محبة الله. "محبة مثيرة للدهش، مميزة، كاملة، إلهية الجنس، عمل حكمة الله الخلاقة ونعمته المؤلّهة. إنّها القمة الأسمى لعمل الله الخلاق، لحكمته ونعمته المؤلّهة، عمل مميز مدهش للغاية، عمل إلهي الجنس". السيدة العذراء هي الحدود الفاصلة بين الطبيعة المخلوقة وغير المخلوقة^{٦٦٤}.

العذراء الكلية الطاهرة غدت "أرضاً مانحة الحياة" أفرعت المسيح. إنّها الأرض التي أثمرت خبز الحياة، حياة لا تعرف الموت. وقد جبل الله من أحشائها الكلية الطاهرة جسد ابنه الكليّ الطهر والقداسة. هكذا غدت الدائمة العذرية "مائدة إلهية، مقدّمة... الجسد والدم للذي أفرع منها بحال لا توصف^{٦٦٥}. والسيدة العذراء هي في كلّ قدّاس إلهيّ "المعتنية والمضيفة الكريمة للغذاء الإلهيّ والمؤلّه... ولكلّ هبات الروح القدس غير المخلوقة"^{٦٦٦}.

بانصياعها لمشورة الله الأزليّة، استأهلت الدائمة العذرية أن تصبح مرضعة لخالقها. وابنها - مسدداً دينه نحوها - قد منحها النعمة أن تصبح "مرضعة لكلّ طبيعة

عقلية وعاقلة، مانحة بغزارة هبات الروح القدس التي لا يُشبع منها، لمأكل ومشرب ولكل تنعم وفرح يُمتنع وصفه^{٦٦٧}.

في القدّاس الالهى، المعمدان هو الداعي إلى العشاء... وصديق العريس"، أمّا المسيح فهو العريس وصاحب العرس^{٦٦٨}. وأمّا العروس التي لا عريس لها فهي مضيغة المدعوين ومرضعتهم.



الزبيحة وابتهاالات

الكاهن بصوت منخفض يقول: ومن أجل القديس يوحنا النبي السابق والصابغ، والقديسين المجيدين الكلي مديهم، القديس (فلان) الذي نقيم تذكاره اليوم، وجميع قديسيك، الذين بطلباتهم افتقدنا يا الله. اذكر جميع الراقدين على رجاء قيامة الحياة الأبدية (ثم يذكر من يشاء من الأموات) وأرحهم يا إلهنا حيث يشرق نور وجهك، أيضاً نرغب إليك يا رب أن تذكر جميع الأساقفة المستقيمي الرأي، القاطعين قول حقك باستقامة، وجميع الكهنة وخدام المسيح، وكل طغمة الكهنوت والرهبان والمتوحدين. أيضاً نقرب لك هذه العبادة الناطقة من أجل المسكونة ومن أجل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية، ومن أجل العائشين بالطهارة والسيرة الشريفة، ومن أجل ملوكنا المؤمنين محبي المسيح، وجميع بلاطهم وجنودهم، أعطهم يا رب أن تكون المملكة في سلام، لكي نعيش نحن أيضاً في ظل أمنهم عمراً هادئاً مطمئناً بكل عبادة حسنة وتهذيب^{٦٦٩}.

ويعلن: اذكر يا رب أولاً أبانا ورئيس كهنتنا (فلان) وهبه لكناؤسك المقدسة بسلام صحيحاً، مكرماً معافى مديد الأيام، قاطعاً باستقامة كلمة حقك^{٦٧٠}.

❖ ذكر القديسين

القديس الالهى هو تذكار حياة المسيح، وبالتالي في الوقت نفسه تذكار حياة أولئك الذين كان المسيح يعيش فيهم. كل يوم من الدورة الليتورجية السنوية مخصص لتذكار القديسين الذين رقدوا في ذلك اليوم. ففي هذا اليوم بلغ القديسون نهاية

مطافهم الأرضي وتمّ جهادهم وكمالهم في الروح القدس: "رقد في هذا اليوم القديس (فلان)".

وكنيستنا المقدّسة، كونها أمّ صالحة وادّة التحنن، ترشد أولادها إلى العشق الالهي الذي يلهب في قلوب القديسين. بهذا العشق حقق القديسون ما يستحيل تحقيقه؛ وهم، أي الشهداء القديسون، يضعون على "مائدة الحياة" التي نشترك فيها، حياتهم المقدّسة إلى جانب بقاياهم المقدّسة حتى نبتهج نحن روحياً ونحن نقرأ سيرتهم في صلاة السحر، ونسمع خبرهم وعجائب أيمانهم فنبقى مندهشين لشهادتهم. لقد تعب القديسون "ونحن نفرح. هم جاهدوا ونحن نبتهج. الاكليل خاصّتهم أمّا المجد فمشارك، أو بالأحرى فإنّ المجد للكنيسة قاطبة. ويتساءل أحدهم: كيف يمكن لهذا أن يحصل؟ إنّ الشهداء هم أعضاءنا الخاصّة، "فإن كان عضو واحد يتألّم فجميع الأعضاء تتألّم معه، وإذا كان عضو واحد يكرّم، فجميع الأعضاء تفرح معه". يتكلّل الرأس أمّا سائر الجسم فيفرح. نحن الأرجل، أمّا الشهداء فهم الرأس"^{٦٧١}.

وهكذا، نرقد مع القديسين إلى جانب المسيح: "بوق الشهيد برلعام بوق الحرب واجتمع المؤمنون المحاربون.... وكما قال سيّد المؤمنين: <الذي يؤمن بي وإن مات فسيحياً>، فإنّ برلعام الشجاع قد توفّي وهو يقيم أعياداً ويدعو إليها. قد انحلّ في القبر لكنّه رغم ذلك يدعو إلى مأدبة عشاء"^{٦٧٢}.

حياة قديسي كنيستنا هي دعوة إلى الشركة الشكرية. حضورهم جاذب روحيّ يجمع المؤمنين، يؤلّفون عيدنا الليتورجيّ، يدعوننا إليه، ويلجئون بنا إلى مائدة الربّ بقلب واحد. ونحن نشكر القديسين داخل هذا المحفل الالهيّ لأنّهم يقودوننا إلى الله. ونشكر الله لأجل قديسيه، نشكره لأجل المجد الذي به مجدّ القديسين ولا يزال.

أمّا أن يغدو القديسون سبباً كي يتمجدّ بنا اسم الله الكليّ قدسه فهو أفضل تقدمة تجاه القديسين أنفسهم. لما كان القديسون على قيد الحياة، سعوا حثيثاً أن يأتي كلّ عملهم لمجد الله. وهم الآن يفرحون من السماء عندما يتمجدّ الله بسببهم.

ويكتب البار نيقولاوس كاباسيلاس: "إذا كان القدّيسون، وهم بعد على الأرض، قد شكروا الربّ على الدوام وعملوا كلّ شيء لمجده، وقد كانت الخيرات حينذاك موضوع رجاء فقط بالنسبة إليهم، فكم بالحريّ الآن، حيث امتنانهم أعظم جدّاً، طالما أنّهم غدوا أكثر كمالاً في كلّ فضيلة، ولم تعد الخيرات بعد مرجوة بل هم يعرفون بواسطة خبرتهم جود الربّ... لذا فهم لا يشبعون من تسبيح الربّ ولا يساورهم شك أنّ الشكر كاف بهم وحدهم، لذا فهم يرغبون أن يشترك الجميع معهم في التسبيح، ملائكة وبشر، حتى يتمّ على نحو أمثل تسديد ما يتوجّب عليهم، أي الشكر لله، فهو يتضاعف (أي الشكر) بازدياد المسبّحين" ٦٧٣.

■ افتقاد الله لنا

وتجسّد الكلمة هو الافتقاد الذي صنعه الله للبشر: "لقد افتقدنا من العلى مخلصنا" ٦٧٤. بطلبنا الآن من الله أن يفتقدنا، فإننا نطلب أن يمتدّ افتقاده الأوّل وأن نعيش بالقدّاس الإلهي، سرّ افتقاده على الأرض. نتوسّل إلى الربّ أن ييسط، إلى حين مجيئه الثاني، افتقاده الإلهي وأن يبقى معنا ليس كمفتقد ولكن كربّ بيت خاصّ بنا وبالعالم.

وبين افتقاد الكلمة الأوّل ومجيئه الثاني، يمتدّ هذا الدهر الحاضر. نجاهد فيه، نحن المؤمنين، لنحبّ الربّ، لأنّ المحبة تساعدنا في عيشنا لسرّ افتقاده: "إن أحبّني أحد يحفظ كلامي ويحبّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع مقاماً". المحبة تطيل افتقاد الله إلى الأبد وتحوّل الانسان إلى مفتقد له: "الله محبة والذي يقيم في المحبة يقيم في الله والله فيه". باشتراكنا في سرّ المحبة الإلهية، أي في القدّاس الإلهي والمناولة الإلهية، نكهن سرّ افتقاد الربّ لعالمنا وحياتنا: "الذي يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه"، يقول المسيح ٦٧٥.

■ مَنْ بِهِ تَتَطَهَّرُ الْمَسْكُونَةُ

ذكر الكاهن في خدمة مقدمة القرايين، أسقفه والمشاركين معه في الخدمة، والأحياء والراقدين من الإخوة. وعندما ذكر أسماءهم اقتطع لهم أجزاء ووضعها قرب جسد المسيح، الحمل الذي يرفع خطيئة العالم. المسيح حاضر الآن بعد تقديس القدسات. فنستطيع الآن إذاً مع الكاهن أن نتوسل أكثر كثيراً لأجل إخواننا القريين والبعيد، الأحياء والراقدين.

ويقول الكاهن: "وأيضاً نقرب لك هذه العبادة الناطقة من أجل المسكونة". وإذا افترضنا أن أخاً واحداً يشترك في القداس الإلهي، فبوسعنا القول إن المسكونة حاضرة هناك في المحفل الذي يؤلفه هذا الأخ مع الكاهن. فيكون حينئذ القداس الإلهي "مجمع الكنيسة المسكوني". فذكرنا في تلك الساعة للإخوة "هو كرازة بهذا السرّ الرهيب، أن الله أعطى نفسه لأجل المسكونة"^{٦٧٦}.

المسيح أمامنا، "من به تَتَطَهَّرُ الْمَسْكُونَةُ"^{٦٧٧}. بحضوره، يؤلف الكاهن مع المؤمنين المجتمعين الكنيسة المسكونية. الكل يتلأأ بنور محبته، المسكونة قاطبة "تتجدد وتتأله".

وَالكاهن بصوت منخفض: اذكر يا رب هذه المدينة (أو هذا الدير المقدس) التي نحن قاطنوها وجميع المدن والقرى وساكنيها بإيمان. اذكر يا رب المسافرين في البحر والسائرين في البر والمرضى والمصابين والأسرى وخلاصهم. اذكر يا رب الذين يثمرون، والذين يفتقدون المساكين وأرسل مراحمك علينا جميعاً. وعلن: وأعطنا أن نمجد ونسبح بقم واحد وقلب واحد اسمك الكلي الأكرام والعظيم الجلال أيها الآب والابن والروح القدس. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين،

الشعب: آمين.

❖ بفم واحد وقلب واحد

لكي تمجّد الجماعة الليتورجية اسم الله الكليّ الاكرام والعظيم الجلال، ينبغي أن تكون قلباً واحداً وفماً واحداً. كثيراً ما يحصل أن أناساً، يعيشون خارج كنف الكنيسة والقدّاس الإلهي، يتفقون على أمر ويترجّونه بفم واحد. صوتهم مشترك، أمّا دقات قلوبهم فلا. محرّكاتهم الداخليّة العميقة وأفكارهم ليست صدى للكلمات الصادرة من أفواههم.

ولكن في الكنيسة والقدّاس الإلهي يوجد ترتيب آخر، حياة أخرى. في المجدلة الشكرية أفواه المؤمنين وقلوبهم تنطق بأصوات متّفة. قد غدا المؤمنون بنعمة الروح القدس، فماً واحداً، قلباً واحداً، "محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً" ٦٧٨.

وحدة المحبة هذه هي "هبة منحدرّة من العلوّ". المسيحيّون الأوائل كانوا قد اقتنوا هذه الوحدة على درجة سامية. جمّع واحد بقلب واحد. لذا يحثنا المتوشّح بالله باسيليوس الكبير إلى الغيرة منهم والتشبه بهم، لأنّ كلّ شيء كان مشتركاً بينهم: "السيرة، النفس، التوافق، المائدة مشتركة، أخويّة غير منقسمة، محبة بلا مراعاة، أجساد كثيرة تعمل كأنّها أعضاء جسد واحد، النفوس الكثيرة متّحدة في عزم واحد" ٦٧٩.

في جوّ هذه المحبة الموحّدة، حشد المؤمنين هو "كأوتار القيثارة. إنّها بالفعل أوتار كثيرة، ولكنّها إذ تميل جميعها إلى صوت متجانس متّفق، تؤدّي نشيداً فرحاً" ٦٨٠. نغدو فماً واحداً يسبح "المحبة"، وقلباً واحداً ينبض لأجل "المحبة".

وبارك الكاهن الشعب: ولتكن مراحم الاله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح مع جميعكم ٦٨١.

الشعب: ومع روحك.

الشَّمَّاس: بعد ذكرنا جميع القديسين أيضاً وأيضاً بسلام إلى الربّ نطلب. من أجل هذه القرايين المكرّمة التي قدّمت وقدّست إلى الربّ نطلب. حتّى أنّ إلهنا المحبّ البشر الذي اقتبلها على مذبحه السماويّ العقليّ لرائحة زكيّة روحانيّة، يرسل لنا عوضها النعمة الإلهيّة وموهبة الروح القدس نطلب.

✠ لرائحة زكيّة روحانيّة

لدينا اليقين أنّ القرايين الكريمة قد غدت مقبولة على المذبح السماويّ "لرائحة زكيّة روحانيّة" لأنّ المسيح هو "طيب الألوهة"، و"رائحة طيوبه تفوق كلّ العطور" ^{٦٨٢}.

قبل تجسّده، كان الكلمة "طيباً" قائماً في ذاته. بتجسّده يفرغ ذاته ويغدو "دهناً" مهراقاً ^{٦٨٣}. والسيدة العذراء، التي حبلت بالمسيح، غدت "القارورة العقليّة، تحمل المسيح مثل طيب لا يفرغ، وتأتي إلى المغارة لتفرغه بالروح لكي توعب من عرفه نفوسنا" ^{٦٨٤}.

قد كان لورود الطيب الإلهيّ إلى العالم نتائج فاضلة على المنتشقين رائحته. فالطبيعة البشريّة التي كانت هي نفسها قبل تجسّد الكلمة حائطاً مرتفعاً بين الله والانسان، قد غدت طيباً بالحياة في المسيح. لذا لم يعد هناك بعد عائق في سبيل الوحدة مع المسيح. "فلو كان ممكناً، بطريقة من الطرق، أن يتحوّل صندوق الطيب نفسه إلى طيب، لما كان بوسع الطيب أن يبقى عندها محتجزاً داخل الصندوق، وبصورة مشابهة، فطالما قد تألّفت الطبيعة البشريّة <بالجسد> الخلاصيّ، فلم يعد هناك أيّ عائق بين الجنس البشريّ والله" ^{٦٨٥}. فقد غدا صندوق الطيب طيباً، فهو يدهن الانسان ويجعله ممسوحاً (أي مسيحاً)، كما دعي يسوع مسيحاً لأنّه ممسوح من الله.

في كلّ قدّاس إلهي، المسيح هو الطيب المقدّس الذي يفرغ ذاته فيتعطر العالم "بروائح إلهية ملهمة"^{٦٨٦}. فيتعطر اجتماع المؤمنين الشكريّ برائحة زكية وكذلك كلّ إنسان. ويقول الذهبيّ الفم إنه يكفي أن تلفظ اسم يسوع فقط "لتعبق للحال رائحة زكية"^{٦٨٧}. ويثّ تمجيد الخالق في قلب رافعه رائحة زكية، لذا تهتف نفوسنا نحو السيّدة قائلة: "طبيبي فاسد وطيبك حياة واسمك طيب يدفع على المستحقين"^{٦٨٨}. القدّاس الإلهي هو سرّ يفرغ فيه طيب "الحياة" نفسه، فينجذب كلّ جلساء المائدة إلى رائحته: "اجذبني وراءك فنجري". تتناول المسيح نفوسٌ وتذهب من القدّاس الإلهي حاملاتٍ طيباً. رائحة المسيح هي "رائحة حياة حياة"^{٦٨٩}.

ثم يقول الشماس: من أجل نجاتنا... أعضد وخلّص.... أن يكون نهارنا كلّهُ... ملاك سلام... مسامحة خطايانا... الصالحات والموافقات... أن نكمل بقيّة زمان حياتنا... أن تكون أواخر حياتنا...

بعد التماسنا الاتحاد في الايمان وشركة الروح القدس، لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الاله.

الشعب: يا ربّ ارحم - استجب يا ربّ - لك يا ربّ.

❖ اتحاد الايمان

اتّحاد الايمان شرط لنغدو مقبولين في وحدة سرّ الشكر. لذا قبل أن نتقدّم نحو كأس الخلاص، نسأل الله أن يمنحنا وحدة الايمان. الايمان الواحد يعطينا إمكانية أن نتناول "خبز الحياة الواحد". "تقدّموا، يا إخوتي، كما يكتب المتوشّح با لله أغناطيوس إلى أهل أفسس، بايمان واحد وبالمسيح يسوع... كاسرين خبزاً واحداً، الذي هو دواء عدم الفساد"^{٦٩٠}.

هذا الايمان الواحد المقدس الرسوليّ قد تسلّمته الكنيسة وها هي "تحفظه بعناية... وتؤمن به باتّفاق واحد، لأنّ لها نفساً واحدة وقلباً واحداً. ووفق هذا الايمان تركز وتعلّم وتسلّم أبناءها، كما لو كان لها فم واحد. لأنّه، ولو أنّ اللغات المستعملة ليست نفسها في كلّ العالم، إلّا أنّ قوّة التقليد هي نفسها وواحدة في كلّ مكان... كما الشمس، وهي خليفة الله، هي نفسها واحد في كلّ العالم، كذلك كرازة الحقيقة تتلأل في كلّ مكان وتثير البشر الذين يرغبون أن يتقدّموا إلى معرفة أعمق للحقيقة" ٦٩١.

الكنيسة جسد واحد، جسد المسيح. الكنيسة نفس واحدة، قلب واحد، فم واحد. ونحن نطلب إلى الله أن يحفظنا في هذا الاتّحاد الكياني. "فهذا هو اتّحاد الايمان، أن نكون كلّنا واحداً، وأن تكون لدينا المعرفة نفسها به والمقاربة نفسها له" ٦٩٢.

في الكنيسة كلّ شيء مشترك: الايمان، الرجاء، المحبة. الكنيسة المقدّسة، كما يقول القديس مكسيموس، هي رمز لله وصورة له. هي على مثاله تجمع المؤمنين إلى اتّحاد واحد وفقاً للنعمة الواحدة ودعوة المؤمنين الواحدة ٦٩٣. "هذا هو الرابط الذي ولّدته المعموديّة المقدّسة وقُدّسه سرّ الميرون المقدّس وتغذيّه المناولة الإلهيّة وتنميّه. لذا، فجلساء العشاء السريّ هم فقط أولئك الذين يقرّون ويعترفون "بنعمة الايمان الواحدة"، أي أولئك الذين ينتمون إلى اتّحاد ايمان الكنيسة. لذلك تمنع كنيستنا عن غير المعمّدين غداء عدم الفساد، فهي تدرك أنّه "إنّ تناول أحد من غير المعمّدين... فهو يتناول دينونته الأبديّة" ٦٩٤.

هكذا هو مسلك كنيستنا مع أولئك الذين يستعدّون لاقتبال الايمان الاورثوذكسيّ. وأمّا إزاء الذين أنكروا الايمان أو أفسدوه، فإنّها تظهر حزمًا أشدّ. فبالمناولة نحن نتناول من نؤمن أنّه "مساو للآب في الجوهر". نتناوله كما نؤمن به. فكيف يسوغ لنا أن نتناول المسيح مع أناس يؤمنون به على نحو مغاير؟ أو لا نكون عندها مجرمين إلى جسد الربّ ودمه؟

لا تعطى المناولة الإلهية، كما يشدّد القدّيس كيرلس بطريرك الاسكندرية، لغير المعمّدين أو لغير الأورثوذكسيين. "لا يجوز أن يتقدّم إلى المناولة الإلهية آخرون. فليعتبر آخر من لم يزل غير مؤمن وغير معمد، كما وكلّ من لا يوافق أيّاً من القدّيسين وانفسد ذهنه بعقيدة أخرى"^{٦٩٥}.

ترفض كنيستنا المقدّسة قبول الهراطقة في المناولة المقدّسة، كما وترفض "شركتهم". من يعيش خارج كنف الكنيسة يشعر في هذا الموقف بعض القساوة. أمّا من يعيش في كنف اتّحاد الايمان فليلمس محبة الكنيسة للبشر ورأفتها بهم. يسمع قلبها الوالديّ ينبض بألم نحو كلّ انسان ويشاهدها تضطرم حبّاً بكلّ البشر على حدّ سواء، لغير المؤمنين كما للموعوظين، للبعيدون وللقريين بأن معاً.

ويقول الكاهن بصوت منخفض: أيّها السيّد المحبّ البشر. لك نودع حياتنا ورجاءنا. ونطلب ونتضرّع ونسأل. فاجعلنا أهلاً لتناول أسرارك السماوية الرهيبة. أسرار هذه المائدة الطاهرة الروحانية، بضماير نقيّة، لصفح الخطايا، وغفران الذنوب وشركة الروح القدس وميراث ملكوت السموات، والدالة لديك، لا لمحاكمة أو إدانة.

ويعلن: وأهلنا أيّها السيّد ان نجسر بدالة، وندعوك أباً غير مدانين أيّها الاله السماوي ونقول.

✠ لشركة الروح القدس

يقول الكاهن: "فاجعلنا أهلاً لتناول أسرارك... لشركة الروح القدس". شركة المسيح هي أيضاً شركة الروح القدس. ويقول الذهبيّ الفم: "المسيح الذي سقاك كأس ذاته... قد سقاك الروح القدس". وبالفعل، ففي أوّل كهنوت للسّر، إذ أخذ المسيح كأساً ومزج خمراً وماء، نظر إلى السماء، وقدم لله الأب وشكر وبارك وقدس، ثمّ أعطى تلاميذه القدّيسين المغبوطين دمه المقدّس"^{٦٩٦}.

ينتصب الكاهن، كما يقول القديس الذهبي الفم، في عشاء الكنيسة في مكان المسيح، "رافعاً يديه إلى السماء، مستدعيًا الروح القدس ليأتي ويمنح نعمته للقرايين الموضوعه". "وينحدر الروح القدس على الدوام بتلك التساييح"، و"يغذو الخبز خبزاً سماوياً بنور الروح القدس". تغذو مائدة الأسرار الرهيبة مائدة "شريفة روحية". أما المتناولون منه "فيصبحون مسكناً للروح"^{٦٩٧}.

ويقول القديس باسيليوس الكبير إنَّ الروح الكليّ قدسه "يحيي كلَّ شيء... في السماء قائم وعلى الأرض مالىء الكلّ وحاضر في كلِّ مكان وغير محتوى من شيء. ويقيم في كلِّ واحد وهو كله مع الله. لا يخدم المواهب كأنه مرسل أو خادم، بل هو يوزعها كسيد"^{٦٩٨}.

بالقدّاس الالهىّ نقبل مواهب الروح القدس، ونقبل المعزّي نفسه في اجتماعنا الليتورجي وفي نفوسنا^{٦٩٩}.

❖ قد منحنا ثقة بالدخول إلى الأقداس

المسيح هو رئيس الكهنة العظيم الذي "يضع" الانسان "أمام" الآب السماويّ. فهو يقدّم الانسان عندما يقدّم نفسه الكليّة الطهارة. ويكتب القديس كيرلس بطريك الاسكندرية، أنّه بالمسيح "بات لنا مدخل". ويضيف: قد جدّد لنا المسيح الطريق إلى الوجود، قد دخل إلى قدس الأقداس وأظهر لنا طريق الحياة الحقّة"^{٧٠٠}.

لقد دشّن المسيح بحياته طريق "الحياة". وبات بإمكان الانسان الآن أن يعود من جديد إلى بلد "الحياة" الحقّة. بإمكانه أن يكون، كما الجدّ الأوّل، مملوء دالة، ينهل منها وجهاً لوجه أمام الحضور الالهى^{٧٠١}.

وبدم المسيح منحت رحمة الله إلى الانسان الملعون، وانفتح الطريق المؤدّي إلى الآب: "نشكرك، أيّها الربّ إلهنا، لأنك منحتنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده"^{٧٠٢}. "لنا بدم يسوع ثقة

للدخول إلى الأقداس^{٧٠٣}، نتجرأ على الدخول إلى قدس الأقداس، نخرّ أمام لجة رأفاته، ونقول له: أبانا الذي في السموات...

ويندهش القدّيس غريغوريوس النيصصي للكرامة التي أُعطيت للانسان أن يدعو الله أباً. ويقول: آية نفس عظيمة يحتاج ذاك الذي يدعو الله أباً! كم يحتاج من الدالة! أي نوع من الضمير ينبغي أن يتحلّى به، بحيث، بعد أن يكون قد أدرك من هو الله، على حسب وسع الانسان، يتجرأ ويدعوه أباه!^{٧٠٤}

هذه الكرامة السامية أُعطيت للانسان بدم يسوع. لذا يتضرّع المؤمنون، بينما تحين ساعة شركة دم المسيح الطاهر: "أهلنا أيّها السيد المحبّ البشر، بدالة، بلا مداينة، بقلب طاهر، بنفس مستتيرة، بوجه لا يخزي، بشفاه مقدّسة، أن نتجرأ وندعوك أباً، أنت أيّها الاله القدّوس الذي في السموات، ونقول: أبانا الذي...."^{٧٠٥}

الشعب: أبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا الجوهريّ أعطنا اليوم، واترك لنا ما علينا، كما نترك لمن لنا عليه، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير.

الكاهن: لأنّ لك الملك والقوّة والمجد أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين^{٧٠٦}.

الشعب: آمين.

■ الآن نحن أولاد الله

قد اعترفنا بدستور الايمان أنّ الله، الذي به نؤمن، هو الخالق والضابط الكلّ. نتوجّه بالصلاة الربّانية إلى الله كأب: "هكذا هو جنون محبة الله للبشر"، يقول الذهبي الفم: "كم هو فائق الجود الالهي! بأية أقوال يمكننا أن نشكر الله الذي يعطينا

كلّ هذه الخيرات؟ أنظر، أيّها الحبيب، كم أنّ طبيعتك وطبيعتي ليست بشيء. افحص قريبتك، أي الأرض، التراب، التفل.... لأننا جبلنا من التراب وعندما نموت سنغدو تراباً من جديد. إذاً، عندما تصون هذه الأمور في ذهنك، تعجبٌ عندها لغنى عظمة صلاح الله نحونا، هذا الغنى الذي لا يعبر عنه. لأنك أوصيت، أنت الأرضي والمائت والعرضة للفساد والزائل، أن تدعو أباً ذاك السماوي وغير المائت والأبدي والذي لا يعرف الفساد. لأنك أوصيت، أنت من كنت البارحة وقبل قليل تراباً، أن تدعو أباً الله الذي هو قبل الدهور^{٧٠٧}.

ندعو الله أباً كوننا أبناءه. أمّا هذا التبني الذي نتنعم به الآن في الكنيسة فهو صورة للتبني الذي سنتنعم به في الدهر الآتي. "إنّ استدعاء الله والآب، القدّوس المغيوط - هو استدعاء شريف مقدّس - يشكّل رمزاً للتبني المتأقنم داخل وجود الله وسيوهب لنا عطية وموهبة من الروح القدس. وسيظلّ التبني كلّ خاصيّة بشريّة فتغلب هذه له باستنارة الروح القدس. وسيُدعى سائر القديسين ويكونون أبناء الله، أي كلّ الذين زيّنوا أنفسهم من ههنا بزينة لامعة مجيدة، زينة الفضائل وجمال الصلاح الإلهي^{٧٠٨}."

أمّا النفس التي تنطلق نحو ملكوت الله متزيّنة بجمال الصلاح فتقاد من النعمة الإلهيّة إلى التبني الإلهي. وهي، إذ حصلت من جهة على أب واحد وحيد هو الله بحال سرّيّة وبحسب النعمة، وإذا تخلّت من جهة أخرى عن كلّ الأمور، فإنّها ستتنضمّ إلى سرّيته الواحدة وتلج إليها. وهكذا ستعيش النفس الإلهيات على نحو يفوق معرفتها لها حتّى أنّها لن ترغب بعد الآن أن تبقى لذاتها^{٧٠٩}.

ولما تبلغ النفس إلى مكان الله الذي لا يطأه كائن، تهب نفسها له بالكلية، فيقبلها بصلاحه كلياً داخله، ويقيم هو نفسه بالكلية داخلها بحال سرّيّة، فيؤلّوها هكذا كلّها^{٧١٠}. عندها يتوقّف جهاد الانسان في سبيل الصلاح. فالنفس في هذه الحالة لا "تنشط" بل "تعاني وتجرب" فتقبل من يدي الله نعمة محبته التي لا تعرف

حدوداً. ومغبوط الانسان"الذي يعيش صيرورته إلهاً بالنعمة، لأنّ هذه الصيرورة الدائمة لا تعرف نهاية"٧١١.

ويقول الانجيلي يوحنا: "أيّها الأحبّاء، الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنّه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو"٧١٢.

الكاهن: السلام لجميعكم.

الشعب: ولروحك.

❖ مائدة السلام

كلّ قدّاس إلهي هو ظهور جديد للمسيح القائم. ويصف لنا الانجيلي يوحنا ظهورات المسيح الاولى بعد القيامة فيقول: "ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أوّل الاسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفاً من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم: السلام لكم. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الربّ، فقال لهم يسوع أيضاً: سلام لكم. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال: اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياهم تغفر له. ومن أمسكتموها أمسكت... وبعد ثمانية أيّام كان التلاميذ أيضاً داخلاً وتوما معهم، فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال لهم: السلام لكم"٧١٣.

يشدّد الانجيلي كيف أنّ الربّ في ظهوريه هذين وقف في "وسط" الاثني عشر. هكذا أيضاً في القدّاس الإلهي: يقف المسيح في "الوسط"، وسط اجتماعنا ويمنحنا سلامه، لأنّه كلّما اقتربنا من "مائدة السلام" كلّما ازدادت الحاجة إلى السلام. "لا بدّ للنفس، كونها مزمعة أن تستقبل الملك بالمناولة، أن يسودها، إبان حضور الملك إليها، صفاء عظيم، هدوء كبير، وسلام عميق، مع سلام الأفكار"٧١٤.

ثم يقول الشَّمَّاس: أحنوا رؤوسكم للرب.

الشعب: لك يا رب.

والكاهن: نشكرك أيها الملك غير المنظور، يا من بقوتك التي لا تحصى خلقت كل البرايا وبكثرة رحمتك ابرزت الكل من العدم إلى الوجود، أنت أيها السيد اطلع من السماء على الذين حنوا لك رؤوسهم، لأنهم ما حنوها للحم ودم، بل لك أيها الاله الرهيب، فانت إذا أيها السيد سهل أن تكون هذه القدسات لخيرنا جميعاً بحسب حاجة كل واحد منا، رافق المسافرين في البحر، وسر مع السائرين في البر، واشف المرضى يا طبيب النفوس والأجساد.

ويعلن: بنعمة ورأفات ابنك الوحيد ومحبة للبشر، الذي انت مبارك معه ومع روحك الكلي قدسه، الصالح والصانع الحياة، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين،

الشعب: آمين.

✠ إحناء الرأس

بعد الصلاة الربانية، يحث الشَّمَّاس المؤمنين على إحناء رؤوسهم للرب، مقرين على هذا النحو أن الله هو السيد. يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس إن المؤمنين يحنون رؤوسهم أمام الله، "ليس فقط أمام من هو من جهة الطبيعة سيدهم وخالقهم، بل كعبيد مفتدين، أمام من اشتراهم بدم ابنه الوحيد نفسه" ^{٧١٥}. بذبيحة المسيح على الصليب، مُنحنا الحرية وغدونا أخصاء الله وأبناءه: "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائي... لا أعود أسمىكم عبيداً". ويقول القديس أثناسيوس الكبير: "قد غدا سيد العبيد ابناً لعبده العرضة للموت، أعني آدم، حتى يصير أبناء آدم، وهم كائنات عرضة للموت، أبناء لله" ^{٧١٦}.

إحناءنا الرأس هو علامة امتنان بنوي تجاه أبينا.

* * *

جميعنا ندين بالآب نفسه، ولكلّ واحد منا جهاده. فرادة الشخص لا تلتغي داخل شركة الكنيسة. الانسان أيقونة الله منيرة ضمن تموجات ألوان متعدّدة. واحد السيّد، متعدّد المواهب: "يغدو المخلص متعدّداً لكلّ واحد على حسب ما هو موافق. لأنّه أما لأولئك الذين يحتاجون إلى فرح، فيغدو كرمة، ولأولئك الذين يحتاجون للدخول، فيغدو بوابة، ولأولئك الذين يحتاجون إلى تقديم صلوات، فيغدو رئيس كهنة وسيطاً. وأيضاً لأولئك الخطاة فيغدو حملاً، لكي يُذبح من أجلهم. يغدو كلّ شيء للجميع، لكنّه يبقى بحسب طبيعته كما هو" ٧١٧.

كلّنا "نتناول خبز الحياة" نفسه. وكلّ واحد يقبل ذاك (أي المسيح) الذي يحتاجه في حياته الشخصية، "فالذين في الشدائد، المنقذ، والخطاة، الشفيع، والمساكين، الكنز، والحزاني، المعزّي، والمسافرون، الرفيق، والذين في البحر، المدبّر، والجميع، الملبي بحرارة في كلّ مكان" ٧١٨. بالقرايين المكرّمة الموضوعة يغدو المسيح في مسار حياتنا، "صخرة خلاص، مدعاة للتضرّع، مانح رباطة الجأش، شجاعة النفس وإقدامها، ومروءة المجاهد". لأنّ ذاك هو "الطريق الصالحة حقاً، غير منحرفة ولا مضلّة... مؤدّية بالتائبين، الى الآب" ٧١٩.



المنافلة المقدسة

الكاهن: أيها الرب يسوع المسيح إلهنا. أصغ من مسكنك المقدس، ومن عرش مجد ملكك، وهلم لتقدسينا، أيها الجالس في الأعالي مع الآب، والحاضر ههنا معنا غير منظور، وأرتض أن تناولنا بيدك العزيرة جسدك الطاهر ودمك الكريم، وبنا لكل شعبك.

■ في السماء أنت لي وعلى الأرض أتحد بك

بتأنسه صار المسيح على مقربة من الانسان وغدا إنساناً، دون أن يترك العرش الابوي: "إذ صار ذلك تنازلاً إلهياً لا انتقالاً مكانياً". "وهذا هو المدهش أنه كان يسلك كإنسان، إلا أنه كان يمد الكل بالحياة ككلمة وكان قائماً كابن مع الآب" ٧٢٠.

بصعوده يعود الاله - الانسان إلى العرش الأبوي بعد كهنوته لسر التدبير الالهي. يعود إلى الآب لكنه لا يتركنا لوحدنا. "عندما صعد النبي إيليا إلى السماء ترك لتلميذه أليشع ردائه. لكن ابن الله بصعوده إلى السماء ترك لنا بشرته. وبينما النبي إيليا ترك ردائه بعد أن نزع عن نفسه، فإن المسيح ترك لنا بشرته وبها ارتفع" ٧٢١.

بعد صعوده، يستوي الرب مع الآب في السموات وهو حاضر مع المؤمنين في القداس الالهي. يتواجد الانسان مع المسيح في السماء وعلى الأرض في آن معاً: "في السماء أنت لي، وعلى الأرض أتحد بك" ٧٢٢. في السماء، أي في أحضان الله

الأبويّة. على الأرض، أسفل، أي في الأحضان الوالديّة للكنيسة. والانسان يعيش، في السماء وعلى الأرض، فوق وأسفل، داخل محبة الله.

كما سبق وقال المسيح للاثني عشر في ليلة العشاء السري: "إنّي ماض إلى أبي... بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأمّا أنتم فتروني. إنّي أنا حي وأنتم تحيون". <فالعالم> هو الانسان الذي يعيش بعيداً عن القدّاس الإلهي، وبالتالي لا يشاهد المسيح، لأنّه غارق في الظلمة. "المسيح بعد انطلاقه من الأرض، أي بعد صعوده إلى السموات، سيغدو غير منظور من كلّ من عنده اهتمام عالمي. أمّا القدّيسون فسيشاهدونه"^{٧٢٣}. وكما حجب الجسد الألوهة في تجسّد الكلمة^{٧٢٤}، هكذا أيضاً في القدّاس الإلهي: "لأنّ هذا الخبز هو مثل ستر يحجب الألوهة داخله"^{٧٢٥}.

يتقدّس مكان القدّاس الإلهي وزمانه "بالذي يعلو على الزمان والمكان ويفوق كلّ اسم وإدراك"^{٧٢٦}. المسيح، وهو في السموات، هو أيضاً معنا في القدّاس الإلهي. ليس معنا فقط لكنّه يأتي ليقمّ فينا. ويقول الذهبيّ الفم: "افتكروا أنتم يا من تشركون في جسد المسيح، وتتذوّقون دمه، أنكم تتذوّقون ذاك الذي يجلس فوق، المسجود له من الملائكة، والقائم في القوّة التي لا يعرفونها فساد". المسيح يناول نفسه بيديه الكليّتي الطهارة للكهّان، ومنه <لكلّ الشعب>، فيغدو المسيح فرحاً عظيماً لكلّ الشعب"^{٧٢٧}.

ويقول الشماس: لنصغ.

الكاهن: يرفع الخبز المقدّس ويقول: القدّسات للقدّيسين.

الشعب: قدّوس واحد. ربّ واحد. يسوع المسيح في مجد الله الأب^{٧٢٨}. آمين.

وبعدها يرتل كينونيكون اليوم (أي تسبيحة الشكر)^{٧٢٩}.

القدسات للقدسين

جسد المسيح المقدس ودمه الكريم هما القدسات التي ينبغي منحها لمنافلة القدسين. المسيح هو القدوس الواحد والوحيد. الرب الواحد والوحيد. بامكاننا نحن أن ندعى قدسين، فقط لأننا نقبل قداسه: "يدعى المؤمنون قدسين بسبب القدوس الذين يتناولون جسده ودمه" ٧٣٠.

المسيح "هو نفسه نبع كل الصالحات وأصلها، هو الحياة نفسها، النور عينه، الحق ذاته". وهو "لا يحتفظ لنفسه بغنى الصالحات لكنه يفيض به على البشر كافة ولا يفرغ أبداً" ٧٣١، ولما كان هو نبع القداسة نفسها، فإنه يوزعها في كل مكان فيقدس الكنيسة، وأما نحن كلنا الذين نتحد بجسده المقدس، فنقبل ملء قداسه.

ويقول الكاهن: "القدسات للقدسين". فيشرح الذهبي الفم: "يقف الكاهن منتصباً، كأحد الوعاظ رافعاً يديه، ولما يغدو منظوراً من الجميع، عندها يرفع صوته عالياً وسط ذلك السكون الرهيب فيدعو بعضاً إلى المنافلة ويمنع بعضاً آخر عنها. وهو لا يفعل ذلك بإشارة اليد بل بحركة اللسان فقط... فهو عندما يقول: <القدسات للقدسين> إنما يقصد ما معناه: لا يقترب من ليس قدسياً. فالقدس ليس من غابت عنه الخطيئة ولكن من كان الروح القدس حاضراً فيه وغدا مستودعاً غنياً بالأعمال الصالحة. كأني به يقول بكلمات أخرى: لا أرغب في أن تكونوا منعتين فقط من الحمأة بل أن تكونوا متوشحين بالحسن ومرتدين الحلة البيضاء" ٧٣٢.

"لا يجوز لأي إنسان الاقتراب من الأسرار الطاهرة... لذا لا يدعو الكاهن كل واحد، بل أولئك فقط الذين يسرون نحو القدسات: القدسات للقدسين.... وهو لا يقصد هنا بعبارة <القدسين> فقط أولئك الذين بلغوا كمال الفضائل، ولكنه يحصي معهم أولئك الذين يغضبون ذواتهم في سبيل بلوغ هذا الكمال، لكنهم لم يدركوه بعد. وليس من مانع يحول دون أن يتقدس هؤلاء باشتراكهم في الأسرار المقدسة" ٧٣٣.

■ قدّوس واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح

وعلى إعلان الكاهن <القدسات للقدّيس> يجيب المؤمنون بدورهم: قدّوس واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح، لمجد الله الآب. جوابهم هذا يشكّل اعترافاً "أنّا قد تقدّسنا بالابن الوحيد المتجسّد والمصلوب، وأنّا أعتقنا من الموت وأحرزنا عدم الفساد". "فليس أحد بمقدوره أن يقتني التقديس بنفسه، لأنّ القداسة نتيجة تحصيل فضيلة بشريّة، إنّما يحرزها الجميع من الربّ وبفضله. فكما لو وُضعت تحت الشمس عدّة مرايا فإنّها ستتألأأ بطبيعة الحال وترسل أشعتها فتخال أنّك ترى شمساً عديدة، إلّا أنّ الشمس هي واحدة في الحقيقة وهي التي تضيء الجميع. وعلى المنوال نفسه فإنّ القدّوس واحد، وهو ينسكب على المؤمنين ويتجلّى في نفوس كثيرين ويظهر قدّيسين، إلّا أنّ القدّوس واحد أحد" ٧٣٤.

وبينما الربّ القدّوس أمامنا، تقترب لحظة المناولة المقدّسة. "عندئذ يعتلن اعتراف الشعب كلّ، بهتافه: "قدّوس واحد". إنّ الالتئام السريّ إنّما هو التئام يفوق كلّ منطق ويسمو على كلّ عقل، أمّا الوحدة فهي وحدة بالواحد الأحد لأولئك الذين بلغوا الكمال بحسب الله بحال سريّة. إنّها وحدة ستتمّ في أبدية "العقليّات" غير الفاسدة. هناك في تلك الأبدية، يعاين أولئك الذين اقتبلوا الكمال نور المجد غير المنظور الذي يوصف ويقتبلون النقاوة الإلهية على مثال القوّة السماوية" ٧٣٥. وأمّا الكنيسة فتدعو في القدّاس الإلهي: "من كان قدّيساً فليقترب، ومن لم يكن فليتب. تعال أيّها الربّ يسوع. آمين" ٧٣٦.

ويقول الشماس للكاهن: فصل يا سيّد الخبز المقدّس.

والكاهن يفصله أربعة أجزاء بانتباه وورع قائلاً: يفصل ويجزّأ حمل الله الذي يفصل ولا ينقسم، الذي يؤكل منه دائماً، وهو لا يفرغ أبداً، لكنّه يقدّس المشتركين به.

❖ يفصل حمل الله

في أول قداس إلهي أقيم على الأرض، جزءاً المسيح "الخبز" وأعطاه للاثني عشر قائلاً: "خذوا كلوا، هذا هو جسدي الذي يكسر من أجلكم" ^{٧٣٧}. عمل الرب هذا يستعاد في كل قداس إلهي: يفصل الكاهن حمل الله ويقدم للمؤمنين الجسد المقدس <الذي يكسر>.

لما كان المسيح معلقاً على الصليب لم يكسر الجنود عظماً من عظامه المقدسة، على منوال اللصين المصلوبين معه، وذلك "ليتّم الكتاب القائل: عظم لا يكسر منه"، إلا أنه يفصل في ذبيحته الليتورجية ويقدم إلى المؤمنين. ويقول الذهبي الفم: "إن المسيح في تقدمته لأجلك يحتمل ما لم يحتمله على الصليب فيرتضي أن يتجزأ ليُشبع الجميع" ^{٧٣٨}.

المسيح هو الكائن الحق الذي يتناوله الجميع دون أن يفرغ أبداً بتناول المشتركين فيه، "فلنفترض، على حدّ تعبير الذهبي الفم أن هناك مصدر نار يضاء منه عشرة آلاف مشعل في المرة الأولى، ومن ثمّ مقدار مماثل في المرة الثانية، ومقدار آخر في المرة الثالثة، وهكذا دواليك. هل يمكننا بعدها أن نقول إن النار قد فقدت قوتها ولمعانها بعد أن أضاءت هذا العدد من المشاعل؟". المسيح هو نبع نار "لا يفرغ أبداً عندما يُعطى للآخرين. وهو رغم انسكابه على الجميع ومنحه الصالحات بحال دائمة، يبقى كاملاً في كماله" ^{٧٣٩}.

يُجزأ المسيح ولا ينقسم. المسيح هو كلّ في كلّ جزء من الخبز المقدس بعد تفصيله، "إن كان يجزأ إلا أنه يبقى بلا تقسيم، ونحن نقرّ ونعترف أنه فعلاً موجود بكليته في كلّ جزء من الأجزاء التي جرى تفصيلها" ^{٧٤٠}.

أمّا المشتركون منّا في المائدة الشريفة فيأخذ كلّ منّا المسيح بكليته فيمتلئ به بالكلية. هكذا يصير بإمكان أولئك المتناولين أن يكونوا آلهة بحسب النعمة ويدعوا كذلك، كون الله بكليته قد ملأهم دون أن يترك عضواً من أعضائهم فارغاً من

حضوره" ٧٤١. إذاً، المسيح موجود بكلّيته في كلّ واحد منّا. موجود بكلّيته في كلّ كنيسة المقدّسة. موجود، في طول الأرض وعرضها، وعلى مدى كلّ الدهور.

"ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا". نقبل ملء "الحياة" ونؤلف الكنيسة المقدّسة "التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكلّ في الكل". وإذا كانت المأكولات المادّية تنفذ دوماً، إلّا إنّ حمل الله "يؤكل منه وهو لا يفرغ أبداً"، فذبيحته "تبقى غير منتقصة" ٧٤٢، فهي غذاء لا يفرغ. إنّها غذاء حياته ومحبته التي لا تنتهي.

ويقول الشمّاس: كمّل يا سيّد الكأس المقدّسة.

فيتناول الكاهن الجزء الأعلى ويرسم به علامة الصليب على الكأس المقدّسة ويضعه فيها قائلاً: كمال كأس الايمان بالروح القدس ٧٤٣.

الشمّاس: آمين.

■ واحد هو المسيح

لقد أتمّ الكاهن ثلاثة أفعال متتالية منذ قال: "القدسات للقدّيسين". فقد رفع جسد المسيح المقدّس، و"جزّأه" و"أتّحده" بدمه المقدّس.

أمّا "رفع" جسد المسيح فيتّم عند قوله "القدسات للقدّيسين". ويقول القدّيس جرمانوس إنّ "رفع الجسد الكريم هو رسم للارتفاع على الصليب وللموت عليه وللقيامه نفسها". ويأتي أيضاً تفسير القدّيس يوحنا الدمشقي في خطّ مشابه إذ يقول: "يرتفع (جسد المسيح) على يدي الكاهن كما لو كان يرتفع على الصليب" ٧٤٤.

والكاهن يرفع من على الصينيّة المقدّسة الخبز المقدّس فقط. "عليها تتصوّر الآلام الإلهيّة الحاملة الحياة التي تنكشف لنا. إنّها آلام ذاك الذي ذبح لأجل حياة العالم" ٧٤٥.

أما "تجزئة" جسد المسيح المقدس، فتتم عند قول الكاهن: "يفصل ويجزأ حمل الله...". يفصل الكاهن جسد المسيح المقدس إلى أربعة أجزاء ويضعها على شكل صليب فوق الصينية المقدسة. "كسر الخبز الكريم هو إشارة إلى الذبح"^{٧٤٦}، كما يقول القديس أفثيخيوس بطريرك القسطنطينية.

عملية < كسر الخبز > هي الفعل بامتياز الذي يظهر المسيح. "فعند كسر الخبز" عرفه التلميذان على طريق عمواس، وبهذا الاسم عرف المسيحيون الأوائل القديس الإلهي^{٧٤٧}. بكسر الخبز "المسيح الذي لا ينقسم يتجزأ إلى أجزاء عدة لأجلنا حتى نتناول كلنا جسده المقدس، وبينما هو لا ينقسم إذ به يتجزأ لأجلنا، فيتحدنا بذاته ويجعلنا في اتحاد واحد، كما صلي بالضبط إلى أبيه"، كما ورد عند القديس سمعان أسقف تسالونيك^{٧٤٨}.

وأما "اتحاد" جسد المسيح ودمه المقدسين فيتم الآن، أي عندما يكمل الكاهن الكأس (كمال كأس الإيمان). والمقصود بهذه العبارة "أن المسيح واحد هو، سواء أكان ذلك في الكأس أم في الخبز، فهو نفسه العضد والمؤازرة بواسطة الخبز، وهو نفسه الفرح بواسطة الكأس"^{٧٤٩}. بهذا الاتحاد يركز بوحدة طبيعة المسيح، بوحدة ذبيحته ونعمته، وهي تمنح للمؤمنين بواسطة الاشتراك بالجسد والدم المقدسين. "المسيح يملأنا بالروح القدس". "فما الذي تم بالام المسيح وأقواله وأعماله، وإلى ماذا أودت؟... لا شيء حقاً سوى لورود الروح القدس إلى الكنيسة"^{٧٥٠}.

ويقول الشماس: بارك يا سيد الماء الحار (الزاون).

الكاهن: مباركة هي حرارة قدساتك كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين، آمين.

ثم يسكب الشماس الماء الحار في الكأس على شكل صليب قائلاً: حرارة إيمان تستوعب روحاً قدساً. آمين.

■ حرارة روح قدس

عندما يتمّ الكاهن اتحاد جسد المسيح ودمه المقدّسين، يأخذ ماءً حاراً (في وعاء صغير يدعى "زاون") ويسكبه في الكأس المقدّسة، لأنّه "عندما خرج الدم المقدّس والماء من الجنب الإلهي الحيّ كانا مملوءين حرارة، كذلك الآن عند سكب الماء الحار جدّاً في ساعة المناولة، يكتمل رمز السرّ، وأمّا بالنسبة لأولئك الذين يتناولون من شفة الكأس فيبدو الأمر وكأنّهم يقتربون ليس من الكأس بل من الجنب المانح الحياة نفسه" ٧٥١.

يجمع القدّيس نيقوديموس الآثوسي الآراء في مسألة الماء الحار فيقول: "عجيبة جنب السيّد الطاهر مزدوجة. فالأمر لا يتعلّق فقط بكونه أخرج دمًا وماءً... بل وأيضاً لأنّ الدم والماء خرجا مملوءين حرارة وحياة، وذلك لأنّ ذلك الجنب حيّاً ومحياً، بسبب الاتحاد الأقنومي بالألوهة المحيية، حسب القدّيس سمعان أسقف تسالونيك. لذا رتب وضع دم وماء في الكأس المقدّس، بالعودة إلى العجيبة الأولى. وأمّا بالعودة إلى العجيبة الثانية فيقول بلسمون وجرمانوس بطريرك القسطنطينية إنّهُ قد رتب من العلى ومنذ البدء أن يتمّ وضع ذلك الماء الحارّ أثناء الكينونيكون، فلا يكون بارداً ولا فاتراً. وإذ يتناوله الكاهن حاراً، وكذلك المتناولون على يده، يكرزون أنّهم يتناولونه كما في اللحظة التي خرج فيها من جنب السيّد... لا بدّ أن يكون الماء مغلياً عندما يسكب في الكأس، بحيث تصير الكأس حارة بسببه، فاسمّه يشير إليه: زاون، أي ماء مغلي" ٧٥٢.

وعندما يتمّ الكاهن اتحاد الجسد والدم المقدّسين يقول: "كمال كأس الإيمان بالروح قدس"، والآن لما يسكب الماء الحارّ في الكأس المقدّسة يقول: "حرارة إيمان تستوعب روحاً قدساً" ٧٥٣. كلّ شيء يدل على ورود المعزّي، "فهذا الماء الحارّ، كما يقول البار نيقولاوس كاباسيلاس، كونه ماء ويحوي ناراً (لأنّه مغلي)، إنّما يظهر الروح القدس. فهو يدعى ماء وقد ظهر كنار منجدر على تلاميذ المسيح" ٧٥٤. والكاهن عندما يمسك بيديه الكأس المقدّسة فهو يمسك "نبع الروح". ونحن نقرب

بفمنا "من صدر الكنيسة لنرضع من الكأس الروحية"، فيمتلىء عند ذاك فمنا "ناراً روحية" ٧٥٥١.

ويقول الكاهن: إني أؤمن يا رب وأعترف بأنك انت في الحقيقة المسيح ابن الله الحي الذي أتيت إلى العالم لتخلص الخطاة الذين أنا أولهم، وأيضاً أؤمن بأن هذا هو جسدك الطاهر نفسه، وهذا هو دمك الكريم عينه، فأسألك أن ترحمني وتغفر لي زلاتي الطوعية والكرهية التي بالقول والتي بالفعل، التي بمعرفة والتي بغير معرفة، وأهلي بلا دينونة أن أساهم في أسرارك الطاهرة لغفران الخطايا، ولحياة أبدية، آمين. ها أنذا أسعى إلى الشركة الإلهية فلا تحرقني يا جابلي بالمساهمة لأنك نار تحرق غير المستحقين، بل طهرني من كل دنس.

اقبلني اليوم شريكاً لعشائك السري يا ابن الله لأنني لست أقول سرّك لأعدائك، ولا أقبلك قبله غاشّة مثل يهوذا، بل كاللص أعترف لك هاتفاً: اذكرني يا رب متى أتيت في ملكوتك.

وأيضاً: إرهب أيها الانسان عند نظرك الدم المؤله لأنه جمرة تحرق غير المستحقين.

إن جسد الاله يؤلّهي ويغذي، يؤله الروح ويغذي العقل بحال غريبة.

وأيضاً: لقد شغفتني بشوقك أيها المسيح وحوّلتني بعشقك الإلهي، فأحرق خطاياي بنار غير هيوليّة، وأهلي أن أمتلىء من النعيم الذي فيك، لكي أعظم حضوريك، أيها الصالح وأنا متهلّل.

وأيضاً: في بهاء قدّيسيك كيف أدخل أنا غير المستحق، لأنني إن تجرأت على الدخول معهم إلى الخدر، يكتني لباسي إذ ليس هو لباس العرس، وأطرح خارجاً من الملائكة مغلولاً، فطهر يا رب من الدنس نفسي، وخلّصني بما أنك محب البشر.

وأيضاً: أيها السيّد المحب البشر، الرب يسوع المسيح إلهي، لا تصر لي هذه القدسات لمحاكمة بسبب عدم استحقاقي، بل لتطهير النفس والجسد، ولعربون الحياة والملك الآتي، وأما أنا فخير لي الالتصاق بالله، وأن أضع على الرب رجاء خلاصي.

ثم إقبلني اليوم شريكاً لعشائك السري...

❖ صلوات الاشتراك

هذه الصلوات التي يتلوها الكاهن، يجب أن يتلوها كلّ مؤمن يستعدّ للمناولة. تقع هذه الصلوات ضمن سلسلة صلوات تدعى "خدمة المناولة (أي المطالبسي) الإلهية". هذه الخدمة التي نعرّ عليها في كتاب "السواعي الكبير"، يتلوها الكاهن متى كان مزماً أن يقيم خدمة القدّاس الإلهي، كما وكلّ مؤمن مزماً أن يتقدّم من المناولة المقدّسة.

وتتألف الخدمة من ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل يتألف من قانون. أبياته تتوالى على حسب تسلسل الأبيديّة اليونانية، فيما يتعلّق بالحرف الأوّل من الكلمة الأولى لكلّ بيت. ويتلى هذا القانون مع صلاة النوم، مساء اليوم الذي يسبق المناولة.

والقسم الثاني يتلى في اليوم التالي، صباحاً، ويتألف من ثلاثة مزامير ذات صلة بالأسرار المقدّسة، وثلاث طروباريّات أيضاً وتسع أفاشين مختلفة من آباء قدّسين.

أمّا الصلوات التي يتلوها الكاهن الآن فتؤلف القسم الثالث من خدمة المناولة الإلهية.

* * *

وأولى الصلوات التي يتلوها الكاهن هي عبارة عن اعتراف إيمان ورجاء بمحبّة المسيح: "أؤمن يا ربّ وأعترف أنّك انت المسيح ابن الله الحيّ الذي أتيت إلى العالم لتخلّص الخطاة الذين أنا أوّهم".

تستند هذه الجملة إلى أقوال بولس الرسول: "صادقة هي الكلمة ومستحقّة كلّ قبول أنّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطاة الذين أنا أوّهم. لكنني لهذا رُحمتُ ليظهر يسوع المسيح فيّ أنا كلّ أناة مثلاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبديّة"^{٧٥٦}. لهذا رُحمتُ، يقول بولس الرسول، ليظهر المسيح كلّ طول أناته فيّ أنا أكبر الخطاة. أمّا الذهبيّ الفم فيستعمل مثلاً ويقول: كان سكّان إحدى المدن

المبكتظة أشراراً بنسب متفاوتة، وقد تميّز بين هؤلاء رجل لم يترك شراً لم يصنعه. فإذا أخبرهم أحدهم أنّ في نيّة الملك أن يغفر لهم، فإنّ أحداً منهم لن يصدّق هذا الكلام إلى حين يتيقّن أنّ من هو أكثرهم شقاوة قد حصل على الغفران. عندئذٍ لن يشكّ أحد في نيّة الملك. وهذا ما شاء بولس الرسول أن يبلغنا إيّاه: إنّ الله إذ رغب أن يؤكّد للبشر غفران زلاتهم فقد غفر لأكبر الخطأة. ويختتم بولس الرسول كلامه، على لسان الذهبيّ الفم فيقول: لا يشكّن أحد بخلاصه طالما أنّي قد حصلت على الخلاص^{٧٥٧١}.

ونحن الخطأة، إذ يحدونا اليقين أنّ يسوع المسيح سيظهر لنا أيضاً كلّ طول أناته، نتضرّع إليه أن يؤهّلنا للاقتراب من كأس محبّته بلا دينونة.

✠ استخدمني يا كليّة الطهارة شفاعتك الوالديّة

إلى جانب هذه الصلوات التي تؤلّف "خدمة المناللة الالهية"، كتب الآباء القديسون صلوات أخرى كثيرة تهيينا للمناللة الالهية. ودونكم واحدة من تلك الصلوات كتبها بطريرك القسطنطينيّة فيلوثيروس ويتوجّه بها نحو العذراء:

أيّها الطاهرة حقاً والعذراء الفائقة النقاوة ووالدة الإله،

أعجوبة للملائكة مرهبة، وممتنع تفسيرها للذين تحت وطأة الموت،

مرهبة حقاً وغير مدركة لهؤلاء كما لأولئك على حدّ سواء،

طليعة جنسنا، إناء الألوهة الفائقة الطهارة، مصنع خلاصنا،

الوالجة بنا بصلاحها الفائقة إلى الواحد من الثالوث، ربّنا يسوع المسيح، الإله

التمام والإنسان التام، بحق وبحال تفوق كل قول وذهن، كيما تعيد الخلاص لجبلتنا البشرية المائتة وتبعدنا إلى الاستحقاق الأوّل.

يا استعادة الساقطين بعد تدبير كلمة الله الخلاصي،

ومنحيّتي نجاة تعلو على كلّ الشدائد،

أنا غير المستحقّ لأيّة عناية أو معونة،

المخطيء. بملء إرادتي على الدوام، في كلّ وقت ومكان وشأن.
 إفتقدي الآن حقارتي.
 فإنني متشوش ولا أدري ماذا أفعل.
 فإن تغافلت عن كثرة شروري التي لا تحصى وتقدمت من الأسرار الطاهرة فأنا
 غير مستحق لها بالكلية.
 وإن امتنعت عنها، حتى لا أتناول لدينوني أصير عندئذٍ فريسة للعدو.
 فإذا أتخذك متوسطة لي، أتقدم واثقاً
 وألقي عني جملة معاصي التي لا تحدّ في بحر رأفات ابنك وإلهك التي لا تحصى.
 فاستعطفه بالدالة الوالدية التي لك نحوه أيتها السيّدة الكلّية الطاهرة،
 وأبتهل إليك أن تهدئي اضطرابي.
 نعم يا كلّية النقاوة، اقبليني ولا ترذليني من أمامك،
 أنا الكثير الخطايا، التي اجترمتها بالقول والفعل والفكر،
 بصور وإيجاءات ونشاطات مختلفة وبكافة الحواس.
 كوني محاميّتي في تلك الساعة، وتوسّلي إلى الربّ الشفوق الكلّي الرأفة،
 كي لا أجدني محروماً من نعمته،
 بل يغضني عن زلاتي الكثيرة ويقدّسني بجسده الطاهر ودمه الكريم المحيي،
 وينيرني ويخلصني ويوضحني ابن النور،
 فأسير على هدى وصاياه المقدّسة،
 ولا أعود بعد إلى الخطيئة وأتهوّر فيها.
 فإذا أشترك بلا دينونة في الموهبة الرهيبة،
 وأقبل عربون الدهر الآتي،
 وأنعتق من العقوبات المؤبّدة،
 أفوز بالحياة الأبدية،
 بواسطتك أنت، يا رجائي الذي لا يخيب ونصيرتي، ممجّداً ومعظماً الآب
 والابن والروح القدس، الثالوث المغبوط الكلّي قدسه، إلى دهر الداهرين. آمين".

ثم يقول للشماس: يا أخى ومشاركى فى الخدمة، اغفر لى أنا الخاطىء.
ويقول الشماس: كهنوتك يذكر الرب الاله فى ملكوته السماوى كل حين،
الآن وكل أوان وإلى دهر الدهرين.

بعد ذلك يتقدم من القدسات بخوف ورعدة، ويأخذ قسماً من الخبز المقدس
ويقول: ها أنذا أتقدم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت، أنا الحقير فى الكهنة (فلان)
أنا لى جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، الكريم المقدس، لغفران خطاياى
وللحياة الأبدية على اسم الآب والابن والروح القدس، ثم يتناوله ويقول: آمين.

ثم يدعو الشماس قائلاً: يا شماس تقدم.

الشماس: ها أنذا أتقدم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت. ناولنى يا سيد، أنا
الشماس الحقير (فلان)، جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم المقدس
لغفران خطاياى وللحياة الأبدية.

ثم يمسك الكاهن الكأس المقدسة ويقول: أنا الحقير فى الكهنة (فلان) أنا لى
أيضاً الدم الكريم الطاهر النقي الحي، دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح لغفران
خطاياى وللحياة الأبدية. ويتناول منه ثلاثاً.

ثم يقبل الكأس ويرفعه قائلاً: هذه لامست شفتي فتتزع آثامى وتطهرنى من
خطاياى.

ثم يدعو الشماس قائلاً: يا شماس تقدم.

الشماس: ها أنذا أتقدم إلى المسيح ملكنا وإلهنا غير المائت. ناولنى يا سيد، أنا
الشماس الحقير (فلان)، الدم الكريم الطاهر دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح
لغفران خطاياى وللحياة الأبدية. ثم يتناول الكاهن ثلاث جرعات ويقول: الشماس
(فلان) الكلى الوقار، تناول لك الدم الكريم الطاهر، دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع
المسيح... ثم يقبل الشماس الكأس المقدسة، ويرفع الكاهن الكأس ويقول: هذه
لامست شفتيك فتتزع آثامك وتطهرك من خطاياك.

■ هذه لامست شفّتي

وبعد أن يتناول الكاهن جسد المسيح الكليّ قدسه ودمه الكليّ الطهارة، بخوف ورعدة، يقبل الكأس المقدّسة، ويقول: "هذه لامست شفّتي فتزع آثامي وتطهرني من خطاياي". هذا الكلام قاله النبي أشعيا - في الرؤية الحاصلة له لما دعي إلى الاستحقاق النبويّ - ملاك سرافيم، عندما طار إليه وبيده جمره قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسّ بها فمه". "إنّها رمز للمسيح، الذي من أجلنا ولأجلنا وضع نفسه لله وللآب ذبيحة روحانيّة طاهرة ورائحة زكيّة" ٧٥٨.

لم يجرؤ الملاك على ملامسة الجمره بيده، والجمره ترمز إلى المسيح. أمّا نحن فإنّنا نقرب من المسيح في القدّاس الإلهي. ويقول الذهبيّ الفم في هذا الصدد: "إن تأملت حقيقة القرايين الكريمة الموضوعه فستجد أنّها تختلف بما لا يقاس من ملامسة السرافيم. ولكن إن افكرت برأفة الربّ نحوك فستجد أنّ نعمة القرايين الإلهيّة لم تجعل منا بل انحدرت علينا رغم حقارتنا نحن". ويتابع: "إن افكرت بهذه الأمور أيّها الانسان وتأملت عظم الهبة، فانهض وانفصل عن الأرض وارفع إلى السماء" ٧٥٩.

والتصاقنا بالأرضيّات يشكّل عائقاً لجهة أن تأتي المناولة الإلهيّة بأثمارها. ويقول القدّيس سمعان اللاهوتيّ الحديث: "أمّا هذا الخبز فهو بالنسبة إلى أولئك الذين لم يرتفعوا عن الحسيّات، خبز بشكل حسيّ؛ إلا أنّه بالنسبة للذين يشاهدون عقليّاً فهو نور غير موسوع وغير مدرك... فأنت، عندما تتناول الخبز الإلهيّ وتشرب خمر الابتهاج، كيف يسوغ لك أن تعتقد أنّك تناولت الحياة الأبديّة عندما تجهل أنّك تناولت الجمره المشتعلة؟... كيف يسوغ لك الاقتراب من نار الألوهة الذي لا يدنى منه؟ لا يا أخي، لا. هذه كلّها تتمّ من أجلك، لأنّك عديم الحسّ كليّاً أمامها... هذا النور ينيرك، لكنّك أعمى ولا تستنير. النار تشملك بدفعها، لكنّك تبقى بارداً بالكلّيّة. الحياة أقبلت عليك لكنك لم تنهض بل بقيت مائتاً" ٧٦٠.

فلنتقدم إلى المناولة الالهية أنقياء النفس والجسد في سبيل اقتبال الحياة الأبدية.
 "فلنقترب من الرب بشوق عظيم. ولنقتبل جسد المصلوب ونحن مصلوبي الأيدي.
 ولنسمر عيوننا وشفاهنا وجبيننا نحو < الجمرة الالهية > عند تناولنا إيها، فتحرق
 خطايانا بنار هذا الشوق المعتمر فينا بعد أن اقتبل مؤونته من الجمرة، ويستنير قلبنا،
 ونتحول نحن أيضاً إلى جمرة متقدمة، ونتأله بالاشتراك بالنار الالهية" ٧٦١.

وبعد المناولة، يرتب الشماس القدسات ويقول: إذ قد رأينا قيامة المسيح
 فلنسجد للرب القدوس يسوع البريء من الخطيئة وحده، لصليبك أيها المسيح نجسد
 ولقيامتك المقدسة نسبح ونمجد، لأنك أنت إلهنا وآخر سواك لا نعرف، واسمك
 نسبي. هلموا يا معشر المؤمنين، لنسجد لقيامة المسيح المقدسة، لأنه هوذا بالصلب
 قد أتى الفرح لكل العالم، نبارك الرب في كل حين ونسبح قيامته، لأنه كابد
 الصلب من أجلنا، فأباد الموت بالموت.

استنيري ستنيري يا أورشليم الجديدة لأن مجد الرب أشرق عليك. افرحي الآن
 وتهللي يا صهيون، وأنت يا والدة الاله النقية إطربي بقيامة ولدك.

يا ما أشرف، يا ما أحب، يا ما أحلى صوتك الالهي أيها المسيح، لأنك قد
 وعدتنا وعداً صادقاً بأنك تكون معنا إلى منتهى الدهر، فنحن المؤمنين نعتصم بك
 مرساة لرجائنا ونبتهج متهللين.

أيها المسيح الفصح العظيم الأقدس، يا حكمة الله وكلمته وقوته، أعطنا أن
 نتمتع بك بأجلى بيان في نهار ملكك الذي لا يغرب ٧٦٢.

ثم بمسح جيداً الصينية المقدسة، واضعاً الأجزاء كلها داخل الكأس المقدسة
 قائلاً: اغسل يا رب بدمك المقدس خطايا عبيدك المذكورين ههنا. بشفاعات والدة
 الاله وجميع قدسيك. آمين.

■ بإمكاننا إقامة الفصح دائماً

يكتب القدّيس كيرلس بطريرك الاسكندرية أنّ الاشتراك في المناولة الإلهية هو "اعتراف حقيقي وتذكّار لموت الربّ وقيامته لأجلنا ومن أجلنا"^{٧٦٣}. هذا الكلام يؤكّده الكاهن الآن، الذي عندما ينتهي من المناولة، يتلو أربع طروباريّات قياميّة بينما يضع جسد المسيح المقدّس داخل الكأس المقدّسة.

في القدّاس الإلهيّ قد رأينا قيامة المسيح، رأيناها مكهونة وسط اجتماعنا الشكريّ. ونعيشها الآن - بالمناولة الإلهية - مكهونة داخل حياتنا "عندما يُستنهض فينا السيّد المسيح، مشرقاً ومتألّئاً بأشعة الألوهة وعدم الفساد"^{٧٦٤}.

ما دام بوسعنا أن نكرز دوماً بموت الربّ بالقدّاس الإلهيّ، نستطيع تالياً أن نعيّد فصح المسيح على الدوام: "بإمكاننا إقامة الفصح دائماً"^{٧٦٥}. فكلّ احتفال ليتورجي هو قيامة المسيح، وكلّ مناولة إلهية هي قيامة الانسان المشترك فيها. "فقيامة النفس هي اتّحادها بالحياة. فكما أنّ الجسد المائت إنّ لم يقتبل فيه نفساً حيّة ويكن متّحداً بها دون اختلاط، لا تُكتب له الحياة وليس بمقدوره أن يحيا، كذلك النفس أيضاً، فإنّها لو وحدها ومن تلقاء ذاتها ليس بوسعها أن تحيا إلا إذا اتّحدت بالله، الحياة الأبدية الحقّة، بحال لا تفسّر وبلا تشويش"^{٧٦٦}.

كلّ حياة المؤمن الذي يتناول بلا مداينة "هي عيد... فصح، عبور من المشاهدة الحسيّة إلى المشاهدة العقليّة... حيث نتنعم بحال أبدية، ونحن أنقياء بالذبيحة الأكثر طهارة، بالمسيح في الله والآب والروح المساوي له في الجوهر، ناظرين المسيح دوماً ومنظورين منه، كائنين معه ومالكين معه، الذي لا يوجد أعظم منه في ملكوته، الذي ينبغي له كلّ مجد وإكرام وسجود، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين، آمين"^{٧٦٧}.

ثمّ يلتفت الشماس نحو الشعب ويعلن قائلاً: بخوف الله وإيمان ومحبة تقدّموا.

الشعب: آمين. آمين. آمين. مبارك الآتي باسم الربّ.

■ بخوف الله وإيمان ومحبة

التوبة، الاعتراف، الصلاة، الصوم، كلها تشكل تهيئة روحية للاشتراك في المناولة الالهية. خوف الله، الايمان والمحبة تؤلف كيفية تقدّمنا إلى المناولة، وتبلور حالتنا النفسية والجسدية أمام المسيح الذي يدعونا إلى العشاء. يقول الذهبي الفم: "عندما تكونوا مزمعين أن تتقدّموا نحو هذه المائدة الالهية الرهيبة، نحو هذه المستاغوجيا الشريفة، تقدّموا بخوف ورعدة، بضمير طاهر، بصوم وصلاة، دون أن تحدثوا جلبة، دون أن تسمع أصوات أقدامكم، دون أن يدفع الواحد الآخر. لأنّ هذه الفوضى هي أكبر دليل على استخفافنا بالأسرار المقدسة وعدم اكتراثنا. لماذا أنت في عجلة؟ هل تضغطك الحاجة لنتهي أشغالك؟ أو لربّما يعبر في خاطرك في تلك الساعة فكر أنّ لديك أعمال؟ لربّما لديك الشعور أنّك على الأرض؟ أو تعتقد أنّك مع بشر؟" ٧٦٨.

بالإضافة إلى الهدوء والترتيب أثناء المناولة الالهية، هناك ضرورة الاستعداد لها قبل ذلك. كما يكتب البار نيقولاوس كاباسيلاس "فإنّ الله، ولو أنّه يهبنا كلّ الأسرار المقدسة مجاناً، ونحن لا نقدّم له مسبقاً أيّ شيء، إلّا أنّه يتطلّب منا أن نغدو لائقين ومستعدين لتقبّل هباته والحفاظ عليها. لا يتمّ التقديس والبركة إن لم نتصرّف على هذا النحو... وهذا يظهره لنا جلياً مثل الزارع، فهو يقول: خرج الزارع، ليس ليحرث الأرض بل ليزرع. بهذا القول يدلّ على أنّ الحرّثة وكلّ الاستعداد الواجب يقعان على عاتقنا نحن" ٧٦٩. الاستعداد هو أن ننمّي في داخلنا مخافة الله والايمان والمحبة. ويقول القديس اسحق: "مخافة الله بدء الفضيلة. ويقال إنّ المخافة تولّد من الايمان، وتزرع في القلب عند انقطاع الذهن من التشتّت بالعالم" ٧٧٠. في قلب ذاك الذي انفصل عن الاهتمامات المعيشية تولد الايمان ومخافة الله.

ويكتب القديس مكسيموس أنّ مخافة الله على نوعين: "الأولى تولّد في أنفسنا من جراء التهديدات بجهنّم... وأمّا الثانية فمرتبطة بالمحبة. وهذه الأخيرة تلد في النفس التقوى، بحيث لا تزدرى النفس الله من جرّاء الدالة التي تخلقها المحبة" ٧٧١. لن يخشى

الانسان بعد أي شيء آخر سوى السقوط من علو المحبة. لذا، إذ نتناول "المحبة"، نطلب إلى الرب: "أيدنا جميعاً بخوفك". نطلب المخافة التي تعتمر نفوس الكاملين في الفضيلة: "هذا هو الذي أحرز المحبة الحقيقية، التي يقول القديس (يوحنا الانجيلي) إنها كاملة، وهذه المحبة تقوده إلى المخافة الكاملة. مثل هذا يخشى مشيئة الله ويحفظها، ليس بعد لأجل الجراحات، ليس بعد لتجنب جهنم بل، كما قلنا، إذ تذوق حلاوة الحياة مع الله، فهو يخشى السقوط منها، يخشى حرمانه إيّاها. ها هي، إذاً، المخافة الكاملة، تلك المخافة المتولدة من المحبة، فهي تطرح خارجاً خوف المبتدئين" ٧٧٢.

الايمان هو بداية الطريق الذي يقود إلى المناولة الالهية وأما المحبة فنهايته: "هوذا مبدأ الحياة وغايتها، أما الايمان فهو بدايتها، أما المحبة فنهايتها. وهاتان معاً تقودان إلى الله" ٧٧٣.

* * *

اللحظة التي يقابل فيها الانسان الرب داخله هي لحظة المحبة الالهية المقدّمة ولحظة المحبة البشرية التي تتقدّم وتقبل العطية. "لنحبّ المسيح، بحثنا الذهبيّ الفم، كما يجدر بنا أن نحبّه. ومحبتنا هذه نحوه هي الأجر العظيم الذي يمنحنا إياه الله. إنها الملكوت والغبطة، إنها التنعم والمجد والكرامة، إنها النور، إنها الغبطة الفائقة التي يعجز الكلام عن وصفها أو الذهن عن إدراكها". ويكتب القديس اسحق: "الفردوس هو محبة الله... عندما نعثر على المحبة، نأكل خبزاً سماوياً... من يجد المحبة، يأكل المسيح كلّ يوم وكلّ ساعة فيغدو غير مائت... مغبوط من يأكل خبز المحبة الذي هو المسيح... فما هو الأكل والشرب على مائدة ملكوتي إن لم يكن محبة؟ بمقدور المحبة أن تروي الانسان عوض المشرب والمأكل! هوذا الخمر الذي يفرح قلب الانسان! مغبوط الذي يشرب من ذاك الخمر!" ٧٧٤.

القُدَّاس الإلهي هو ملكوت الله. وغذاء عشاء الملكوت هو "المحبة". بالتوبة ومخافة الله نبحر عبر بحر هذه الحياة ونبلغ إلى المحبة. "التوبة هي السفينة، أما المخافة فقبطانها، وأما المحبة فالميناء الإلهي... وعندما نبلغ إلى المحبة، نبلغ إلى الله. وتبلغ

طريقنا إلى منتهائها، ونرسو على شاطئ الجزيرة التي ليست من هذا العالم، حيث الآب والابن والروح القدس، له المجد والعزة، وأمّا نحن فليجعلنا مستحقين لمجده ومحبة الكائنة في مخافته. آمين^{٧٧٥}.

وعندما يناول الكاهن المؤمنين، يقول لكل واحد: عبد الله (فلان) يناول جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ودمه، لغفران الخطايا وللحياة الابدية. آمين.
وبينما يتناول المؤمنون، يرتل الجوق: اقبلني اليوم شريكاً لعشاءك السري...

❖ ويدعو خرافه الخاصة بأسمائها

يدعو الكاهن المؤمن باسمه عندما يناوله جسد المسيح ودمه المقدسين. يدعو بالاسم الذي أعطي له عندما غدا ابناً لله، عندما اعتمد على اسم الآب والابن والروح القدس.

ولحظة المناولة هي لحظة لقائنا الشخصي بالرب. المسيح، الراعي الصالح، يدعو خرافه الخاصة بأسمائها، بفم الكاهن، فتقرب منه خرافه وتقبل من يديه الكليتي الطهارة الغذاء الذي يُنبع عدم الفساد. "لا تظنّ إذاً، عندما ترى الكاهن يناولك الأسرار الطاهرة أنه هو من يقوم بذلك، بل هي يد المسيح المقدسة التي تمتد إليك"^{٧٧٦}. هكذا يغدو الراعي باب الخراف، باب "الحياة" الملوكي، وبه تدخل الخراف وتخرج وتجد مرعى^{٧٧٧}.

والمسيح أيضاً هو مرعى الخراف، "أعني ان المسيح هو الراعي الذي يطعم خرافه من أعضائه الخاصة. ولما أقول ان المسيح هو الراعي؟ لأنه يوجد العديد من الأمّهات اللواتي يعطين أولادهن بعد ولادتهم إلى حاضنات أطفال. لكن المسيح لم يسعه احتمال هذا الأمر، بل هو يغذي بذاته من دمه الخاص، وبشّتي الطرق يوحدنا به...

بالأسرار يتحد نفسه بكلّ واحد من المؤمنين، فالذين ولدهم لا يعطيهم لأحد آخر، بل يطعمهم بذاته ويمنحهم نفسه غذاء^{٧٧٨}.

✦ نحن والمسيح واحد

القدّاس الإلهي، في كليته، هو بحر نعمة الله ومحبته. ونحن على طول احتفالنا به نتقبّل مواهب النعمة. لكننا في هذه اللحظة إنّما نتقبّل معطي الهبات نفسه، أعني المسيح: "لأننا لا نشترك بما له، بل به هو"^{٧٧٩}.

بالمناولة الإلهية نغذو مزيجاً واحداً بدم المسيح المقدّس وعجينة واحدة بجسده المقدّس. ويقول الذهبيّ الفم: "أنت تقبّل المسيح داخلك، فتمتزج بدمه المقدّس وتنعجن بجسد الربّ الموجود في السماء". يمتزج بنا دم السيّد الكليّ الطهارة ويحوّل حياتنا. "يجعلها أكثر صلابة، ونقاوة، ويقودها إلى الجمال الذي لا ينتهي"^{٧٨٠}.

و"هذا الدم، كما يشدّد الذهبيّ الفم، يحيي الصورة الملكية، هذا الدم يلد الجمال الذي لا يوصف، هذا الدم لا يسمح أن يتلطّخ شرف النفس، لأنّه يسقيها ويطعمها على الدوام... هذا الدم هو خلاص نفوسنا، به تغتسل النفس وتزّين وتتقدّس. هذا الدم يجعل الذهن أكثر إشراقاً من النار ويجعل النفس أكثر لمعاناً من الذهب"^{٧٨١}.

المسيح يدخل فينا ولا يقدّس النفس فقط بل الإنسان برمته. فبالمناولة الإلهية "تتحد نفس بنفس، وجسد بجسد، ودم بدم... يا لهذه الأسرار العظيمة! يا لهذا العجب أن يتحد ذهننا بذهن المسيح! أن تصير إرادته واحدة مع إرادتنا، وجسده واحداً مع جسدنا، ودمه واحداً مع دمنا! كيف يغذو ذهننا بحضور الذهن الإلهي! وما ستكون عليه إرادتنا عندما تحلّ الإرادة الإلهية فينا! ماذا سيكون عليه هذا التراب عندما يضطرم بالنار!". "ومناولة السرّ تظهر المتناولين باستحقاق أنّهم، بحسب النعمة والاشتراك، مشابهون لذاك الذي هو صالح من ذاته، وذلك دون أن ينتقصوا منه شيئاً البتّة"^{٧٨٢}.

أمّا القدّيس سمعان اللاهوتيّ الحديث فيسبّح الربّ بعد المناولة الإلهية قائلاً:

"يا مخلص، ما هذه الرأفة؟ إنها رأفة بلا حدود!
كيف ارتضيت أن تجعلني عضواً من جسدك، أنا الدنس، الضالّ والزاني؟
كيف تلبسني الحلة المذهبة المتألّعة بنور عدم الموت،
فتحوّل إلى نور أعضائي كلّها؟
فإنّ جسدك الطاهر البريء من العيب يتألّأ بنور لاهوتك الملتحم به بحال لا
توصف..."

وأنا أدرك أنّي قد اتّحدت بألوهتك
وصرت جسدك الكلّيّ الطهارة،
عضواً متألّعاً، عضواً قدّيساً حقاً،
عضواً مشرقاً، شفافاً، ونيراً^{٧٨٣}.

❖ واحد هو صاحب العشاء في كلا العالمين

المنافلة الإلهية هي تذوّق مسبق لملكوت الله^{٧٨٤}: المسيح يعطى "كي لا يهلك
كلّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"^{٧٨٥}. بالمنافلة الإلهية تشرق في نفوسنا
المملكة العتيدة. الخبز المقدّس وكأس الحياة هما الغبطة التي يعيش في كنفها المؤمنون
في الملكوت: "مامن شيء آخر يبعث الغبطة لدى أولئك الموجودين هناك، أعني في
ملكوت الله، سوى هذا الخبز وهذه الكأس المقدّسين... لهذا عندما يتحدّث الربّ عن
فرح القدّيسين في الدهر الآتي فهو يسمّيه عشاء"^{٧٨٦}.

القدّاس الإلهي هو اجتماع أبناء الله الذين ينتظرون سيّدهم "متى يرجع من
العرس حتّى إذا جاء وقرع يفتحون له للّحال". والسيد "يتمنطق ويتكئهم ويتقدّم
ويخدمهم"^{٧٨٧}. من جهة نحن ننظر الآتي، ومن جهة أخرى نحن نتناوله بآن. وبهذا
نتناول الفرح المستقبلي. هكذا الموت ليس سوى انتقالنا من الحياة العابرة إلى الحياة
الأبدية، انتقال من مائدة سرّ الشكر إلى مائدة عشاء الملكوت: "واحدة هي قوّة
المائدة، وواحد هو صاحب العشاء في كلا العالمين"^{٧٨٨}.

ويقول الكاهن لما ينتهي من المناولة: خلّص يا الله شعبك وبارك ميراثك^{٧٨٩}.

الشعب: الله الربّ ظهر لنا.

قد نظرنا النور الحقيقيّ وأخذنا الروح السماويّ ووجدنا الايمان الحقّ فلنسجد
لثالث غير المنفصل لأنّه خلّصنا^{٧٩٠}.

الشماس بصوت منخفض: إرفع يا سيّد.

الكاهن يبخر القدسات ثلاث مرات قائلاً: ارتفع اللهم على كلّ السموات
وعلى الأرض مجدك (ثلاثاً)^{٧٩١}. ثمّ يأخذ الكأس المقدّسة ويقول بصوت منخفض
أمام المائدة المقدّسة: تبارك الله إلهنا، ثمّ يلتفت نحو الشعب ويعلن: كلّ حين، الآن
وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين.

الشعب: آمين، آمين، آمين. لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية. ومن ثمّ
الطروباريّة: ليمتلىء فمنا تسييحاً يا ربّ، لكي نسبح مجدك، لأنك أهلتنا للاشتراك
في أسرارك المقدّسة. احفظنا في تقدّيسك كلّ اليوم متأمّلين حقوقك. هلولوا،
هلولوا، هلولوا^{٧٩٢}.

❖ قد نظرنا النور الحقيقي

اقتبل المؤمن "النور الحقيقيّ" داخله بالمناولة الإلهية، فاتّحدت نفسه بالمسيح
"شمس العدل". و"يتّجه ذهنه الآن نحو الله ويتّحد به فيتألّأ بالنور الإلهي". ويغدو
المسيح للمؤمن الذي تناوله:

"نوراً وسلاماً وفرحاً، حياة، مأكلاً ومشرباً،
لباساً، وشاحاً، مسكناً وبيتاً إلهياً..."

شمساً لا يدنى منها بالحقيقة وكوكباً مضيئاً على الدوام،
مصباحاً مشرقاً داخل بيت النفس^{٧٩٣}.

نحن لم نقبل في نفوسنا مجرد "شعاع ونور، بل القرص نفسه (قرص الشمس)".
 وغدونا بالنعمة مصابيح شمسية تدور حول "الشمس" الوحيدة. فالمسيح "عندما
 يحتضن كل شيء بقوة النورانية، يمنح النور على الدوام ودون انقطاع للمستحقين
 ويجعلهم شمساً أخرى". وحضور النور الإلهي يقود الإنسان إلى مشاهدة أسرار
 الله، كما يقول البار نيكيتاس ستيثاتوس: "حضور النور الإلهي يضم إليه نفوس
 المشتركين فيه ويعود إلى نفسه... ويقود قوة مشاهدة أذهانهم نحو أعماق الله ويلج
 بنفوسهم إلى مشاهدة الأسرار العظيمة"^{٧٩٤}.

ويتحدث القديس غريغوريوس بالاماس عن ولوج الإنسان إلى مقر "النور"
 الحقيقي، فيكشف عن خبرات حياته المقدسة: "يتحد المسيح بالأقانيم البشرية ويمتزج
 بكل مؤمن عبر مناولة جسده المقدس. يصير جسداً واحداً معنا ويحولنا إلى هيكل
 كلي للألوهة، ففي جسد المسيح <يحل كل ملء اللاهوت جسدياً>. فكيف بمن أنار
 مرة أجساد التلاميذ على جبل ثابور، لا ينير بشعاعات جسده الإلهي الذي فينا
 نفوس الذين يتناولونه باستحقاق؟"^{٧٩٥}.

السر الشكري، هو سر المسيح شمس العدل، قد أشرق في عالمنا من "نور" الآب،
 ويكهنه المسيح "نور" هذا العالم، ويتقدس "بنور" المعزي. وبالتالي فإنه من الطبيعي أن
 نركز نحن المؤمنين، بعد المناولة الإلهية"^{٧٩٦}:

قد نظرنا "النور الحقيقي" فنسبحه قائلين:

"من جديد أضاء النور، من جديد صارت مشاهدته واضحة نقية،
 من جديد تفتح السموات، من جديد يتمزق قتام الليل،
 من جديد يخلق كل شيء، من جديد لم أعد أرى سواه،
 من جديد تخرجني خارج الحقائق المنظورة....

وبينما هو في وسط كل الوجود، فإنه يدفعني إلى الخروج منه كله"^{٧٩٧}.

المسيح نور العالم، يلاشي ظلمات الدهر الحاضر، يفتح السموات، يقودنا إلى مقرّ الدهر الجديد. هناك يحدّق المؤمن "بالنور" الذي هو "جمال الدهر الآتي والباقي، مملكة الله التي لا بدء لها ولا يعروها غروب". هناك داخل الملكوت، "لا يكون ليل ولا يحتاج احد إلى سراج أو نور شمس". هناك "يشرق نور وجه الرب"^{٧٩٨}.

* * *

القدّيس الشهيد يعقوب الآثوسي (١ نوفمبر)، روى لتلميذه مريكانوس كلّ ما "شاهده" أثناء القدّاس الإلهي: لما شرع الكاهن بارتداء حلّته الكهنوتية ليقوم بالخدمة، أتى نحوه نور الملائكة، مشابهاً نور شروق الشمس. ولما شرع الكاهن بتهيئة خدمة القرايين، حضر ملائكة قدّيسون إلى جوقات الكنيسة وانتصبت طغمة في كلّ زاوية من زوايا الكنيسة الأربع. ولما انتهى الكاهن من خدمة القرايين وغطّى القرايين المكرّمة بالأغطية الشريفة، غطّاها نور عظيم كثيف، فالأغطية المنظورة تظهر النور العقليّ الذي يستر القدسات. كان يرافقه نور ستر كلّ المؤمنين. ولما وضعت القدسات على المائدة المقدّسة، أحاط بها النور كهالة القمر... شاهدت الربّ طفلاً، بعد التقديس، جالساً وسط <نور> في الصنيّة المقدّسة. ولما انتهى القدّاس الإلهيّ شاهدت الطفل الإلهيّ مجدّداً بكلّيته مع الملائكة، وهو يصعد إلى السموات بمجد وكرامة.

✠ ارتفع اللهم على السموات

بعد أن يضع الكاهن القدسات فوق المائدة، ييخّرها ثلاثاً، ويقول: "ارتفع اللهم على السموات وعلى كلّ الأرض مجدك". "عندما تسمع <ارتفع> لا تعتقدنّ أنّه يطلب إلى الله أن ينتقل إلى علوّ أكبر... بل يريد أن يرتفع مجده كما في السموات كذلك على الأرض". وبحسب أثناسيوس الكبير، فإننا بأقوال النبيّ داود هذه نقول للمسيح: لما أحدرت نفسك يا سيّد، طوعاً، لأجل خلاصنا وأفرغتها بالتجسّد وصرت مطيعاً حتّى الموت، هكذا اصعد مجدّداً إلى السموات، فالأرض بعد صعودك ستمتلئ كلّها بمجدك"^{٧٩٩}.

في كل مرة يقام فيها القداس الالهي، ينحدر المسيح من الأخدار السماوية لأجل خلاصنا. وفي نهاية القداس الالهي يصعد مجدداً إلى السموات، إلا أن "نور" مجده يبقى على الأرض ويضيء المسكونة بأسرها.

* * *

بتناول المؤمنين وصلنا إلى نهاية السر الشكري.

ويخلص الكاهن والمؤمنون من حوله إلى شكر الله وتمجيده: "ليمتلىء فمنا تسبيحة يا سيد...". بهذا التسبيح "يصلّي المؤمنون ليبقى فيهم التقديس الذي اقتبلوه فلا يكونون مسلمين للنعمة وفاقدين للموهبة، وقد مُنحتنا من الرب نفسه. وأما نحن فماذا نفعل بدورنا؟... <نتأمل حقوقه اليوم كله>، أي حكمة الله ومحبة البشر التي تغدو واضحة عبر الأسرار... وتأمل حقوقه يمكن أن يحفظ فينا التقديس، فهو ينمي الايمان بالله ويوقد المحبة ولا يدع أي شر ينال من النفس"^{٨٠٠}.

بعد ذلك يقول الشماس: إذ قد تناولنا أسرار المسيح الاله المقدسة الطاهرة غير المائنة السماوية المحيية الرهيبة، فلنستقم ونشكر الرب حق الشكر.

الشعب: يا رب ارحم.

الشماس: أعضد وخلص وارحم واحفظنا يا الله بنعمتك.

بعد أن نسأل أن يكون نهارنا كله كاملاً مقدساً سلامياً، وبلا خطيئة. لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكل حياتنا للمسيح الاله.

الشعب: لك يا رب.

ويتلو الكاهن إفشين الشكر: نشكرك أيها السيد المحب البشر المحسن إلى نفوسنا، لأنك أهلتنا في هذا اليوم أيضاً لأسرارك السماوية غير المائنة فاجعل طرقنا قويمه، أيدينا جميعاً بخوفك! احفظ حياتنا، ثبت خطواتنا، بصلوات وطلبات القديسة المجيدة والدة الاله الدائمة البتولية مريم، وجميع قديسيك.

ويعلن: لأنك أنت تقديسنا، ولك نرسل المجد، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

■ بآية أقوال أشكر يا مخلص

إفشين الشكر هذا يعود بنا إلى صلاة الشكر المقابلة لها، صلاة تلاميذ المسيح في نهاية العشاء السري: "ثمّ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون".

يلاحظ الذهبيّ الفم: "إفشين القدّاس الإلهيّ هذا، هو رمز للصلاة تلك. الربّ شكر قبل أن يعطي جسده المقدّس للتلاميذ لكي نرفع الشكر نحن بدورنا. ولما قدّمه لهم عاد وشكر من جديد وسبّح، لكي نصنع نحن أيضاً الأمر عينه"^{٨٠١}.

والقدّيس سمعان اللاهوتي الحديث يشكر الربّ بعد المناولة الإلهية بهذه الصلاة:

"أنت، يا من لا تدركه السرافيم،

أنت، الخالق، المبدع، سيّد الخليقة،

لا تراني فقط وتحدّث إليّ وتغذيّني،

بل البشارة التي هي بشرتك خاصّتك،

قد ارتضيت أن تمنحها لي وأن آكلها،

وأن أشرب دمك الكليّ قدسه

الذي أهرق من أجلي عندما جرى ذبحك...

يتردّد ذهني، ولساني خائر القوى،

ولا أجد أقوالاً، يا مخلص، لأعبر عن أعمال صلاحك،

تلك التي صنعتها من أجلي، أنا عبدك،

قد اتحدت بي، يا محبّ البشر، برأفة لا تعرف حدوداً،

أنت الكليّ الطهارة والقداسة،

ذو قوّة لا تقارن، وعظمة لا مثيل لها،

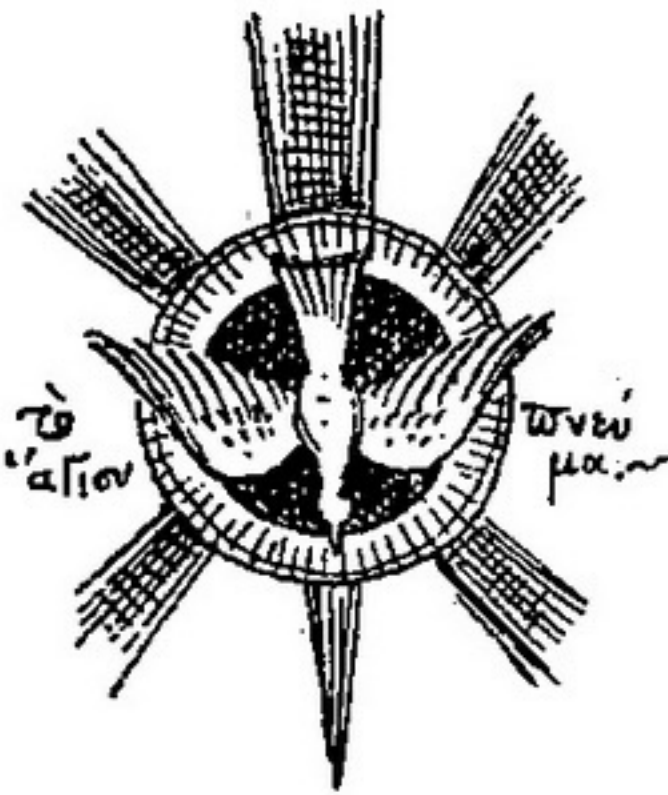
قد نزلت من العلوّ، من عليائك الذي لا يسبر علوه،

إلى آخر أبواب الجحيم، جحيم خطاياي،

وظلام فقري وبيتي المتهدم

من جرّاء معاصي كثيرة وإهمالي الكبير،

مُهْمَلٌ بِجَمَلَتِهِ (بَيْتِي) وَمَدْنَسٌ،
 فَأَنْهَضْتَنِي بَادِيءَ ذِي بَدْءٍ مِنَ الْأَرْضِ،
 وَثَبَّتَنِي عَلَى صَخْرَةٍ وَصَايَاكَ الْإِلَهِيَّةِ،
 وَغَسَلْتَنِي وَطَهَّرْتَنِي مِنْ أَوْحَالِ رَجَاسَاتِي،
 وَأَلْبَسْتَنِي حُلَّةً أَكْثَرَ بَيَاضاً مِنَ الثَّلْجِ،
 وَطَهَّرْتَ بَيْتِي الْمَدْنَسَ،
 وَلَمَّا دَخَلْتَ إِلَيْهِ، سَكَنْتَ فِيهِ، أَيُّهَا الثَّالُوثُ إِلَهِي
 وَمَنْ ثُمَّ جَعَلْتَ مِنِّي عَرْشَ أَلُوْهَتِكَ الْإِلَهِيِّ،
 وَمَنْزَلَ مَجْدِكَ وَمَلَكُوتِكَ غَيْرِ الْمَدْرَكِينَ،
 وَإِنَاءَ حَاوِيَا الْمَنْ، مَنْ عَدَمَ الْفَسَادِ،
 وَمَصْبَاحاً حَافِظاً فِيهِ النُّورَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي لَا يَنْطَفِئُ ٨٠٢.



٨ الحل

الكاهن: لنخرج بسلام^{٨٠٣}.

الشعب: باسم الربّ.

الشمّاس: إلى الربّ نطلب.

الشعب: يا ربّ ارحم (ثلاثاً). بارك.

ويتلو الكاهن أمام أيقونة المسيح الافشين المعروف بافشين وراء المنبر:

يا ربّ يا من تبارك الذين يباركونك وتقدّس المتكلمين عليك. خلّص شعبك وبارك ميراثك، واحفظ ملء كنيسك، قدّس الذين يحبّون جمال بيتك^{٨٠٤}. أنت شرفهم عوض ذلك بقوّتك الإلهيّة، ولا تهملنا نحن المتكلمين عليك، وهب السلام لعالمك، ولكنائسك وللكهنة، وللوكنّا، ولجنودهم، ولكلّ شعبك، لأنّ كلّ عطية صالحة وكلّ موهبة كاملة منحدرة من العلوّ من لدنك يا أبا الأنوار^{٨٠٥}، ولك نرسل المجد والشكر والسجود، أيّها الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

■ لنخرج بسلام

القدّاس الإلهيّ هو مسيرة. مسيرة هدفها ونهايتها اللقاء بالله والإتحاد به. هذا الهدف قد سبق وتحقّق. قد بلغنا نهاية مسيرتنا، قد رأينا النور الحقيقيّ، قد رأينا الربّ متجلّياً على جبل ثابور، قد تناولنا جسده المقدّس ودمه الكليّ الطهارة. وبينما نتجرّأ

ونهمس لمفتقدنا العظيم: "يا ربّ جيّد ان نكون ههنا"^{٨٠٦}، تأتي كنيسة المقدّسة وتذكّرنا أنّ نهاية مسيرتنا الليتورجية ينبغي أن تشكّل انطلاقة لمسيرتنا الشهاديّة: "لنخرج بسلام". فلننطلق بسلام. ينبغي أن نغادر جبل التجلّي لنعود إلى العالم ونسلك طريق شهادة حياتنا. هذه المسيرة تغدو شهادة المؤمن "للطريق" و"للحياة" التي استضافها داخله.

في القدّاس الالهّي اقتبلنا داخلنا المسيح. الآن نحن مدعوّون إلى أن نحمله إلى العالم. أن نغدو شهداء حياة المسيح في العالم: شهداء "الحياة الجديدة". "ينبغي أن نخرج من اجتماعنا الشريف كما لو كنّا نازلين من السموات نفسها"^{٨٠٧}، كما السيّد العذراء منذ اللحظة التي اقتبلت المسيح داخلها قد ظهرت "سماء لمن جعل الأرض سماء"^{٨٠٨}، هكذا كلّ مؤمن منذ اللحظة التي تناول فيها المسيح، يغدو سماء حيّة، شاهداً لحضور الملك السماويّ داخل العالم.

بعد المناولة الالهية ينبغي أن نخرج إلى العالم حاملين المسيح، حاملين الروح القدس.

فمن الآن فصاعداً يجدر بنا أن نجاهد لنحفظ "النور" الذي أخذناه غير منطفئ، لنحفظ مواهب الروح القدس التي منحنا إيّاها غير مدنّسة. هذه "الحراسة" تكفي لتفعيل هذه المواهب على نحو خلاصيّ في نفوس الاخوة الذين لم يشتركو بعد في سرّ الشكر. فالمؤمن، حامل المسيح، هو الأرض "التي من ذاتها تأتي بثمر"^{٨٠٩}.

ابتدأ القدّاس الالهّي "بالسلام"، وأثناءه مُنحنا سلام الله مرّات عدّة. والآن نحن مدعوّون إلى تقديم السلام للعالم بمحبّة، السلام والمحبة هما أصل القدّاس الالهّي وثمره بأن: "هذا السلام وهذه المحبة لا يجعلان هذه الصلاة مقبولة فقط، بل يولدان من جديد من هذه الصلاة، ويتألّقان كتوأمي أشعة إلهيين، وينموان ويكتملان"^{٨١٠}.

❖ ملء كنيسة المسيح

إفشيناً "وراء المنبر" يسمي المؤمنين ملء كنيسة المسيح. الكنيسة هي سفينة المسيح المبحرة في هذا العالم. ويكتب القديس هيبوليتوس: "البحر هو العالم، والكنيسة تبحر في هذا الغمر دون أن تغرق. فقد تولّى دفّتها ربّان خبير هو المسيح. رفعت في وسطها راية الظفر على الموت، أي صليب المسيح الذي تحمله... مجاذيفها العهدان، وحبّالها المشدودة هي محبة المسيح التي تضمّ الكنيسة إلى حضنه... أشرعتها الروح النازل من السماء الذي به يُختتم المؤمنون بالله... أما بجّارتها من الجهتين اليمنى واليسرى فهم الملائكة والقديسون الذين يحفظون الكنيسة على الدوام"^{٨١١}.

كنيستنا المقدسة هي السفينة المبحرة نحو ملكوت الله: "الكنيسة سفينة صعد على متنها رجال من بقاع مختلفة قاصدين تلك المملكة الصالحة في وسط شتاء قارص. سيّدهم هو الله، الربّان هو المسيح، قائد الرحلة هو الأسقف، البحارة هم الكهنة... والركاب هم جماعة الأخوة، الغمر هو العالم، الرياح المضادة هي التجارب، أما الأعاصير فهي الإضطهادات والمخاطر وكلّ أنواع الأحزان"^{٨١٢}.

قد حرّرنا المسيح من الخطيئة والموت وولدنا بالمعمودية المقدسة. انه "ذاك الذي يضمّ إلى ملء واحد أولئك الذين ضلّوا بطرق شتى... يجعلنا أعضاء شعبه المبارك وميراثه: "الجميع إسرائيل واحد... أي كنيسة واحدة وشعب واحد... تحت راية قائد وعريس واحد ملتئمين لشركة جسد واحد"^{٨١٣}.

ثم يرتل ثلاثاً: ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الدهر.

والكاهن يدخل من الباب الملوكي ويتجه نحو القدسات (إلى المذبح) ويقول:
أيها المسيح إلهنا بما أنك أنت كمال الناموس والأنبياء يا من أتممت كلّ التدبير الأبوي. إملأ قلوبنا فرحاً وسروراً كلّ حين. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدهرين.
آمين.

❖ ليكن اسم الربّ مباركاً

هذه المجدلة لاسم الربّ موجودة في المزمور ١١٢ (الآية ٢). وهذا المزمور هو الأوّل من سلسلة مزامير (١١٢ - ١١٧) كان يرتّلها العبرانيّون في مساء الفصح. لذا من شبه المؤكّد أنّ هذه الآية قد رتّلها الربّ وتلاميذه في نهاية العشاء السريّ^{٨١٤}.

المؤمنون - تلاميذ المسيح اليوم - قبل مغادرتهم العليّة، يمجّدون مع المسيح اسم أبيهم السماويّ، الاسم الكلّيّ قدسه. "لأنّه بهذا الاسم أُبطل الموت، قيّدت الشياطين، انفتحت أبواب السماء، أرسل الروح القدس، والعبيد أُعتقوا، الأعداء صاروا أبناء، الغرباء غدوا ورثة، البشر صاروا ملائكة. ولماذا أقول ملائكة؟ فالله صار إنساناً والانسان إلهاً، السماء اقتبلت الطبيعة الترابيّة والأرض اقتبلت ذاك الذي يجلس على الشروبيم مع الطغمة الملائكيّة. الحائط المتوسّط انهدم، الحاجز أُبطل وكلّ ما انشطر اتّحد، الظلام انطفأ، النور تلاًلاً والموت أُيّد"^{٨١٥}.

باسم الربّ "تمّت أمور لا تحصى، ونحن ندخل إلى المستاغوجيا الشريفة. ومرنم المزامير، الذي فكّر في كلّ الأمور المثيرة للعجب التي تمّت باسم الربّ... يقول: "قدّوس ومرهوب اسمه". وإذا كان قدّوساً، فالحاجة إذاً هي لأفواه قدّيسة تسبّحه"^{٨١٦}. لهذا الأمر بالضبط ربّبت كنيستنا المقدّسة أن نسبّح اسم الربّ الكلّيّ قدسه بعد أن تقدّست أفواهنا بتناولها القدّوس الواحد الوحيد، أي المسيح.

* * *

"إملاً قلوبنا فرحاً". "تري أيّ فرح هو المقصود بهذه الأقوال؟ أعلّهِ فرح عالمي؟ حاشا... أولئك الذين يقولون هذا الافشين، يقصدون ذلك الفرح الذي ما من شيء مشترك يجمعه بالحياة الحاضرة. يقصدون فرح الملائكة، الفرح السماويّ. وهم لا يطلبون هذا الفرح مجرد طلب، بل يغالون في طلبه. فإنّهم لا يقولون "اعط" بل "املاً"، ولا يقولون "نحن" بل "قلوبنا"، لأنّ هذا الفرح هو قبل كلّ شيء فرح القلب"^{٨١٧}.

الشّمّاس: إلى الربّ نطلب.

الشعب: يا ربّ ارحم.

الكاهن: بركة الربّ ورحمته تحلّان عليكم بنعمته الإلهيّة ومحبّته للبشر كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

الكاهن: المجد لك أيّها المسيح إلهنا، المجد لك.

القارئ: المجد... الآن... يا ربّ ارحم (ثلاثاً). بارك.

الكاهن: يا من قمت من بين الأموات (إذا اتّفق يوم أحد، وإلا فلا)، أيّها المسيح إلهنا الحقيقيّ بشفاعات أمّك القدّيسة الكلّية الطهارة والبريّة من كلّ عيب، وبقوّة الصليب الكريم المحيي، وبطلبات القوّات السماويّة المكرمة العادمة الأجساد، والنبّي الكريم السابق يوحنا المعمدان، والقدّيسين المشرّفين الرسل الكلّيّ مديحهم، والقدّيسين المجيدين الشهداء الحسني الظفر، وآبائنا الأبرار المتوشّحين بالله، وأبينا الجليل في القدّيسين يوحنا الذهبيّ الفم، والقدّيس (فلان) صاحب هذه الكنيسة المقدّسة، والقدّيسين الصديقين جدّي المسيح الاله يواكيم وحنة، والقدّيس (فلان) الذي نقيم تذكّاره اليوم وجميع قدّيسك، ارحمنا وخلصنا بما أنّك صالح ومحبّ البشر.

بصلوات آبائنا القدّيسين أيّها الربّ يسوع المسيح إلهنا، ارحمنا وخلصنا.

الشعب: آمين. ويوزّع الكاهن البروتي ويقول: بركة الربّ ورحمته تحلّان عليكم، ولدى بلوغه إلى آخر شخص يختتم قائلاً: بنعمته الإلهيّة ومحبّته للبشر كلّ حين، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين. آمين.

❖ بركة الرب ورحمته

يكتب القدّيس سمعان أسقف تسالونيك، في شأن هذه البركة الأخيرة من الكاهن: "في النهاية، بعد أن يختتم الأسقف الشعب (بإشارة الصليب) ويسأل له بركة

الربّ، يتلو الحلّ... فيكرز ويشهد أننا خلصنا وسنخلص بواسطة تدبير المخلص وعمله، بمساهمة صلوات خادمة السرّ العظيم، والدة الاله، وجميع الذين تقدّسوا من السرّ^{٨١٨}.

وكتب البار نيقولاوس كاباسيلاس معلّقاً على هذا الحلّ الأخير وقال: إنّ الكاهن يصلي "لكي يرحمنا الربّ ولنخلص، لأننا لا نملك شيئاً خاصاً بنا يستحقّ أن نقدّمه عن خلاصنا، لكننا نتطلّع فقط إلى رأفة ذاك الذي بوسعه أن يخلصنا، لذا يذكر العديد من الشفعاء الذين سيساعدوننا في هذا السبيل، ولا سيّما والدة الاله الكليّة القداسة، التي بها وردت إلينا الرحمة منذ البدء"^{٨١٩}.

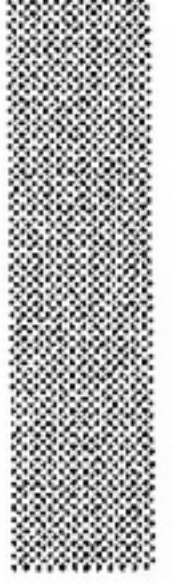
* * *

في النهاية يوزّع الكاهن "ما هو بدل القربان"، كما تعني اللفظة نفسها (انديذورون)، هي تمنح عوض "القربان" الوحيد لكلّ من لم يتناوله: "عوض القرايين"، أي <عوض الأسرار الرهيبة>، يمنح لمن لم يشترك فيها". ويقول القديس جرمانوس إنّ "عوض القربان" "يوزّع كغذاء لبركة لا يعبر عنها للذين يتناولونه بإيمان"^{٨٢٠}. أمّا البار نيقولاوس كاباسيلاس فيقول إنّ الخبز الذي يوزّع كعوض قربان قد تقدّس لأنّه قد قدّم إلى الله، والمؤمنون يأخذونه "بكلّ تقوى ويقبلون يمين الكاهن، فيده قد لامست قبل برهة جسد المسيح المخلص الكليّ قدسه، فاقبلت منه التقديس وها هي الآن تمنحه لكلّ الذين يدنون لتقبيلها"^{٨٢١}.

Downloaded from christianlib.com

الخاتمة

أسراري هي خاصتي وخاصة أخصائي



في تبويب التعليقات التفسيرية حول القدّاس الالهّي، جرت محاولة ما لتوصل إلى الانسان المسيحيّ المجاهد في عصرنا هذا خبرات آباء الكنيسة القدّيسين، خبرات ليتورجية محورها المسيح. الذي جدّ في هذه المحاولة تعثره الحاجة إلى أن يطلب غفران الاخوة القراء المحبوبين بالربّ، لأنّه لسبب عدم قدرته الروحية لم يستطع أن ينقل كنوز الآباء بشكل صافٍ. وهو يصليّ عن غير استحقاق أمام المائدة الرهيبة: "ولا تمنع بسبب خطاياي نعمة روحك القدّوس عن هذه القرايين الموضوعه" ٨٢٢، قرايين الآباء القدّيسين نحو القراء الاخوة بالربّ. وهو يترك القول من جديد للآباء القدّيسين ليمهروا محاولته المتواضعة هذه:

"كما قلنا سابقاً، ليس من ذواتنا بل منطلقين من الآباء ولا سيّما من المعلّمين ذوي العبادة الحسنة، الذين علّموا في شأن هذه الأمور باستقامة وعزم رفيع" ٨٢٣. "أمّا الذي يقرأ ما سبق كتابته فلا يعتقد أنّه قد أنجز بها التفسير الكامل لأسرار القدّاس الالهية الوقورة. ولكن ليفترض أنّه قد حصل معه ما حصل لأحدهم، الذي إذ رغب في مشاهدة معالم مدينة ما وعجائبها، التقى دليلاً ما وسلّم إليه أمره، سيكون بمقدوره عندئذ أن يشاهد، كما لو عبر نافذة أضواء المدينة وبهاؤها ولكن دون أن يرى طبيعة الكنوز نفسها التي تحويها. فقد قال الربّ: "أسراري هي خاصتي وخاصة أخصائي".

فكيف، أنا الذي ليس فقط أبتعد عن الربّ، بل وانقطعت كثيراً عن أولئك الذين يقتربون منه، كيف سيكون باستطاعتي أن أفهم أو أن أقول أمراً ما لائقاً بالمسيح؟ لكنه مرضيّ لدى المسيح ما هو بحسب الطاقة والقدرة، شرط ألا يتعارض

مع عقائده ووصاياه. وإذا وجد أحد القراء شيئاً مفيداً مما قد كتب، فليصل إلى الله لأجلي أنا الذي تعب فيها من أجل غفران خطاياي، وبعدها فليشكر الرب على الاستنارة الإلهية التي يهبها عادة، <من جبال أبدية>، للذين استحقوا رؤيته عقلياً. لأنه ينبغي كل مجد وإكرام وسجود، للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين^{٨٢٤}.



خطبة عيد الفصح للقدّيس يوحنا الذهبيّ الفم

من كان حسن العبادة ومحباً لله فليتمتع بحسن هذا المحفل البهيج،
من كان عبداً شكوراً فليدخل فرح ربّه مسروراً،
من تعب صائماً فليأخذ الان الدينار،

من عمل من الساعة الأولى فليعيّد شاكراً،
من قديم بعد الساعة الثالثة فليعيّد شاكراً،

من وافى بعد الساعة السادسة، فلا يشكّ مرتاباً فإنّه لا يخسر شيئاً،
من تخلف إلى الساعة التاسعة فليتقدّم غير مرتاب،

من وصل الساعة الحادية عشرة فلا يخشينّ الابطاء، لأنّ السيّد كريم جواد، يقبل
الأخير كما يقبل الأوّل، يريح العامل من الساعة الحادية عشرة كما يريح من عمل
من الساعة الأولى، يرحم من جاء أخيراً ويرضي من جاء أولاً، يعطي هذا ويهب
ذاك، يقبل الأعمال ويسرّ بالنيّة،

يكرّم الفعل ويمدح العزم،

فادخلوا كلّكم إذاً إلى فرح ربّكم،

أيّها الأولون ويا أيّها الآخرون خذوا أجرتكم،

أيّها الأغنياء ويا أيّها الفقراء افرحوا معاً،

سلكتم بامساك أو توانيتم أكرموا هذا النهار،

صمتتم أم لم تصوموا افرحوا اليوم،

المائدة مملوءة فتغنموا كلكم! العجل سمين فلا ينصرف أحد جائعاً، تناولوا كلكم مشروب الايمان! تنعموا كلكم بغنى الصلاح.

لا يتحسر أحد شاكياً الفقر، لأن الملكوت العام قد ظهر، ولا يندب معدداً آثامنا لأن الفصح قد بزغ من القبر مشرقاً.

لا ينخش أحد الموت، لأن موت المخلص قد حررنا. هو أمات الموت لما مات، وسبى الجحيم لما انحدر إليها، فتمرمرت حينما ذقت جسده، وهذا عينه سبق أشعياء فعينه فنادى قائلاً:

تمرمرت الجحيم لما صادفتك داخلها،

تمرمرت لأنها قد ألغيت،

تمرمرت إذ هزىء بها،

تمرمرت لأنها قد أبيدت،

تمرمرت لأنها صُفدت،

تناولت جسداً فألفته إلهاً،

تناولت أرضاً فألفتها سماء،

تناولت ما كانت تنظر فسقطت من حيث لم تنظر،

فأين شوكتك يا موت؟ أين انتصارك يا جحيم؟

قام المسيح وأنت صُرعت

قام المسيح والجن سقطت،

قام المسيح والملائكة فرحت،
قام المسيح فانبثت الحياة في الجميع،
قام المسيح ولا ميت في القبر، قام المسيح من بين الأموات فكان طليعة الراقدين،
فله المجد والعزة إلى دهر الداهرين
آمين.



لائحة النصوص الأبائية

- مكسيموس المعترف

* ميستاغوجيا: ETP و PG 91, 657-717

- جرمانوس بطريرك الاسكندرية

* التاريخ الكنسي والمشاهدة السرية: PG 98, 384-453

- ثيودورس أسقف أنذيدون

* البروثيوريا الأساسية حول الرموز والأسرار الحاصلة في القداس الالهى:
PG 150, 368-492

- نيقولاوس كاباسيلاس

* تفسير القداس الالهى: PG 150, 368-492

- سمعان أسقف تسالونيك

* في الليتورجيا الشريفة: PG 155, 253-305

* تفسير بشأن الهيكل الشريف، الحل الكهنوتي والميستاغوجيا الالهية:
PG 155, 697-750

- ذيونييسيوس الأريوباغي

* في الهيرارخية الكنسية، الفصل الثالث: PG 3, 424B-445C

- يوحنا الذهبي الفم

- * في متى، العظة الثانية والستون: EPE 12, 190
- * في يوحنا، العظمتان السادسة والأربعون والسابعة والأربعون:
EPE 13, 565, 588
- * في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، العظات ٢٤ و ٢٧ و ٢٨:
EPE 18A, 78, 180, 212
- * في الرسالة إلى أهل أفسس، العظة الثالثة: EPE 20, 464
- * في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، العظة الخامسة: PG 62, 525
- * في الرسالة إلى العبرانيين، العظة السابعة عشرة: PG 62, 127
- * في السرافيم، العظة السادسة: PG 56, 135
- * في يوم ميلاد مخلصنا يسوع المسيح: EPE 35, 422
- * في الذين يتغيّبون عن الاجتماعات الشريفة: EPE 35, 490
- * في خيانة يهوذا: EPE 35, 554
- * في ما لا يدرك، المقالة السادسة: EPE 35, 190
- * في الذين يصومون أعياد الفصح الأولى: PG 48, 861
- * في التوبة وفي المتخلفين عن الاجتماعات الشكرية: PG 49, 343



لائحة المختصرات

BEP	Βιβλιοθήκη Ἑλλήνων Πατέρων, Ἐκδοσις Ἀποστολικῆς Διακονίας, Ἀθήνα 1955 καὶ ἐξῆς.
EOR	Ἀγίου Νικοδήμου Ἀγιορείτου, Ἑορτοδρόμιον, ἥτοι ἐρμηνεία εἰς τοὺς ἀσματικούς κανόνας τῶν Δεσποτικῶν καὶ Θεομητορικῶν ἐορτῶν, Βενετία, 1836.
EPE	Ἑλληνες Πατέρες τῆς Ἐκκλησίας, Θεσσαλονίκη 1972 καὶ ἐξῆς.
EPEF	Φιλοκαλία τῶν Νηπτικῶν καὶ Ἀσκητικῶν, Θεσσαλονίκη, 1978 καὶ ἐξῆς (Ἐπὶ μέρους σειρὰ τῆς ΕΠΕ).
ETP	Ἐπὶ τὰς Πηγάς, Ἀθήνα 1968 καὶ ἐξῆς. Ὅσιον Συμπεῶν τοῦ Νέου Θεολόγου, Τὰ εὕρισκόμενα, ἀνατύπωση ἐκδόσεως Διον. Ζαγοραίου, Θεσσαλονίκη 1969.
Th	Θεοφάνους Νικαίας, Λόγος εἰς τὴν Θεοτόκον, ἑκδ. M. Jugie, Romae 1935.
Leim	Ἰωάννου Εὐκρατᾶ καὶ Σωφρονίου τοῦ Σοφιστοῦ, Λειμωνάριον τὸ παλαιόν, Ἐκδοσις τρίτη, Βόλος, 1959.
PG	Migne, Patrologia Graeca, Paris.
Myst	Ἀγίου Μαξίμου Ὁμολογητοῦ, Μυσταγωγία, Σειρὰ Ἐπὶ τὰς Πηγάς, Ἀθήνα 1973.
Pid	Ἀγαπίου Ἱερομονάχου καὶ Νικοδήμου Μοναχοῦ, Πηδάλιον τῆς νοητῆς νηός, τῆς Μιᾶς, Ἀγίας, Καθολικῆς καὶ Ἀποστολικῆς τῶν ὀρθοδόξων Ἐκκλησίας, Ἀθῆναι 1957. Παράβαλε.
SC	Sources Chrétiennes, Paris 1941 καὶ ἐξῆς.
Filoc	Φιλοκαλία Ἱερῶν Νηπτικῶν, Ἀθήνα 1957-1963.

الحواشي

حواشي المدخل

- ١ - متى ٢٦، ١٧-١٩.
- ٢ - EPG 35, 547
- ٣ - متى ٢٦، ٢٦ - ٢٩، مر ١٤، ٢٢ - ٢٥؛ لو ٢٢، ١٥ - ٢٠.
- ٤ - أع ٢، ٤٦-٤٧.
- ٥ - يو ١٣، ١: "أحبّ يسوع خاصّته الذين في العالم، أحبّهم حتّى المنتهى".
راجع أيضاً يو ١٣، ٣٤.
- ٦ - اكو ١١، ١٧ وما يليها.
- ٧ - كو ٤، ١٦؛ افس ٥، ٢٧. نعرف من أعمال الرسل أنّ الاجتماعات كانت تتمّ مساءً في عليّة أحد البيوت (أع ٢٠، ٧ وما يليها).
- ٨ - ٢ كو ١٣، ١٢؛ رو ١٦، ١٦.
- ٩ - ٢ كو ١٣، ١٣.
- ١٠ - يو ١٥، ٢٦؛ ١٤، ٢٦ و ١٦، ١٤.
- ١١ - اكو ١١، ٢٧-٢٩.
- ١٢ - BEP 2, 218
- ١٣ - BEP 3, 198
- ١٤ - أكليمندوس أسقف رومية: BEP 1, 26
- ١٥ - BEP 2, 218
- ١٦ - المرجع السابق.
- ١٧ - BEP 3, 197-198. وأيضاً يدعو القديس هيبوليتوس المعزّي "كلمة" (BEP3, 178-179).
- ١٨ - SC 100, 611؛ SC 153, 37.
- ١٩ - SC 11B, 48-52، وترمبلاس، مبادئ وطابع العبادة المسيحيّة، أثينا ١٩٦٢، ص ١٧٥-١٧٦.
- ٢٠ - BEP 39, 257-262
- ٢١ - P.G.65, 849B-852B
- ٢٢ - P.G.160, 1081B
- ٢٣ - فوندولي، الليتورجيا الإلهيّة لمرقس الرسول، تسالونيك ١٩٧٧، ص ٥-٨.
- ٢٤ - BEP, 154

- ٢٥ - BEP 2, 144-159
- ٢٦ - بلاذيرس، ورد في مجموعة الذهبيّ الفم: EPG 1, 94
- ٢٧ - المرجع السابق، ص ٩٦.
- ٢٨ - مجمع درين، سنة ٤٠٣ م.
- ٢٩ - EPE 10, 366
- ٣٠ - القديس نيقوديموس الآثوسي، السنكسار، الجزء الثالث، تسالونيك ١٩٨٢، ص ١٦٢.
- ٣١ - يقول الذهبيّ الفم: "بعدما يدخل الأسقف إلى الكنيسة، لا يرتقي العرش قبل أن يصلي ويدعو بالسلام لكل المؤمنين" (EPE 34, 186)
- ٣٢ - EPE 8A, 452
- ٣٣ - F. Halkin, Douze récits byzantins sur Saint Jean Christosome, Bruxelles 1977, P - 238
- ٣٤ - George Wagner, Der Ursprung der Chrisostomusliturgie, MUNSTER 1973, P. 133.
- ٣٥ - لو ٢٤، ٣٥.
- ٣٦ - EPE 12, 216
- ٣٧ - EPE 1, 166
- ٣٨ - الذهبيّ الفم: EPE 28, 268; EPE 8A, 410-412
- ٣٩ - EPE 10, 168
- ٤٠ - باسيليوس الكبير: EPE 10, 366
- ٤١ - EPE 10, 158
- ٤٢ - ثيوفورس الستوديتي: P.G 99, 340C، باسيليوس الكبير، القدّاس الالهّي.
- ٤٣ - EPE 2, 450
- ٤٤ - تك ١٤، ١٨-٢٠. ملكيصادق (كلمة عبريّة تعني ملك شاليم، أي ملك السلام) معاصر لابراهيم، وبارك هذا الأخير بعد عودته الظافرة على ملك عيلام. قدّم ابراهيم لملكيصادق عشر غنائه، أمّا ملكيصادق فقدّم له خبزاً وخمراً. شخص ملكيصادق هو رمز مسبق للمسيح. (راجع مز ١٠٩، ٤).
- ٤٥ - يوحنا الدمشقي: EPE 1, 472؛ الذهبيّ الفم: EPE 8A, 506
- ٤٦ - تك ٢٢، ١-١٤.
- ٤٧ - ٣ ملوك ١٨، ١٧-٤٠.
- ٤٨ - أشعيا ٦، ١-٧.
- ٤٩ - تك ٤٩، ١١؛ ملاخي ١، ١١.
- ٥٠ - EPE 21, 308
- ٥١ - P.G 140, 417A؛ ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 390-392
- ٥٢ - نيقوديموس وكاباسيلاس: EPEF 22, 36
- ٥٣ - EPE 27, 612

- ٥٤ - EPE 12, 216; EPE 11, 58; EPE 9, 244
- ٥٥ - EPE 13, 582; EPE 25, 36
- ٥٦ - صلاة استدعاء الروح القدس: EPE 13, 582
- ٥٧ - رؤ ٢٢ و ١٣؛ الرسالة إلى ذيوغنيتوس: BEP 2, 257
- ٥٨ - قيصريوس النزينزي: P.G. 38, 1129
- ٥٩ - EPE 6, 256
- ٦٠ - جرمانوس بطريك الاسكندرية: P.G.98, 401B
- ٦١ - أثناسيوس الكبير: EPE 8A, 438
- ٦٢ - EPE 28, 746-748
- ٦٣ - رؤ ٢١، ٣؛ ٨، ٣.
- ٦٤ - EPEF 3, 102
- ٦٥ - EPE 21, 310
- ٦٦ - الذهبيّ الفم: EPE 8A, 438
- ٦٧ - غريغوريوس النيصصي: P.G. 44, 649C؛ القديس مكسيموس، مستاغوجيا، ص ١٠٦.
- ٦٨ - سحر نصف الخمسين.
- ٦٩ - غريغوريوس بالاماس: EPE 11, 304 - 306
- ٧٠ - ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 386
- ٧١ - الذهبيّ الفم: EPE 15, 624
- ٧٢ - EPE 21, 440
- ٧٣ - الذهبيّ الفم: EPE 6, 84، رؤ ٥، ١٣.
- ٧٤ - كيرلس بطريك أورشليم: BEP 39, 255؛ يو ٥، ٥٦.
- ٧٥ - EPE 13, 578؛ أف ٥، ٣٠.
- ٧٦ - EPE 12, 212-214
- ٧٧ - EPE 24, 362؛ EPE 23, 404
- ٧٨ - القديس إيريناوس: SC 153, 33-35
- ٧٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 22, 280
- ٨٠ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 22, 524, 484
- ٨١ - الذهبيّ الفم: EPE 20, 482
- ٨٢ - يو ١٩، ٣٤؛ الذهبيّ الفم: P.G. 59, 463; EPE 33, 388
- ٨٣ - EPE 12, 214
- ٨٤ - ١ كو ١٠، ١٧.
- ٨٥ - الذهبيّ الفم: EPE 5, 210; EPE 33, 388

حواشي الباب الأوّل

- ٨٦ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 1, 102 ; EPE 1, 276 ؛ ميخا ٢ ، ٩ (الترجمة السبعينية).
- ٨٧ - متى ٥ ، ٢٣-٢٤ ؛ EPE 9, 566-568.
- ٨٨ - كتاب "الليموناريون": ص ٦٥-٦٦ ؛ ١ بط ٢ ، ٢٣ ؛ متى ٥ ، ٣٩.
- ٨٩ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 1, 188.
- ٩٠ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 3, 50.
- ٩١ - الفيلوكاليا، الجزء الثاني، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- ٩٢ - كيرلس الاسكندري: P.G. 68, 492A.
- ٩٣ - مز ١٩٧ ، ٢.
- ٩٤ - خدمة أخذ الكيرون هي خدمة محدثة. المخطوطات القديمة للقُدّاس الالهّي تبدأ بالصلاة التالية: يا الله، يا إلهنا، الخبز السماوي... في القرن الثاني عشر كان الكيرون يقتصر على السجود للأيقونات المقدّسة. في القرن الرابع عشر، يرد في مؤلف بطريك القسطنطينيّة فيلوثيروس، "ترتيب القُدّاس الالهّي" أنّ الكاهن المزمع ان يقيم القُدّاس، أثناء السجود (للأيقونات)، يقول الصلاة التالية: يا ربّ أرسل يدك من أعالي مسكنك... " (ترمبلاس، الليتورجيات الثلاث، أثينا ١٩٣٥، ص ١).
- ٩٥ - جرمانوس بطريك الاسكندريّة: P.G. 98, 401A، مر ١ ، ١٥.
- ٩٦ - سحر الميلاد.
- ٩٧ - أبوليتيكيون ٢ تموز؛ سحر الفصح.
- ٩٨ - الذهبيّ الفم: EPE 23, 208 ؛ باسيليوس الكبير: EPE 4, 96.
- ٩٩ - سمعان اللاهوتيّ الحديث: SC 122, 182.
- ١٠٠ - راجع يوحنا الدمشقيّ: ETP 212.
- ١٠١ - غريغوريوس النيصصي: P.G. 44, 504D - 505A.
- ١٠٢ - يو ٤ ، ٢٣.
- ١٠٢ - P.G. 90, 1104C.
- ١٠٤ - مكسيموس المعترف: P.G. 90, 1104C.
- ١٠٥ - الذهبيّ الفم: EPE 6, 82.
- ١٠٦ - SC 96, 232.

- ١٠٧ - يوحنا الدمشقي: P.G. 96, 689D
 ١٠٨ - غروب ٨ أيلول.
 ١٠٩ - سحر الأربعاء، اللحن الرابع.
 ١١٠ - EPE 34, 58-60; 178
 ١١١ - EPE 35, 648
 ١١٢ - EPE 34, 56
 ١١٣ - سمعان اللاهوتي الحديث، ص ٣١-٣٢.
 ١١٤ - ١ كو ٦، ١٩-٢٠.
 ١١٥ - EPE 2, 354-8
 ١١٦ - يوحنا الدمشقي: EPE 3, 74
 ١١٧ - يوحنا الخامس، بطريك أورشليم: P.G. 96, 1360B
 ١١٨ - يوحنا الدمشقي: EPE 3, 74
 ١١٩ - يوحنا الدمشقي: EPE 3, 80
 ١٢٠ - مز ١٤٣، ٧.
 ١٢١ - مثنوذوس أوليمبوس: BEP 18, 180
 ١٢٢ - الذهبي الفم: EPE 35, 580
 ١٢٣ - P.G. 91, 624B؛ والذهبي الفم: EPEF 14, 716
 ١٢٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 220-2
 ١٢٥ - لو ٢٢، ٢٧.
 ١٢٦ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 476، لو ١٢، ٣٧.
 ١٢٧ - ترمبلاس، الليتورجيات الثلاث، ص ٢٢٨.
 ١٢٨ - مز ٥، ٨.
 ١٢٩ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ١١٨.
 ١٣٠ - الذهبي الفم: EPE 28, 120
 ١٣١ - أثناسيوس الكبير: EPE 32, 41
 ١٣٢ - P.G. 87, 2856 BC
 ١٣٣ - جرمانوس بطريك القسطنطينية: P.G. 98, 421C، وسمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 316DC
 ١٣٤ - الذهبي الفم: EPE 13, 582
 ١٣٥ - EPE 11, 414
 ١٣٦ - الذهبي الفم: EPE 35, 216
 ١٣٧ - EPEF 22, 406
 ١٣٨ - إغناطيوس المتوشح بالله: BEP 2, 270
 ١٣٩ - لو ١٨، ١٣.

- ١٤٠ - لو ٨، ٢٧.
- ١٤١ - P.G. 68, 824 B؛ وحزقيال ٤٢، ١٤ (الترجمة السبعينية).
- ١٤٢ - أفسابيوس أسقف قيصرية: BEP 20, 84
- ١٤٣ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 261C, 880C، ومتى ١٤، ٣٦.
- ١٤٤ - أشعيا ٦١، ١٠.
- ١٤٥ - مز ٤٤، ٣؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 70, 1365D
- ١٤٦ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 70, 1144C
- ١٤٧ - الذهبي الفم: EPE 23, 86
- ١٤٨ - الفيلوكاليا، الجزء الثاني، ص ٢٥٨؛ P.G. 155, 712A
- ١٤٩ - لو ٢٤، ٤.
- ١٥٠ - خروج ١٥، ٦-٧.
- ١٥١ - مز ١١٨، ٧٣.
- ١٥٢ - القديس إيريناوس: SC 153, 73، تك ١، ٢٦.
- ١٥٣ - غريغوريوس النيصي: P.G. 45, 697B
- ١٥٤ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 7BCD
- ١٥٥ - رسالة إلى الكهنة: P.G. 150, 336C-337A
- ١٥٦ - EPE 58
- ١٥٧ - مز ١٣٢، ٢.
- ١٥٨ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 713A
- ١٥٩ - خروج ٣٠، ٣٠؛ الذهبي الفم: EPE 21, 308-310
- ١٦٠ - BEP 32, 286
- ١٦١ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 713A
- ١٦٢ - مز ١٧، ٣٣.
- ١٦٣ - مز ١٣١، ٩.
- ١٦٤ - P.G. 155, 260A
- ١٦٥ - خروج ٢١، ١١؛ الذهبي الفم: EPE 21, 308-310
- ١٦٦ - لو ١٢، ٣٥-٣٧.
- ١٦٧ - EPE 3, 228؛ ١ كو ١، ٣٠.
- ١٦٨ - EPEF 22, 286
- ١٦٩ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 716AB
- ١٧٠ - أشعيا ٦، ٣.
- ١٧١ - BEP 2, 272
- ١٧٢ - يرد الحديث للمرة الأولى عن "النار" في القانون ٢٢ من مجمع اللاذقية (أواسط القرن الرابع). ويقول القديس نيقوديموس الأثوسي إن البعض يعتقد أن هذه الكلمة تشتق من اللفظة اللاتينية

"orare" والتي تعني "أن نصلي"، "لأن الشماس يعلن الطلبات ممسكاً بالزئار...". أما أفسراتيوس الأرجنتي فيقول إنها تشتق من لفظة أخرى "os, oris" التي تعني الفم. وفي شرحه يقول إن الشماس كان ينقل القدسات للمؤمنين، وحالما كان يتناول هؤلاء كانوا يمسخون فمهم بالزئار المتدلي على كتف الشماس. (Pid, 429-430)

١٧٣ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 381C; P.G. 87C, 3988AB؛ عب ١، ١٤.

١٧٤ - إيسيدورس بيلوسيويتيس: P.G. 78, 272C

١٧٥ - مز ٢٥، ٦-١٢.

١٧٦ - لو ١٥، ١٣؛ P.G. 45, 545B

١٧٧ - مز ١٣٦، ٤؛ الذهبي الفم: EPE 16B, 500

١٧٨ - باسيليوس الكبير، القداس الالهي.

١٧٩ - P.G. 98, 424C; BEP 39, 258

١٨٠ - EPE 14, 410; EPEF 3, 386

١٨١ - يو ١٣، ٨.

١٨٢ - EPE 18A, 82-84

١٨٣ - غريغوريوس النيصصي: EPE 7, 278-280

١٨٤ - يو ١٨، ١١؛ ١٦، ١٠؛ مز ١١٥، ٤.

١٨٥ - P.G. 155, 264C; P.G. 88, 397B

١٨٦ - EPE 20, 486; EPE 11, 62-64

١٨٧ - EPE 11, 62

١٨٨ - "ليس هناك من غاية أخرى لاستعمالهم" (الذهبي الفم: EPE 21, 74).

١٨٩ - أبوليتيكون بارامون الميلاد.

١٩٠ - أبوليتيكون الجمعة العظيمة.

١٩١ - اللفظة اليونانية "تقدمة" (بروثسي) تتكوّن من اللفظتين: "أمام" و"أضع". فيكون المعنى: أضع غرضاً إلى الأمام.

١٩٢ - P.G. 155, 384AB

١٩٣ - يو ١٢، ٢٧.

١٩٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 306; 328

١٩٥ - جرمانوس بطريك القسطنطينية: P.G. 98, 397A؛ يو ٦، ٥١.

١٩٦ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 50

١٩٧ - لو ٢، ٢٢.

١٩٨ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 46

١٩٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 50

٢٠٠ - يو ٦، ٤٨ و ١٥، ١؛ EPEF 13, 572

٢٠١ - كيرلس بطريك الاسكندرية: P.G. 73, 517CD

- ٢٠٢ - القديس إيريناوس: SC 153, 37
- ٢٠٣ - لو ٢١، ٤؛ مكسيموس المعترف: P.G. 91, 1285D
- ٢٠٤ - القديس إيريناوس: SC 100, 607
- ٢٠٥ - أشعيا ٥٣، ٧-٨.
- ٢٠٦ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 42
- ٢٠٧ - لو ٢٢، ١٩-٢٠؛ الذهبي الفم: EPE 12, 194, 190
- ٢٠٨ - EPE 22, 58-60
- ٢٠٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 54
- ٢١٠ - EPE 5, 118؛ راجع يو ١، ٢٩.
- ٢١١ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 5, 178، بعبارة "رداء لستر العري الأول" يقصد القديس غريغوريوس جلد الخروف الذي ارتداه الجذآن الأولان بعد المعصية.
- ٢١٢ - يو ١٠، ١٧-١٨؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 73, 721A
- ٢١٣ - راجع الذهبي الفم: EPE 12, 192
- ٢١٤ - مر ١٤، ٦١؛ يو ١٩، ٩؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 74, 640C
- ٢١٥ - فل ٢، ٧-٨؛ الذهبي الفم: EPE 21, 542؛ غل ٣، ١٣.
- ٢١٦ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 73, 712CD
- ٢١٧ - يو ١٢، ٣٢؛ EPE 36, 10-12
- ٢١٨ - تقاريط جناز المسيح "في قبر وضعت"، الآية ٤٠.
- ٢١٩ - أع ٨، ٣٢-٣٥.
- ٢٢٠ - يو ١، ٢٩ و ٦، ٥١.
- ٢٢١ - راجع أشعيا ٦٣، ٩.
- ٢٢٢ - يو ١٩، ٣٤-٣٥.
- ٢٢٣ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 73, 192 BCD
- ٢٢٤ - يوحنا الدمشقي: EPE 1, 426
- ٢٢٥ - P.G. 74, 677
- ٢٢٦ - الذهبي الفم: EPE 30, 394; 27, 168
- ٢٢٧ - مكارزمي الجمعة العظيمة.
- ٢٢٨ - EPE 3, 232; 36, 152
- ٢٢٩ - غريغوريوس النيصصي: P.G. 46, 692B; EPE 7, 176؛ مز ٢٢، ٦.
- ٢٣٠ - سحر الخامس عشر من كانون الثاني.
- ٢٣١ - EPE 18A, 86؛ ١ كو ١٠ و ١٧.
- ٢٣٢ - سراييون، صلاة القرايين، BEP 43, 77
- ٢٣٣ - مز ٤٤، ١٠.
- ٢٣٤ - Th 146

- ٢٣٥ - يع ١، ١٧.
- ٢٣٦ - Th 128-132
- ٢٣٧ - نيقولاوس كاباسيلاس: ETP 174-176؛ رؤ ٢١، ١.
- ٢٣٨ - صلاة المساء الصغرى (الغروب) لعيد البشارة؛ ETP 181؛ مز ١١٣، ٢٤.
- ٢٣٩ - يوحنا الدمشقي: ETP 216؛ نشيد الانشاد ٢، ١٠-٤، ٧.
- ٢٤٠ - ETP 132-134؛ نشيد الانشاد ٨، ٥ و ٦، ١٠.
- ٢٤١ - صلاة المساء الصغرى (الغروب) لعيد رقاد السيدة؛ سحر الأحد، اللحن السادس.
- ٢٤٢ - EPE 7, 280؛ اتي ٣، ١٦؛ EPE 12, 714.
- ٢٤٣ - أف ٣، ٩؛ ديونيسيوس الأريوباغي: SC 58, 99.
- ٢٤٤ - متى ١١، ١٠؛ ديونيسيوس الأريوباغي: SC 58, 99.
- ٢٤٥ - راجع متى ١، ٢٠.
- ٢٤٦ - راجع ديونيسيوس الأريوباغي: SC 58, 99-100؛ لو ٢، ١٣.
- ٢٤٧ - يوحنا موسخوس: P.G. 78C, 3088A؛ الذهبي الفم: EPE 28, 268.
- ٢٤٨ - ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 386.
- ٢٤٩ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 281C.
- ٢٥٠ - الذهبي الفم: EPE 12, 214.
- ٢٥١ - أيسيدورس بيلوسيويتيس: P.G. 78, 685A؛ ديونيسيوس الأريوباغي: P.G. 3, 428B-432B.
- ٢٥٢ - EPEF 20, 240; 68.
- ٢٥٣ - يو ١٠، ١٦؛ نيقولاوس ميثونيس: P.G. 135, 512C.
- ٢٥٤ - P.G. 155, 748D-749A.
- ٢٥٥ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 200; 212.
- ٢٥٦ - أقوال الآباء الشيوخ، منشورات "أستير"، أثينا، ص ٧٠.
- ٢٥٧ - EPE 21,240; 18A, 692.
- ٢٥٨ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 285AB.
- ٢٥٩ - القديس إيريناوس: SC 211, 69.
- ٢٦٠ - ملاخي ١، ١١؛ EPE 34, 268-288.
- ٢٦١ - P.G. 98, 400C.
- ٢٦٢ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 285C.
- ٢٦٣ - Z 190.
- ٢٦٤ - EPE 7, 286.
- ٢٦٥ - متى ٢، ٩.
- ٢٦٦ - مز ٩٢، ١.
- ٢٦٧ - حبقوق ٣، ٣.
- ٢٦٨ - مز ١٦، ٨؛ راجع عزرا ٨، ٣١.

- ٢٦٩ - P.G. 56, 402
- ٢٧٠ - أناسيوس الكبير: BEP 32, 221
- ٢٧١ - الذهبيّ الفم: P.G. 56, 403
- ٢٧٢ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 285C
- ٢٧٣ - EPEF 22, 282
- ٢٧٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 72؛ ١ كو ١، ١٨.
- ٢٧٥ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 729C
- ٢٧٦ - يو ٧، ٣-٦؛ الذهبيّ الفم: EPE 13, 622
- ٢٧٧ - تك ١، ٢٢-٢٨ و ٢، ٣.
- ٢٧٨ - سحر الاثنين، اللحن الرابع.
- ٢٧٩ - غل ٣، ١٣؛ EPE 6, 28
- ٢٨٠ - مر ١٤، ٦١.
- ٢٨١ - الذهبيّ الفم: EPE 6, 504
- ٢٨٢ - الذهبيّ الفم: EPE 3, 256
- ٢٨٣ - سحر الثامن من أيلول.
- ٢٨٤ - EPEF 22, 76
- ٢٨٥ - خدمة المطالبسي الالهية؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 73, 596A
- ٢٨٦ - يو ٦، ٣٢ و ١٩، ١١؛ P.G. 74, 1051AB
- ٢٨٧ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 74, 333D - 336A
- ٢٨٨ - صلاة النوم في أسبوع التجديدات.
- ٢٨٩ - ذيونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 368
- ٢٩٠ - P.G. 155, 288C-289A
- ٢٩١ - راجع لو ٧، ٤٦.
- ٢٩٢ - مز ١١٨، ١٢٦.
- ٢٩٣ - راجع ٢ تس ٣، ٥؛ ٢ تي ٢، ٢١.
- ٢٩٤ - راجع لو ٢٣، ٤٢.
- ٢٩٥ - لو ٢، ٤١.
- ٢٩٦ - مز ٥٠، ١٧.
- ٢٩٧ - يو ٧، ٨؛ P.G. 73, 644A
- ٢٩٨ - يو ٥، ١٧.

حواشي الباب الثاني

- ٢٩٩ - EPE 10, 680
- ٣٠٠ - EPE 35, 134
- ٣٠١ - الذهبيّ الفم: EPE 18A, 104; 516
- ٣٠٢ - غريغوريوس بالاماس: EPE 10, 284؛ متى ٤، ١٧.
- ٣٠٣ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 486
- ٣٠٤ - EPE 36, 22؛ لو ٢٣، ٤٢.
- ٣٠٥ - الذهبيّ الفم: EPE 36, 8
- ٣٠٦ - المرجع السابق، ص ١٢.
- ٣٠٧ - غروب أحد السجود للصليب.
- ٣٠٨ - سحر الأربعاء، اللحن الثامن.
- ٣٠٩ - متى ٢٤، ٣٠؛ الذهبيّ الفم EPE 36, 24
- ٣١٠ - عبارة "آمين" عبريّة الأصل وتعني: فعلاً، ليكن. ويشبه القديس إيرونيموس ترتيل الآمين برعدة سماويّة. (PL 26, 381A)
- ٣١١ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 94
- ٣١٢ - كيرلس بطريك الاسكندريّة: ٢٩٦، ٣ (حسب منشورات Pusey)؛ مز ١١٣، ٢١.
- ٣١٣ - كلمة ليتورجيّة اليونانيّة مركّبة من عبارتين وتعني: العمل المشترك، عمل الشعب.
- ٣١٤ - القديس إسحق: EPEF 8A, 156, 372
- ٣١٥ - EPE 5, 238؛ رافل ٤، ٧.
- ٣١٦ - P.G. 90, 1196B
- ٣١٧ - الذهبيّ الفم: EPE 5, 188
- ٣١٨ - مكسيموس المعترف: PG 90, 1197A
- ٣١٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 210
- ٣٢٠ - مكسيموس المعترف: P.G. 90, 1196C
- ٣٢١ - EPEF 8A, 210-212
- ٣٢٢ - لو ٧، ٥٠؛ مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ٢١٢.
- ٣٢٣ - EPE 11, 60؛ ذكصا الأيوثينا السادس.

- ٣٢٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 80
 ٣٢٥ - ١ كو ١، ٣٠.
 ٣٢٦ - لو ٢، ١٤. P.G. 72K 493CD-496A
 ٣٢٧ - أف ٢، ١٣-١٧.
 ٣٢٨ - EPE 35, 582-4
 ٣٢٩ - مكسيموس المعترف: P.G. 91, 640AB
 ٣٣٠ - مكسيموس المعترف: P.G. 90, 1104B
 ٣٣١ - باسيليوس الكبير: BEP 56, 225
 ٣٣٢ - مز ٧٥، ٣.
 ٣٣٣ - الذهبيّ الفم: EPE 38, 80
 ٣٣٤ - سلم الفضائل، المقالة ٣٠، الفقرة ١٨؛ الذهبيّ الفم EPE 38, 396
 ٣٣٥ - باسيليوس الكبير، القدّاس الالهّي.
 ٣٣٦ - EPEF 3, 656
 ٣٣٧ - أف ٤، ٣؛ EPE 22, 82
 ٣٣٨ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 82
 ٣٣٩ - إيسيدورس ييلوسيويتيس: P.G. 78, 264C
 ٣٤٠ - EPE 20, 658
 ٣٤١ - EPE 7, 152؛ راجع مر ٤، ٣٨.
 ٣٤٢ - الأوامر الرسوليّة: BEP 2, 27
 ٣٤٣ - باسيليوس الكبير: EPE 5, 238
 ٣٤٤ - الذهبيّ الفم: EPE 8A, 350
 ٣٤٥ - متى ٢٤، ٢٧.
 ٣٤٦ - EPE 26, 446-448
 ٣٤٧ - الذهبيّ الفم: EPE 30, 284
 ٣٤٨ - جرمانوس بطريك القسطنطينيّة: P.G. 98, 384B
 ٣٤٩ - قانون تدشين كنيسة، سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 336B
 ٣٥٠ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 496؛ كيرلس بطريك الاسكندريّة: P.G. 68, 656C
 ٣٥١ - BEP 2, 266-267
 ٣٥٢ - الذهبيّ الفم: EPE 20, 678
 ٣٥٣ - BEP 3, 43-45
 ٣٥٤ - الذهبيّ الفم: EPE 28, 746؛ EPEF 22, 414
 ٣٥٥ - ميستاغوجيا، ص ١٣٠.
 ٣٥٦ - أثناسيوس الكبير: BEP 35, 110
 ٣٥٧ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 484

- ٣٥٨ - رؤ ٢٢، ٥ و ٢١، ٢٢.
- ٣٥٩ - أكليمندوس، أسقف رومية: BEP 1, 95
- ٣٦٠ - إغناطيوس، أسقف أنطاكية: BEP 2, 265
- ٣٦١ - المرجع السابق، ص ٢٨١.
- ٣٦٢ - هيبوليتوس، أسقف رومية: BEP 6, 199
- ٣٦٣ - سمعان، أسقف تسالونيك: P.G. 155, 256B
- ٣٦٤ - إغناطيوس، أسقف أنطاكية: BEP 2, 265
- ٣٦٥ - سمعان، أسقف تسالونيك: P.G. 155, 260C
- ٣٦٦ - إغناطيوس، أسقف أنطاكية: BEP 2, 269؛ عوض عبارة "مكان"، ترد في بعض الكتابات عبارة "رمز".
- ٣٦٧ - EPE 1, 356-358
- ٣٦٨ - الذهبيّ الفم: EPE 28, 124
- ٣٦٩ - P.G. 90, 976B
- ٣٧٠ - BEP 2, 253-254
- ٣٧١ - الذهبيّ الفم: EPE 8, 454
- ٣٧٢ - EPE 32, 58
- ٣٧٣ - EPE 32, 514; 664-666
- ٣٧٤ - P.G. 50, 716
- ٣٧٥ - غريغوريوس اللاهوتي: BEP 60, 68
- ٣٧٦ - الذهبيّ الفم: EPE 2, 340
- ٣٧٧ - تك ١، ٣١؛ مكسيموس المعترف: P.G. 91, 1356A
- ٣٧٨ - سمعان اللاهوتي الحديث: SC 122, 190؛ رو ٨، ٢١.
- ٣٧٩ - غريغوريوس اللاهوتي: BEP 59, 19
- ٣٨٠ - طروباريات البشارة والميلاد.
- ٣٨١ - كو ٣، ١.
- ٣٨٢ - أكليمندوس، أسقف رومية: BEP 1, 21
- ٣٨٣ - باسيليوس الكبير، القدّاس الالهّي.
- ٣٨٤ - الذهبيّ الفم: EPE 8A, 322؛ متى ١١، ٢٨.
- ٣٨٥ - BEP 59, 107
- ٣٨٦ - مكسيموس المعترف: Filoc. 2, 154
- ٣٨٧ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 298
- ٣٨٨ - الذهبيّ الفم: EPE 27, 40؛ تك ٣، ١٩.
- ٣٨٩ - P.G. 79, 1257A - EPEF 8B, 14; 352
- ٣٩٠ - EPE 7, 340

- ٣٩١ - أع ١٤، ٢٢؛ عب ١٢، ١١.
- ٣٩٢ - EPE 32, 104
- ٣٩٣ - رؤ ٧، ١٤-١٧.
- ٣٩٤ - القديس إسحق: EPEF 8C, 8؛ نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 90
- ٣٩٥ - صلاة المساء الكبرى لدخول السيّدة إلى الهيكل.
- ٣٩٦ - أثناسيوس الكبير: BEP 30, 78
- ٣٩٧ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 276-278
- ٣٩٨ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 274-276؛ لو ١٤، ٢٣.
- ٣٩٩ - لو ١٤، ٢٢.
- ٤٠٠ - أنديفونات كانت تدعى المزامير التي كانت ترتل بالتتابع بين الجوقين. وفي وقت لاحق دعيت أيضاً إنديفونة الاستيخن الذي يعاد بعد كلّ آية من المزمور. الأنديفونات المرتلة في القدّاس الالهّي متعدّدة وتختلف حسب العيد. أيام الآحاد أو في عيد قدّيس ممتاز ترتل التيبكا والمكارزمي.
- ٤٠١ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 106؛ يو ١، ١٠.
- ٤٠٢ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 100
- ٤٠٣ - يو ١، ٢٩؛ مز ١، ٩٤.
- ٤٠٤ - الذهبيّ الفم: EPE 5, 576-578؛ P.G. 56, 402
- ٤٠٥ - EPE 28, 14
- ٤٠٦ - مز ٢٩، ٥؛ EPE 5, 142-144
- ٤٠٧ - الذهبيّ الفم: EPE 35, 532
- ٤٠٨ - EPE 28, 14
- ٤٠٩ - غريغوريوس النيصصي: P.G. 44, 941C
- ٤١٠ - حسب القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينيّة فإنّ أفيمنيون الأنديفونة الثانية هو: بشفاعات قدّيسيك. طالما سبق لنا في الأنديفونة الأولى أن طلبنا شفاعاة العذراء، "فنحن الآن نطلب شفاعاة الذين أرضوا ابنها" (P.G.98, 404D). وهذا ما نعرّ عليه في المخطوطات الليتورجيّة القديمة في أثينا (ترمبلاس، الليتورجيّات الثلاث، ص ٣٤)، ولا يزال معمولاً به في جبل آثوس المقدّس إلى هذا اليوم.
- ٤١١ - الذهبيّ الفم: EPE 30, 386
- ٤١٢ - الذهبيّ الفم: EPE 26, 208؛ كو ١، ١٢.
- ٤١٣ - الذهبيّ الفم: EPE 28, 122؛ مكاريوس المصري: BEP 41, 340
- ٤١٤ - الملك يوستنيانوس هو الذي وضع طروباريّة "يا كلمة الله الابن الوحيد" (ثيودورس أسقف أندينون: P.G. 140, 433C).
- ٤١٥ - سمعان اللاهوتيّ الحديث: Z 520؛ الذهبيّ الفم: EPE 26, 104-106
- ٤١٦ - EPE 2, 720-722
- ٤١٧ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 296

- ٤١٨ - EPE 18A, 194
- ٤١٩ - BEP 3, 198
- ٤٢٠ - الذهبيّ الفم: EPE 1, 356
- ٤٢١ - متى ١٨، ١٩-٢٠.
- ٤٢٢ - EPE 11, 410-412
- ٤٢٣ - EPE 35, 104
- ٤٢٤ - إغناطيوس، أسقف أنطاكية: BEP 2, 265;270
- ٤٢٥ - دليل واضح على أنّ المؤمنين كانوا يدخلون إلى الكنيسة مع الكاهن، نعثر عليه في أفخولوجي يعود إلى القرن الثامن، في إفشين الدخول: "أيها المحسن وخالق الخليقة كلّها، تقبل الكنيسة المقبلة إليك..." كان يُتلى إفشين الدخول أمام باب الكنيسة ومن ثمّ كان الكاهن يبارك الباب قائلاً: "مبارك دخول قدّيسك".
- ٤٢٦ - P.G. 98, 405C
- ٤٢٧ - ميستاخوجيا، ص ١٧٤-١٧٦.
- ٤٢٨ - المرجع السابق، ص ١٧٨.
- ٤٢٩ - يو ٥، ٣٥ و ١، ٢٩؛ لو ٢، ١٠-١٣.
- ٤٣٠ - غروب عيد الظهور الالهيّ.
- ٤٣١ - EPE 28, 268. نيقوديموس الآثوسي، السنكسار، ١٢ ديسمبر.
- ٤٣٢ - يقول القدّيس نيقوديموس إنّ كنيستنا المقدّسة قد تسلّمت الرّساجيون من السماء. ويتأريخ وضعه ثيوفانس، يخبرنا كيف أنّه بعد حصول زلازل في القسطنطينيّة، خرج الشعب إلى الهواء الطلق وأقاموا زياًحاً. وفي أحد الأيام اختطف صبيّ وسمع صوتاً إلهياً يوصيه أن يقول للأسقف وللشعب أن يقيموا الزّياح قائلين: "قدّوس الله، قدّوس القويّ، قدّوس الذي لا يموت، ارحمنا..." (وكان الملك ثيودوسيوس الصغير حاضراً وبطريك القسطنطينيّة بركلوس حافي القدمين، كما يورد غليكان). منذ ذلك الحين، أوعز الملك أن يرتل هذا النشيد في كلّ مكان. (Pid. 291).
- ٤٣٣ - مز ١١٧، ٢٦.
- ٤٣٤ - دانيال ٣، ٣٢ و ٣١ (نشيد الفتية الثلاثة)؛ مز ٩٨، ١.
- ٤٣٥ - P.G. 98, 408C-409A
- ٤٣٦ - EPEF 22, 116؛ أشعيا ٦، ٣؛ مز ٤١، ٣.
- ٤٣٧ - EPE 7, 138-140; EPE 9, 664
- ٤٣٨ - الذهبيّ الفم: EPE 8A, 320-322
- ٤٣٩ - باسيليوس الكبير، القدّاس الالهيّ.
- ٤٤٠ - مر ١٤، ٦١؛ الذهبيّ الفم: EPE 7, 168
- ٤٤١ - سمعان أسقف تسالونيك: P.G. 155, 345B
- ٤٤٢ - حزقيال ٣، ١٢.
- ٤٤٣ - رؤ ٧، ٩-١٢.

٤٤٤ - في البدء كان يقصد بالبروكيمن استيخن أحد المزامير الذي يسبق المزمور. ومع الوقت صار يقصد بها المزمور كله. ويقول القديس مرقس أسقف أفسس: البروكيمن سابق لقراءات فصول الأنبياء والرسائل، وهو قريب المعنى من القراءات التي تتبعه بحيث يشهد لها من جهة، ويهيء لها من جهة أخرى. (P.G. 169, 1189D).

٤٤٥ - P.G. 98, 412A

٤٤٦ - ميستاغوجيا، ص ١٨٢ و ٢٣٤.

٤٤٧ - ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 376

٤٤٨ - يو ١، ١٤.

٤٤٩ - EPEF 22, 122-124

٤٥٠ - ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 376

٤٥١ - EPEF 22, 112؛ يو ١، ٥٦.

٤٥٢ - باسيليوس الكبير: EPE 2, 36

٤٥٣ - الذهبي الفم: EPE 8A, 328

٤٥٤ - فيما مضى كان الـ "هَلُلويا" عبارة عن أفمينيون لمزمور بكامله يدعى "هَلُلويايون". فثناء ترتيل هذا المزمور يقوم الشماس بالتبخير، بينما يتلو الكاهن الافشين الذي قبل الانجيل، ويقول القديس سمعان في شأن هذا التبخير أنه يشير "إلى نعمة الروح القدس المعطاة بالانجيل إلى المسكونة كلها". (P.G. 155, 724C)

٤٥٥ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 68, 268D

٤٥٦ - EPE 2, 154؛ ٢ كو ٤، ٦؛ ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 102

٤٥٧ - "إذ عرفتم الله، بل بالخرى عرفتم من الله" (غل ٤، ٩).

٤٥٨ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 322؛ EPEF 8B, 154

٤٥٩ - راجع كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 74, 484D؛ يو ١٧، ٣.

٤٦٠ - ذبائح الرسل: BEP 2, 218

٤٦١ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 73, 605D؛ P.G. 68, 313C

٤٦٢ - غريغوريوس اللاهوتي: BEP 59, 147

٤٦٣ - لاويين ٢٤، ١-٢.

٤٦٤ - أع ٢٠، ٧-٨.

٤٦٥ - EOR 433؛ راجع يوحنا ١، ٩.

٤٦٦ - Z 189

٤٦٧ - لو ١٢، ٣٥؛ سحر الفصح.

٤٦٨ - P.G. 98, 412 D

٤٦٩ - متى ١٣، ١٦؛ EPE 27, 614-616؛ يو ٨، ٩ وما يليها.

٤٧٠ - يو ١٠، ٤؛ ٢ كو ٥، ١٦-١٧.

٤٧١ - جرمانوس بطريرك القسطنطينية: P.G. 98, 412 D

- ٤٧٢ - EPEF 22, 120
- ٤٧٣ - الذهبيّ الفم: EPE 2, 108-110
- ٤٧٤ - EPE 9, 46-48
- ٤٧٥ - راجع ميستاغوجيا، ص ١٨٤.
- ٤٧٦ - يو ١٤، ٢٧؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G 74 839D
- ٤٧٧ - EPE 12, 476; 428
- ٤٧٨ - لو ٢، ١٠-١١؛ كيرلس بطريرك الاسكندرية: P.G. 76, 1328B
- ٤٧٩ - EPE 9, 20-22
- ٤٨٠ - "ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كلّ المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثمّ يأتي المنتهى" (متّى ٢٤، ١٤).
- ٤٨١ - ميستاغوجيا، ص ١٩٢.
- ٤٨٢ - المرجع السابق، ص ٢١٤.
- ٤٨٣ - كانت الطلبة الابتهاالية الكبرى فيما مضى أكبر حجماً، إذ كان المؤمنون يسألون الربّ لأجل كلّ الكنائس المحليّة، ولأجل كلّ المؤمنين: الأحياء، الراقدين، المرضى، الموعوظين، التائبين... مثل هذه الطلبة لا تزال نعثر عليها في قدّاس القديس يعقوب أخو الربّ.
- ٤٨٤ - الذهبيّ الفم: EPE 33, 446-448؛ متى ١٥، ٢١-٢٨.
- ٤٨٥ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 102-104؛ مز ٩١، ٣.
- ٤٨٦ - غروب الخامس والعشرين من يناير؛ مز ١٢٩، ٧؛ الذهبيّ الفم: EPE 7, 80
- ٤٨٧ - مكاروريوس المصريّ: BEP 41, 165
- ٤٨٨ - الافشين الأوّل من الغروب؛ يوحنا الدمشقيّ: EPE 1, 308
- ٤٨٩ - EPEF 22, 86؛ راجع متى ٦، ٣٣.
- ٤٩٠ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 78-80؛ سمعان اللاهوتيّ الحديث: SC 196, 40
- ٤٩١ - BEP 2, 164
- ٤٩٢ - BEP 60, 99 ; SC 11B, 75
- ٤٩٣ - القديس يوستينوس: BEP 3, 194
- ٤٩٤ - EPE 19, 62
- ٤٩٥ - غريغوريوس النيصصي: P.G. 46, 417C-420C
- ٤٩٦ - ديونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 376-378
- ٤٩٧ - القديس إيريناوس: SC 100, 607; BEP 5, 153
- ٤٩٨ - إغناطيوس أسقف أنطاكية: BEP 2, 266
- ٤٩٩ - EPE 28, 268; Filoc. 2, 264-265
- ٥٠٠ - البار ثيوغنستس: Filoc. 2, 267-269; 258؛ تك ١٨، ٢٧.
- ٥٠١ - الذهبيّ الفم: EPE 18A, 198
- ٥٠٢ - سموناس: P.G. 120, 825C

- ٥٠٣ - EPE 7, 612
- ٥٠٤ - كان المؤمنون يتناولون كما يتناول الكهنة اليوم؛ أي بأخذ جسد المسيح في يدهم.
- ٥٠٥ - الذهبيّ القم: EPE 30, 552-554
- ٥٠٦ - ترتيل التسبيح الشرقي في الكنيسة أتى بإيعاز من الإمبراطور يوستينوس (القرن السادس). العبارة "لنطرح عنا الآن كل اهتمام دنيوي" وردت في كل المخطوطات القديمة للقُدّاس الالهّي وأيضاً في الترجمات القديمة إلى اللغات السلافونيّة والعربيّة والرومانيّة. وأيضاً تسابيح أخرى ترتل عوض الشرقيكون تشدد هي أيضاً على قدسيّة هذه اللحظة: "الآن قوّات السموات تخدم معنا... لأنّ ملك الملوك يأتي (في هذه الساعة) ليُذبح... (يوحنا فوندلي، أجوبة على تساؤلات ليتورجيّة، الجزء الثاني، تسالونيك، ١٩٧٥، ص ٢٢٥-٢٢٧).
- ٥٠٧ - EPE 35, 214
- ٥٠٨ - EPE 3, 210
- ٥٠٩ - الذهبيّ القم: EPE 2, 12
- ٥١٠ - EPEF 8A, 134؛ راجع متى ٦، ٣٣.
- ٥١١ - EPE 8A, 350; EPEF 8A, 682
- ٥١٢ - التسبيح الشرقي في يوم السبت العظيم.
- ٥١٣ - P.G. 41, 980C; EPEF 22, 274
- ٥١٤ - الافشين السادس في السحر.
- ٥١٥ - جرمانوس بطريرك القسطنطينيّة: P.G. 98, 401A؛ متى ٢، ٣.
- ٥١٦ - جرمانوس بطريرك القسطنطينيّة: P.G. 98, 408A؛ متى ٣، ٣.
- ٥١٧ - سمعان اللاهوتيّ الحديث: SC 174, 172؛ خدمة المطالبسي الالهّي.
- ٥١٨ - BEP 2, 125؛ سمعان اللاهوتيّ الحديث: SC 113, 18
- ٥١٩ - الأودية الثالثة من القانون الكبير.
- ٥٢٠ - ذبائح الرسل الاثني عشر: BEP 2, 218؛ ميستاغوجيا، ص ١٩٨.
- ٥٢١ - مز ١٣٢، ٢.
- ٥٢٢ - مز ٤٦، ٦.
- ٥٢٣ - أبوليتيكيون السبت العظيم: إنديمنسي كلمة يونانيّة-لاتينيّة ومعناها "عوض القبر"، وهي عبارة عن قطعة قماش أبيض، مرسوم عليها أيقونة وعليها تتم خدمة سرّ الشكر عندما لا توجد مائدة مقدّسة. ويكتب في هذا الشأن القديس إيسيدورس بيلوسيويس فيقول إنّ الأنديمنسي هو كتان نقيّ يقوم مقام الكتان الذي استعمله يوسف الذي من الرامة. وكما أنّ ذلك الكتان استخدم لتكفين جسد السيّد وأثر لنا القيامة، كذلك هو هذا الكتان إذ عليه يتمّ تقديس خبز التقديم، جسد المسيح المنبع لنا عدم الفساد: هو الجسد الذي أضجعه يوسف، وقام من الأموات، إنّهُ المسيح الناهض الذي يمنحنا عدم الفساد. (P.G. 78, 264D-265A).
- ٥٢٤ - EPEF 22, 128-130. حتّى القرن السادس كان نقل القرايين الكريمة يتمّ في شكل بسيط. كان الشمامسة يقومون بانتقاء القرايين المناسبة من تلك التي قدّمها المؤمنون ويعمدون إلى نقلها

- إلى المائدة المقدسة حيث كانوا يقدمونها للأسقف.
- ٥٢٥ - جرمانوس بطريرك القسطنطينية: P.G. 98, 420D
- ٥٢٦ - باسيليوس الكبير: BEP 52, 272
- ٥٢٧ - لو ٢٣، ٤٢.
- ٥٢٨ - جرمانوس بطريرك القسطنطينية: P.G. 98, 420A
- ٥٢٩ - راجع لو ١٩، ٣٠.
- ٥٣٠ - سحر أحد الشعانين.
- ٥٣١ - راجع ثيودورس أسقف أنذيدون: P.G. 140, 441C
- ٥٣٢ - P.G. 98, 412C
- ٥٣٣ - غروب السبت العظيم.
- ٥٣٤ - لو ١، ٣٥.
- ٥٣٥ - جرمانوس بطريرك القسطنطينية: P.G. 98, 420AB
- ٥٣٦ - باسيليوس الكبير: BEP 52, 272
- ٥٣٧ - رو ٨، ٢٦؛ ١ كو ١٢، ٣.
- ٥٣٨ - باسيليوس الكبير: BEP 52, 114؛ مكسيموس المعترف: P.G. 91, 73A
- ٥٣٩ - ليموناريون، ص ١١.
- ٥٤٠ - باسيليوس الكبير: BEP 52, 260
- ٥٤١ - راجع مز ٣٣، ٥.
- ٥٤٢ - مكسيموس المعترف: P.G. 90, 496A; 492A
- ٥٤٣ - P.G. 90, 492A
- ٥٤٤ - EPEF 8A, 284-286؛ مز ١١٤، ٦.
- ٥٤٥ - ميثوديوس الأولي: BEP 18, 36؛ يوحنا الدمشقي: P.G. 95, 149A
- ٥٤٦ - EPE 14, 568
- ٥٤٧ - مز ٢٤، ١٧.
- ٥٤٨ - يو ١٤، ٢٧.
- ٥٤٩ - EPE 9, 150؛ سلم الفضائل، المقالة ٢٩، الفقرة ٥ (الترجمة العربية، منشورات النور).
- ٥٥٠ - Filoc. 4, 281
- ٥٥١ - BEP 41, 252
- ٥٥٢ - ذيونيسيوس الأريوباغي: EPEF 3, 366
- ٥٥٣ - الذهبي الفم: EPE 34, 186
- ٥٥٤ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 1, 328
- ٥٥٥ - EPE 19, 76
- ٥٥٦ - EPE 35, 546؛ سحر السبت، اللحن الثامن.
- ٥٥٧ - EPE 10, 84

٥٥٨ - سمرعان اللاهوتيّ الحديث: Z 362

٥٥٩ - BEP 2, 275-276;274

٥٦٠ - ليموناريون، ص ٥٨

٥٦١ - غروب السبت ما قبل العنصرة؛ الذهبيّ الفم: EPE 37, 54;EPE10, 620؛ غريغوريوس

النيصصي: PG 46, 877A

٥٦٢ - مكسيموس المعترف: PG 46, 760A

٥٦٣ - EPE 28, 288؛ لاويين ٤، ١-٣ و ٤، ١٣-١٤

٥٦٤ - عب ٩، ٧ و ١٣، ١

٥٦٥ - الذهبيّ الفم: EPE 22, 144

٥٦٦ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: PG 74, 708 BC؛ غريغوريوس اللاهوتيّ: BEP 59, 18

٥٦٧ - راجع الذهبيّ الفم: EPE 5, 186؛ سحر العنصرة

٥٦٨ - الذهبيّ الفم: EPE 22, 142

٥٦٩ - ذيونييسيوس الاريوباضي: EPE 3, 384. القدّاس الالهّي "في الأوامر الرسوليّة" يترك لنا وصفاً

لكيفيّة التقبيل في الأزمنة الأولى: يقبل الاكليروس الأسقف، العلمانيون من الرجال بعضهم

البعض، والنساء كذلك. أمّا الأولاد فأمام باب الهيكل لكي لا يحدثوا فوضى (BEP2, 150). أمّا

اليوم فقبلة المحبة تتم بين الكهنة المشتركين في خدمة القدّاس.

٥٧٠ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ١٨٨.

٥٧١ - الذهبيّ الفم: BEP 35, 622؛ كيرلس بطريرك أورشليم: BEP 39, 285

٥٧٢ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ٢٢٦؛ EPE 20, 704

٥٧٣ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ٢٠٠

٥٧٤ - الذهبيّ الفم: EPE 20, 142

٥٧٥ - BEP 2, 54؛ حسب نصّ القدّاس الالهّي الوارد في الأوامر الرسوليّة "فإنّ الشّمس بعد تبادل

قبلة المحبة، كان ينادي: "لا أحد من الموعوظين، لا أحد من غير المؤمنين، لا أحد من غير

الأرثوذكسيّين" (BEP 2, 150). وتطوّر هذا التعبير وأصبح: "الأبواب، الأبواب"، وبالتالي فقد

كان لهذا الإعلان غاية عمليّة.

٥٧٦ - ميستاغوجيا، ص ١٨٨.

٥٧٧ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ١٩٦

٥٧٨ - الذهبيّ الفم: EPE 2, 230

٥٧٩ - ميستاغوجيا، ص ٢٠٢

٥٨٠ - ديمتري ستانيلووي، ميستاغوجيا، ص ٢٠٣

٥٨١ - EPE 35, 138-140. حسب الذهبيّ الفم، تقال هذه الطلبة على الوجه التالي: "فلنتصب.

لنقف حسناً". والإعلان المماثل في "الأوامر الرسوليّة" هو على الشكل التالي: "لنتصب، لنرفع

التقدمة للربّ منتصبين بخوف ورعدة".

٥٨٢ - كلمة "أنافورا" اليونانية تعني رفع الشيء إلى فوق. ويكتب القدّيس أنستاسيوس السينائيّ أنّ

القدّاس الالهّي "يُدعى أنافوراً لأنّه يرفع إلى الله". "لأجل ذلك يحثنا على الوقوف بوقار ومخافة في ساعة الأنافوراً الرهيبة. فكلّ واحد منا في تلك الساعة يرتفع نحو السيّد بهذا الاستعداد وبهذه الفكرة" (PG 89, 833BC)

- ٥٨٣ - الذهبيّ الفم: EPE 56, 72
- ٥٨٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 136
- ٥٨٥ - هوشع ٦، ٦؛ BEP 56, 72
- ٥٨٦ - مز ٤٩، ١٤؛ الذهبيّ الفم: EPE 6, 256-258P؛ متى ١٦، ٥.
- ٥٨٧ - باسيلوس الكبير: BEP 56, 48؛ مز ٤٩، ٢٣
- ٥٨٨ - BEP 22, 136-138؛ ٢ كو ١٣، ١٣؛ أف ٢، ٤.
- ٥٨٩ - BEP 52, 224؛ غريغوريوس النيصصي: PG 45, 125C
- ٥٩٠ - الذهبيّ الفم: EPE 20, 146؛ EPE 14, 170
- ٥٩١ - EPE 36, 312
- ٥٩٢ - مر ٩، ٢.
- ٥٩٣ - تك ٢٢، ٢؛ EPE 19, 166-168
- ٥٩٤ - غريغوريوس بالاماس: EPE 10, 42
- ٥٩٥ - غريغوريوس بالاماس: EPE 2, 202
- ٥٩٦ - Z 362
- ٥٩٧ - غريغوريوس النيصصي: PG 44, 401A
- ٥٩٨ - غريغوريوس النيصصي: PG 44, 404A
- ٥٩٩ - ميثوديوس أولمبوس: BEP 18, 64؛ رؤ ١٢، ٥؛ كو ٣، ١.
- ٦٠٠ - EPE 10, 158-160
- ٦٠١ - المرجع السابق
- ٦٠٢ - EPE 22, 140
- ٦٠٣ - EPE 19, 486
- ٦٠٤ - رؤ ٨، ١٤-١٤.
- ٦٠٥ - غريغوريوس اللاهوتي: BEP 60, 67
- ٦٠٦ - BEP 36, 210-214؛ مز ١٠٩، ١؛ تك ٣، ١٩.
- ٦٠٧ - سمعان اللاهوتي الحديث: Z518-520
- ٦٠٨ - القديس اسحق: EPEF 8B, 38؛ القديس إيريناوس: SC 100, 501
- ٦٠٩ - سحر الأحد، اللحن الأوّل.
- ٦١٠ - ميثوديوس أولمبوس: BEP 18, 31
- ٦١١ - راجع ميستاغوجيا ص ١٨٨؛ يعقوب أخو الرب، القدّاس الالهّي.
- ٦١٢ - الذهبيّ الفم: EPE 8, 422؛ أشعيا ٦، ٣.
- ٦١٣ - غريغوريوس النيصصي: EPE 10, 402

- ٦١٤ - رؤ ١، ٤؛ ميستاغوجيا ص ٢٠٤.
- ٦١٥ - رؤ ٤، ٦-٨.
- ٦١٦ - جرمانوس بطريك القسطنطينية: PG 98, 429D
- ٦١٧ - أشعيا ٣٠، ٦؛ متى ٩، ٢١.
- ٦١٨ - شروبيكون السبت العظيم.
- ٦١٩ - نسبح الرب، لأنه بالمجد قد تمجد... (خروج، الفصل ١٥).
- ٦٢٠ - EPE 6, 110
- ٦٢١ - EPE 8A, 432-434
- ٦٢٢ - ليموناريون ص ٦٠. الإعلان: "بتسبيح الظفر... هو بالشكل الوارد في القداس الالهى ليعقوب أخو الرب. من هنا يسعنا الافتراض أن هذا القداس أقيم خلال القرن السادس على جبل سيناء، في يوم العنصرة.
- ٦٢٣ - يو ٣، ١٦.
- ٦٢٤ - يو ٦، ٥١.
- ٦٢٥ - متى ٢٦، ٢٦؛ ١ كو ١١، ٢٤.
- ٦٢٦ - متى ٢٦، ٢٦-٢٧؛ لو ٢٢، ٢٠.
- ٦٢٧ - القديس اسحق: EPEF 8C, 176
- ٦٢٨ - EPE 13, 158; EPE 3, 622
- ٦٢٩ - ١ يو ٩، ٤-١٠.
- ٦٣٠ - الذهبي الفم: EPE 16B, 608; EPE 15, 622
- ٦٣١ - EPE 10, 462
- ٦٣٢ - EPEF 22, 168
- ٦٣٣ - EPE 35, 582
- ٦٣٤ - EPE 25, 36-38
- ٦٣٥ - EPE 1, 450
- ٦٣٦ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 22, 336
- ٦٣٧ - غريغوريوس اللاهوتي: EPE 5, 214
- ٦٣٨ - EPEF 22, 518
- ٦٣٩ - EPE 12, 216; EPE 11, 58
- ٦٤٠ - الذهبي الفم: EPEF 22, 144; EPE 35, 580
- ٦٤١ - أمثال ٩، ١-٦؛ PG 77, 1017 CD
- ٦٤٢ - مز ٩، ٣٣.
- ٦٤٣ - يو ١٣، ١٤، ١٥ و ٩، ١٥.
- ٦٤٤ - EPE 12, 190-194
- ٦٤٥ - هيبوليتوس أسقف رومية: EPEF 3, 390P PG 10, 628B

- ٦٤٦ - الذهبيّ الفم: EPE 25, 36-38
- ٦٤٧ - خروج ١٥،٣؛ EPE 12, 149؛ متى ٢٩،٢٦
- ٦٤٨ - EPEF 22, 266؛ الذهبيّ الفم: EPE 18A, 104
- ٦٤٩ - أكليمندوس الاسكندري: BEP 7, 309؛ يو ٢٣،٤ و ٢٨،١٤
- ٦٥٠ - متى ٢٨،٢٠؛ BEP 63, 17
- ٦٥١ - غريغوريوس بالاماس: Filoc. 4, 111
- ٦٥٢ - القديس يوستينوس: BEP 3, 197
- ٦٥٣ - مكسيموس المعترف: PG 90, 481D
- ٦٥٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 22, 244-246
- ٦٥٥ - EPE 18A, 202
- ٢٠،٥.
- ٦٥٧ - لوا، ٣٤-٣٥.
- ٦٥٨ - لوا، ٣٨.
- ٦٥٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 1, 466; EPEF 22, 142-144
- ٦٦٠ - EPE 36, 308
- ٦٦١ - الذهبيّ الفم: EPE 36, 298؛ نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 188
- ٦٦٢ - الذهبيّ الفم: EPE 36, 312
- ٦٦٣ - Z 554P PG 120, 686D-688A
- ٦٦٤ - ثيوفانيس ص ٨؛ غريغوريوس بالاماس: EPE 11, 308
- ٦٦٥ - ثيوفانيس ص ٢٢، ٣٠.
- ٦٦٦ - ثيوفانيس ص ٢٠٤.
- ٦٦٧ - ثيوفانيس ص ١٧٢.
- ٦٦٨ - كيرلس بطريرك الاسكندرية: PG. 73, 264B
- ٦٦٩ - اتم ٢،٢.
- ٦٧٠ - اتم ٢،١٥.
- ٦٧١ - الذهبيّ الفم: EPE 37, 150؛ اكو ١٢،٢٦.
- ٦٧٢ - باسيليوس الكبير: BEP 54, 161؛ يو ١١،٢٦.
- ٦٧٣ - EPEF 22, 226-228
- ٦٧٤ - سحر الميلاد.
- ٦٧٥ - يو ١٤،٢٣؛ ايو ٤،١٦؛ يو ٦،٥٦.
- ٦٧٦ - الذهبيّ الفم: EPE 15, 642
- ٦٧٧ - الذهبيّ الفم: EPE 18A, 692
- ٦٧٨ - فل ٢،٢.
- ٦٧٩ - BEP 54, 86

- ٦٨٠ - الذهبيّ الفم: EPE 31, 338
- ٦٨١ - ٢ يوليوس، تيط ١٣، ٢.
- ٦٨٢ - غريغوريوس النيصصي: PG 44, 784A؛ نشيد الأنشاد ٣، ١.
- ٦٨٣ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 392؛ نشيد الأنشاد ٣، ١.
- ٦٨٤ - سحر الخامس من فبراير والعشرون من ديسمبر.
- ٦٨٥ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPE 22, 394
- ٦٨٦ - سحر الخامس من فبراير.
- ٦٨٧ - EPE 22, 272
- ٦٨٨ - رسالة برنابا: BEP 2, 228؛ صلاة النوم من الثلاثاء العظيم.
- ٦٨٩ - نشيد الأنشاد ٤، ١؛ ٢ كو ١٦، ٢.
- ٦٩٠ - BEP 2, 268
- ٦٩١ - القديس إيريناوس: BEP 5, 115-116
- ٦٩٢ - الذهبيّ الفم: EPE 20, 698
- ٦٩٣ - ميستاغوجيا، ص ٢٣٠.
- ٦٩٤ - الأواصر الرسولية: BEP 2, 125
- ٦٩٥ - PG 68, 761D
- ٦٩٦ - EPE 10, 800؛ يعقوب أخو الرب، القدّاس الالهّي.
- ٦٩٧ - EPE 30, 380; EPE 13, 548; EPE 20, 490; EPE 35, 652
- ٦٩٨ - BEP 54, 155
- ٦٩٩ - يقول الذهبيّ الفم في تفسيره: "وجميعنا سقينا روحاً واحداً"، إنه فعلاً بالاشتراك في جسد المسيح ودمه المقدّسين، "نسقى روحاً قدساً" (١ كو ١٢، ١٣؛ EPE 18A, 280) - - -
- ٧٠٠ - PG 68, 1016B
- ٧٠١ - غريغوريوس النيصصي: PG 45, 29B
- ٧٠٢ - يعقوب أخو الرب، القدّاس الالهّي؛ عب ١٠، ٢٠.
- ٧٠٣ - عب ١٠، ١٩.
- ٧٠٤ - PG 44, 1140 CD
- ٧٠٥ - يعقوب أخو الرب، القدّاس الالهّي.
- ٧٠٦ - متى ٦، ٩-١٣.
- ٧٠٧ - EPE 26, 128-130
- ٧٠٨ - مكسيموس المعرّف، ميستاغوجيا، ص ٢٠٦.
- ٧٠٩ - المصدر السابق، ص ٢٢٠-٢٢٢.
- ٧١٠ - المصدر السابق.
- ٧١١ - مكسيموس المعرّف: PG 90, 320D-321B
- ٧١٢ - ١ يو ٢، ٣.

- ٧١٣ - يو ٢٠، ١٩-٢٦.
- ٧١٤ - الذهبيّ الفم: EPE 35, 584; 216
- ٧١٥ - EPEF 22, 180-182
- ٧١٦ - يو ١٥، ١٣-١٥؛ BEP 33, 225
- ٧١٧ - كيرلس، بطريرك أورشليم: BEP 39, 119
- ٧١٨ - سحر السادس من ديسمبر.
- ٧١٩ - خدمة الإسكيم الكبير؛ باسيليوس الكبير: BEP 52, 245
- ٧٢٠ - خدمة المديح، أثناسيوس الكبير: BEP 30, 80
- ٧٢١ - الذهبيّ الفم: EPE 31; 676
- ٧٢٢ - الذهبيّ الفم: EPE 23, 404
- ٧٢٣ - يو ١٤، ١٢، ١٩؛ كيرلس بطريرك الإسكندرية: PG 74, 264D-265A
- ٧٢٤ - "كما الستر يغطّي ويحجب القدسات، كذلك الجسد يحجب الألوهة" (الذهبيّ الفم: EPE 24, 570)
- ٧٢٥ - غريغوريوس بالاماس: EPE 11, 406
- ٧٢٦ - أكليمندوس الاسكندري: BEP 8, 142
- ٧٢٧ - EPE 20, 482؛ لو ١٠، ٢.
- ٧٢٨ - ١ كو ٦، ٨؛ فل ١١، ٢.
- ٧٢٩ - قديماً كان الكينونيكون عبارة عن مزموه بكامله، كان يرتل ويتابع أثناء مناولة المؤمنين (من هنا اسمه في اليونانية). مثل هذه المزامير: ٢٢، ٣٣، ١١٦ و ١٤٤.
- ٧٣٠ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 184
- ٧٣١ - الذهبيّ الفم: EPE 12, 686
- ٧٣٢ - EPE 25, 42
- ٧٣٣ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 182-184
- ٧٣٤ - سمعان أسقف تسالونيك: PG 155, 297D؛ نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 186
- ٧٣٥ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ٢٠٨.
- ٧٣٦ - ذبائح: BEP 2, 218
- ٧٣٧ - ١ كو ١١، ٢٤.
- ٧٣٨ - يو ١٩، ٣٦؛ EPE 18A, 86
- ٧٣٩ - غريغوريوس النيصصي: EPE 12, 686-688; EPE 9, 198
- ٧٤٠ - جرمانوس بطريرك القسطنطينية: PG 98, 449B
- ٧٤١ - مكسيموس المعترف، ميستاغوجيا، ص ٢٠٨.
- ٧٤٢ - يو ١٦، ١؛ أف ٢٣، ١؛ الذهبيّ الفم: EPE 25, 38
- ٧٤٣ - العبارة "كمال كأس الايمان، بالروح القدس" هي لاحقة وتعود إلى القرن الثامن عشر (ترمبلاس، الليتورجيات الثلاث، ص ١٣٥-١٣٦).

- ٧٤٤ - PG 95, 409C; PG 98, 448
- ٧٤٥ - جرمانوس بطريك القسطنطينية: PG 98, 442A
- ٧٤٦ - PG 86, 2396A
- ٧٤٧ - لو ٢٤، ٣٥؛ أع ٧، ٢٠ و ٤٢، ٢
- ٧٤٨ - PG 155, 300AB؛ راجع يو ١٧، ١١
- ٧٤٩ - سمعان أسقف تسالونيك: PG 155, 300B
- ٧٥٠ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 188
- ٧٥١ - جرمانوس بطريك القسطنطينية: PG 98, 449B؛ كان المسيحيون الأوائل يتناولون دم المسيح المقدس من الكأس المقدسة.
- ٧٥٢ - Pidal. 248-149؛ أنظر أيضاً سمعان، أسقف تسالونيك: PG 155, 741D-744A
- ٧٥٣ - العبارة: "حرارة إيمان مستوعبة روح قدس" تعود إلى مخطوطات القرن الثامن عشر وما يليه (ترمبلاس، الليتورجيات الثلاث، ص ١٣٧).
- ٧٥٤ - EPEF 22, 188؛ راجع يو ٧، ٣٨-٣٩ و أع ٢، ٣
- ٧٥٥ - الذهبي الفم: EPEF12, 214-218
- ٧٥٦ - اتم، ١٥-١٦
- ٧٥٧ - EPE 23, 182-184
- ٧٥٨ - أشعيا ٦، ٦-٧؛ كيرلس بطريك الاسكندرية لدى ترمبلاس، تفسير في أشعيا النبي، أثينا ١٩٦٨، ص ٩٢
- ٧٥٩ - EPE 8A, 434
- ٧٦٠ - Z 192
- ٧٦١ - يوحنا الدمشقي: EPE 1, 470؛ راجع الحاشية ٥٠٤
- ٧٦٢ - سحر الفصح
- ٧٦٣ - PG 74, 752D
- ٧٦٤ - سمعان اللاهوتي الحديث: SC 104, 198
- ٧٦٥ - راجع ١ كو ١١، ٢٦؛ الذهبي الفم: EPE 36, 296
- ٧٦٦ - سمعان اللاهوتي الحديث: SC 104, 194 - 196
- ٧٦٧ - سمعان اللاهوتي الحديث: Z 193
- ٧٦٨ - EPE 35, 456. 514
- ٧٦٩ - EPEF 22, 32؛ لو ٨، ٥
- ٧٧٠ - EPEF 8A, 92
- ٧٧١ - Filoc. 2, 11
- ٧٧٢ - الأنبا ذوروثاوس: PG 88, 1657D-1660A؛ راجع ١ يو ٤، ١٨
- ٧٧٣ - أغناطيوس، أسقف أنطاكية: BEP 2, 267
- ٧٧٤ - EPEF 8C, 98-100؛ EPE 16B, 464؛ لو ٢٢، ٣٠؛ مز ١٠٣، ١٥

- ٧٧٥ - القديس إسحق: EPEF 8C, 102
- ٧٧٦ - يو ١٠، ٣؛ الذهبي الفم: EPE 11, 58
- ٧٧٧ - "ويجد مرعى" يو ١٠، ١٩.
- ٧٧٨ - الذهبي الفم: EPE 12, 214
- ٧٧٩ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 414
- ٧٨٠ - الذهبي الفم: EPE 25, 16; EPE 22, 204
- ٧٨١ - EPE 13, 580-582
- ٧٨٢ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 416؛ ميستاغوجيا ص ٢٠٨.
- ٧٨٣ - SC 156, 176-178
- ٧٨٤ - EPE 24, 362
- ٧٨٥ - يو ٣، ١٦.
- ٧٨٦ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 208-214
- ٧٨٧ - لو ١٢، ٣٦-٣٧.
- ٧٨٨ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 486
- ٧٨٩ - مز ٩، ٢٧.
- ٧٩٠ - غروب العنصرة.
- ٧٩١ - مز ٥٦، ٦.
- ٧٩٢ - هذا النشيد، حسب "الحولية الفصحية"، ابتداء ترتيله في هذه الساعة منذ عام ٦٢٤، على عهد سرجيوس بطريرك القسطنطينية (PG 92, 1001)؛ راجع مز ٧٠، ٨.
- ٧٩٣ - الأنبا فيليمون: Filoc. 2, 251؛ سمعان اللاهوتي الحديث: SC 196, 104
- ٧٩٤ - نيقولاوس كاباسيلاس: EPEF 22, 414؛ غريغوريوس بالاماس: EPE 6, 144-146
- ٧٩٥ - EPE 2, 230؛ كو ٢، ٩.
- ٧٩٦ - غريغوريوس اللاهوتي: BEP 59, 268
- ٧٩٧ - سمعان اللاهوتي الحديث: SC A4, 484-486
- ٧٩٨ - غريغوريوس بالاماس: EPE 2, 514؛ رؤ ٢٢، ٥.
- ٧٩٩ - لدى القديس نيقوديموس الأثوسي، تفسير المزامير المائة والخمسين، الجزء الثاني، تسالونيك ١٩٨١، ص ٦١؛ BEP 32, 139؛ فل ٨، ٢.
- ٨٠٠ - EPEF 22, 198
- ٨٠١ - متى ٢٦، ٣٠؛ EPE 12, 198
- ٨٠٢ - SC 174, 114-126
- ٨٠٣ - في القرون الأولى كان القداس الالهى ينتهي بنداء الشماس: "النخرج بسلام. كان يعني هذا النداء انتهاء الاجتماع الشكري وحل المؤمنين. الإفشين الذي يتلوه الكاهن الآن أضيف على القداس الالهى حوالي القرن السابع و يدعى افشين "وراء المنبر"، لأنه كان يتلى في البدء وسط الكنيسة، وراء المنبر. في الجبل المقدس اليوم، يبدأ الكاهن الإفشين من داخل الهيكل ولما يصل إلى:

"خلّص شعبك، وبارك ميراثك" يخرج، يبارك الشعب، ويتابع الإفشين أمام أيقونة المسيح.

٨٠٤ - مز ٢٥، ٨.

٨٠٥ - يع ١، ١٧.

٨٠٦ - متى ١٧، ٢.

٨٠٧ - الذهبيّ الفم: EPE 26, 566

٨٠٨ - أندراوس الكريتي: PG 97, 1069B

٨٠٩ - مر ٨، ٢٨.

٨١٠ - كاليستوس وأغناطيوس كسانثوبولوس: Filoc. 4, 202

٨١١ - BEP 6, 217-218.

٨١٢ - أكليمندوس أسقف رومية، BEP 1, 55.

٨١٣ - غريغوريوس النيصي، PG 44, 620B, 904D - 905A.

٨١٤ - "ثمّ سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون" (متى ٢٦، ٣٠).

٨١٥ - الذهبيّ الفم: EPE 5, 386

٨١٦ - الذهبيّ الفم: EPE 6, 418؛ مز ١١٩، ٩.

٨١٧ - الذهبيّ الفم: EPE 11, 232

٨١٨ - PG 155, 304AB

٨١٩ - EPEF 22, 260

٨٢٠ - سمعان أسقف تسالونيك: PG 155, 745D; PG 98, 452D

٨٢١ - EPEF 22, 258؛ قد قلنا في الحاشية ٨٠٣ إنّ القدّاس الالهيّ كان ينتهي في البدء عند "النخرج

بسلام"، وثمّ أضيف إفشين وراء المنبر. بعد تلاوة هذا الإفشين لم يكن الكاهن يعود إلى الهيكل،

بل كان يوزّع "عوض القربان"، بينما كان يرتّل "ليكن اسم الربّ مباركاً" والمزمور ٣٣. ولكن

لما أضيف لاحقاً بركة جديد للحلّ (بركة الربّ ورحمته...) والحلّ (أيّها المسيح هنا الحقيقي...)،

انتقل توزيع "عوض القربان" وتلاوة المزمور ٣٣ إلى ما قبل "بصلوات آبائنا القدّيسين...".

٨٢٢ - القدّيس باسيليوس، القدّاس الالهيّ.

٨٢٣ - سمعان أسقف تسالونيك: PG 155, 748A

٨٢٤ - ثيودوروس أسقف أنذيدون: PG 140, 468BC؛ أشعيا ٢٤ و ١٦ (ترجمة ثيودوتيونس)؛ مز

٥، ٧٥ (الترجمة السبعينية).

